رواية

هاني أبو طالب

اسم الكتاب : ابن عزيز
اسم المؤلف : هاني أبو طالب

رقم الإيداع : ١٥٤٦٨ / ٢٠١٨

الترقيم الدولي : 978 – 977 - 835 - 050 – 0

صفحة الكاتب على الفيس بوك : (هاني أبوطالب) باللغة العربية

https://www.facebook.com/profile.php?id=100002373058686

صادر عن مؤسسة زحمة كتاب للثقافة والنشر

١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة

www.za7ma-kotab.com

www.facebook.com/za7ma

www.facebook.com/za7makotab

za7ma-kotab@hotmail.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

لمؤسسة زحمة كتاب للثقافة والنشر

المشهرة قانوناً بسجل تجاري رقم / ٨٤٤٨٦

(المال خادمٌ جيد ولكنه سيدٌ فاسد)

(دائماً يكون المال وبالًا على صاحبه)

(المال لا يجلب السعادة ولكنه يسمح لنا بـ أن نعيش تعاستنا برفاهية)

(المال أرقام والأرقام ابداً لا تنتهي فإذا كنت تحتاج المال لتكون سعيداً فبحثك عن السعادة ابداً لن ينتهي)

(إن وضعت المال فوق رأسك خفضك و إن وضعته تحت قدمك رفعك)

(لم يشنق أحد و في جيبه مال)

(النهايات نادرا ما تكون سعيدة)

تأملوها جيداً

هاني أبو طالب

الإهداء

إلى صديقي الغالي الذي قال لي ذات يوم (أنت موهوب وستصل إلى حلمك)

المخرج / أحمد لمنسي

إلى مديرة مدرستي التي كانت أول من آمن بموهبتي في الكتابة

السيدة الفاضلة / أمل شعبان

إلى أول من تقرأ ما أكتب وتنتقده نقداً بناءاً

الأستاذة / فاطمة محمود رفعت

إلى رفقاء الدرب وأصدقاء الكفاح

مصطفى فتحي – أحمد ممدوح – سيد عاشور

إلى ريحانتي حياتي وسندسها

ريتال وريماس

إلى من رزقني الله بها وأيقنت أنها أجمل أرزاقي

زوجتي الغالية

هاني أبو طالب

أبو البنات

١

أقارب عقارب

كان "عزيز الدمرداش" كعادته بعدما فرغ من جميع أعماله المكتبية يجلس أمام التلفاز يقلب في قنواته المملة علَّه يجد ما يثلج صدره ولكن بـلا فائـدة حتى قطعت لحظات صمته طرقات على باب مكتبه وما هي إلا ثواني ودخلت " منى " السكرتيرة قائلة :

- في ناس عايزين يقابلوا حضرتك ، ومصممين أوي يا فندم

اعتدل " عزيز " في جِلسته مهتماً ثم قال متسائلاً :

- في ميعاد سابق !؟

أومأت "منى " بالرفض فقال لها بعدما نفخ دخان سيجارته بقرف :

- قوليلهم مش موجود ، مليش مزاج أقابل حد

خرجت السكرتيرة من فورها ثم عادت بعد دقيقتين قائلة :

- رافضين يمشوا يا فندم بيقولوا إنهم ...

ترددت قليلاً ثم قالت :

- قرايب حضرتك من البلد

بتأفف ظهر جلياً على وجهه وقف " عزيز " وذهب إلى مكتبه وجلـس عليـه وبعد ثواني من التفكير قال محدثاً نفسه :

- مش هنخلص من أم الموضوع ده .... يا ساتر

ثم قال لــ "منى" آمراً :

- خليهم يتنيلوا يدخلوا

خرجت السكرتيرة وظل "عزيز" على مكتبه ممسكاً بقلم ويضرب به المكتب بشدة من التوتر ، حاول تهدئة أنفاسه المضطربة ، كان يعرف القادمون إليه ، يعرف ماذا يريدون منه ؟ ، لذلك لم يكن يحب مقابلتهم ، كان يعرف أيضـاً الموضوع الذي أتوا ليتحدثوا فيه ، فالمشهد قد تكرر أكثر من مرة قبل ذلك . فُتح الباب ودخل الرجل الاول "محسن" الشقيق الأكبر له وهو رجل يرتدي جلباباً واسعاً وويحمل أعلى شفتيه شارباً كبيراً ، وخلفه شاب يرتدي قميصاً مقلماً وبنطالاً أسود من القماش ، حاول "عزيز" أن يتصنع ابتسامة انتزعها من نفسه بالكاد ووقف قائلاً :

- يا مرحب يا مرحب يا "محسن" يا أخويا .... نورت

سلَّم "محسن" على "عزيز" وجلس على الكرسي الذي أمامه وكـذلك الشـاب جلس في مواجهته ثم قال " محسن " بنبرة مصطنعة :

- إزيك يا أخويا عامل إيه ؟

بتأفف فشل في إخفائه قال "عزيز" :

- بخير الحمد لله .... خير إيه سر الزيارة الغريبة دي ؟

بدت الكلمة عادية وكأن "محسن" تعود عليها من "عزيز" فقال :

- جاي أسلم عليك يا أخي ، هو مش انت برضه أخويا ، هو الدم عمـره يبقى ميا يا أخويا ولا الضفر عمره يطلع من اللحم يا ولد أبوي

أومأ "عزيز" برأسه مستنكراً ثم استند بظهره على كرسيه قائلاً :

- بقولكم إيه من غير لت وعجن انتوا عايزين إيه من الآخر

حاول "محسن" أن يحافظ على رباطة جأشه فقال باسترحام :

- ليه المقابلة الناشفة دي ، وبعدين انت ليه بتعاملنا على إننا شـحاتين دا احنا إخواتك يا أخي يعني سندك ، خايفين عليـك ، نفسـنا نحـط إيدينا في إيديك ونقوى بيك ونقويك وخصوصاً انت وحـداني لا ليـك عيل ولا تيل

يبدو أن الكلمة الأخيرة – المقصودة طبعاً – قد أشعلت النار التـي في صـدر "عزيز" فأمسك بسيجارة من علبة كانت أمامه وأشعلها في غضب بعدما أطفأ التي انتهت ثم قال :

- آه خايفين عليا ، متقلقوش أنا مش محتاج حد جنبي وعلى فكرة يـوم ما هحتاج حد فـ انتوا آخر ناس هفكر فيها

باستنكار وبرود قال "محسن" :

- آخر ناس ، ليه يعني ، يا أخويا

قاطعه "عزيز" وهو يقف من على كرسيه ويعطيهم ظهره قائلاً :

- عايزين تعرفوا ليه يعنـي ، أنـا هـأقولكم ، عشـان انتـو طمـاعين ، طمعانين في الثروة بتاعتي اللي عملتهـا بعرقـي وكفـاحي ، عـايزين تورثوني بالحيا .... ده بعدكم ، طول ما أنا عايش وفيا الـروح مـش هتنولوا جنيه واحد مني

خرج الشاب أخيراً عن سكوته ثم قال :

- انت ليه بتعاملنا كده ، احنا مش شحاتين جايين نشحت منك ، احنـا لينا حق عليك ولا انت خلاص مبقتش تميـز.... إيـه ؟ هـي الفلـوس عمت عنيك عن الحقيقة ، انت إيه يا أخي ، مفيش ف قلبـك رحمـة ، مش الخير والنعيم اللي انت فيه هي فلوس أبوك اللي خـدتها زمـان ، الفلوس دي مش لينا فيها زي ما ليك بالظبط

صفق "عزيز" مبتسماً ثم جلس على كرسيه وقال :

- وإيه كمان ، كمل أنا سامعك ، حلوين أوي البقين دول ، يسلم اللي حفظهم لك

أكمل الشاب كلامه غير مبالياً بسخرية "عزيز" قائلاً :

- أنا عمري ما شفت حد في قساوتك ، قلبك ده إيه ... حجر ، ازاي يبقى أخونا معاه أكبر شركات في مصر واحنا عايشين كده ، انت إيه يا جدع مبتحسش ، لكن لأ ... الفلوس دي زي ما انت ليك فيها احنا كمان لينا فيها حق زيك بالظبط

ضحك "عزيز" ضحكة مستفزة ثم قال :

- عال والله عال ، العيل أبو ريالة دلوقتي طلع ليه لسان وبقى بيقول حق ، ع العموم أنا عملت اللي عليا وزيادة ، وببعتلكم كل شهر اللي يكفيكم وزيادة ، غير كده ... متحلموش

حينها قال " محسن " :

- يا ولد أبوي انت لوحدك لا عيل ولا تيل ، خلينا جمبك

كان يقصد أن يكرر تلك الكلمة فوقف "عزيز" مقاطعاً :

- معلش ، أنا عايز أبقي لوحدي ، مضطر أنهى المقابلة دي عشان عندي شغل

نظر الأخوان إلى بعضهما ثم قال "محسن" :

- انت بتطردنا من مكتبك يا "عزيز" ، مكانش العشم يا ولد أبوي ، ربنا يسامحك ، تفتكر لو أبوك كان عايش كان هيسيبك تعمل فينا كده

محافظاً على نفس نبرة الغضب قال "عزيز " :

- لو أبوك كان عايش وكان طمعان في فلوسي وجاي يعايرني عشان أنا مبخلفش كنت طردته زي ما طردتكم ، ومع السلامة المقابلة انتهت أنا مش فاضي ورايا شغل

خرج الأخوان دون أن يتفوها بأي شيء وجلس "عزيز" على كرسي مكتبه وهو يتأفف :

- اخوات قال ، دول عقارب مش اخوات

وبينما هو كذلك طرق الباب شخص ما ، ثم دخل دون أن يسمع الإذن بالدخول يبدوا أنه كان معتاداً على ذلك ، كان ذلك الشخص "فهمي" الذراع الأيمن له ، ثم قال بعدما لاحظ التغير الذي بدأ واضحاً على وجه "عزيز" :

- من دول اللي لسه خارجين من عند حضرتك يا فندم وإيه اللي منرفزك كده

بإشارة من يده أجلس "فهمي" الذي انتظر تعليقاً أو رداً على كلامه فقال "كامل" أخيراً بعد نفخة أخيرة في سيجارته قبل أن يدفنها في قبرها الأخير الذي دفن فيه مئات الوحيدات قبلها :

- دول اخواتي يا سيدي ، تصور يا "فهمي" عايزين يورثوني بالحيا ، وكمان بيعايروني عشان مبخلفش ، أنا لو هرمي فلوسي في الأرض والله ما هخليهم يطولوا منها جنيه

أومأ "فهمي" متفهماً الأمر ، ثم قال مواسياً :

- بعد الشر على حضرتك يا فندم ، على فكرة صحيح بالنسبة لموضوع الخلفة ده ، إيه أخبار نتايج التحاليل اللي حضرتك سافرت تعملها في أوربا

سكين أخرى قد تلقاها "عزيز" في قلبه ، فقد تَذَكَّرَ سفره الأخير إلى أكبر مستشفيات أوربا وكلها أكدت أنه سليمٌ تماماً من أي عيب يجعله لا يُنجب

ولكن مشيئة الله لا تريد أن يكون له ابن من صلبه يحمل اسمه ويرث أمواله الكثيرة التي يطمع فيها إخوته فقال بحسرة :

- مفيش جديد ، نفس الكلام اللي اتقال في مـصر ، أنا تمام ومعنديش أي مشاكل
- طب متجوز تاني يا فندم
- انت بتستهبل يا "فهمي" ، ما أنا على إيدك اتجوزت اتنين على مراتـي ومفيش فايدة ، يا "فهمي" خلاااااااص مفيش فايـدة ، قرفـت مـن نفسي ، عارف كل ما أفكر في موضوعي ده يبقى هـاين عليـا أبكـي ، أحس نـفسي مقطوع ، زي جذع شجرة اترمى في الشـارع بعـد مـا اتقطع منها

ثم وضع "عزيز" رسغيه على مكتبه ودفن وجهه في كفيه بـحسرة ، فوقـف "فهمي" واقترب منه قائلاً :

- خلي أملك في ربنا كبير يا فندم

رفع "عزيز" جبينه ونظر إليه بسخرية ثم قال :

- أمل ... أمل إيه ، بذمتك مصدق اللي بتقوله ده ، لو كان فيها أمل كان بان ، مفيش فايدة ، مفيش فاييييييداااااه ، عارف اللي قاهرني إيـه .... إن كل الفلوس والشركات اللي معايا دي مش قادرة تجيبلي حتـة عيل ، مع كل الثروة اللي أنا فيها دي بس قليل الحيلة في الموضوع ده

بنفس النبرة الهادئة قال "فهمي" :

- مين قال يا فندم عارف "سعد" عامل البوفيه اللي عندنا قعد ١٣ سنة ميخلفش وبعدين خلف وسبوع ابنه النهـارده ، آه وبالمناسـبة كـان جايلي عشان يستأذن ويمشي بدري عشان يجهز سبوع ابنه

نظر إليه "عزيز" باستغراب ثم قال :

- خلف وبعد ١٣ سنة!! طب هو عمل إيه عشان يخلف

ابتسم "فهمي" ثم قال باستغراب وخبث :

- عمل إيه .. عمل اللي الناس كلها بتعمله عشان تخلف

كانت مزحة "فهمي" في غير وقتها ولذلك لم ترق لـ "عزيز" الذي قال :

- لا مش قصدي يا بنى آدم إنت ، طب أقولك ... اندهولي بسرعة

باستغراب أذعن "فهمي" للأمر ورفع سماعة الهاتف الداخلي وبسرعة تحدث إلى السكرتيرة قائلاً :

- ابعتي لـ "سعد" بسرعة ، بلَّغيه إن "عزيز" بيه عايزه ضروري

وضع "فهمي" سماعة الهاتف وعاد إلى كرسيه في حيرة ، كان يحاول أن يقرأ ما يدور في رأس "عزيز" ولكنه كالعادة فشل ، فظل يحدق النظر في وجهـه الذي بدأ عليه التوتر والقلق .

أخرج "عزيز" سيجاراً من العلبة التي أمامه وأشعلها بـسرعة وبدأ يستنشق دخانها ويبعثه إلى الهواء بسرعة جنونية ، لحظات قليلة حتى طُرق الباب ثم انفتح ودخلت السكرتيرة قائلة :

- "سعد" بره يا فندم أخليه يدخل لحضرتك

بإشارة من يده أذن لها بأن تُدْخِله ، فانصرفت وبعد ثواني دخل "سعد" على استحياء قائلاً :

- صباح الخير يا "عزيز" بيه

وقف "عزيز" واقترب من "سعد" وقال له بلين وهو يمد يـده بورقـة فئـة خمسين جنيهاً :

- ازيك يا "سعد" وألف مبروك على المولود الجديـد ، خـد دي اشـتري حاجه للبيبي خليه ينبسط يا سيدي

كان المبلغ كفيلاً بأن يجعل "سعد" يطير من الفرح فقال :

- ربنا يخليك يا بيه ويفرح قلبك دنيا وآخرة ، دي كتيرة أوي

عاد "عزيز" إلى مكانه – في وسط نظرات "فهمي" المستفهمة والغير مصدقة ما يحدث – وجلس في مكانه قائلاً :

- يا راجل متقولش كده دي حاجة بسيطة ، بس قولي يا "سعد"

بسرعة منقطة النظير قال "سعد" :

- تحت أمرك يا بيه

سكت "عزيز" قليلاً ليجمع شتات تفكيره ثم قال :

- أنا سمعت إنك كنت مبتخلفش وبعدين خلفت يا ترى إيه السبب

ابتسم "سعد" فرحاً ثم قال :

- يا بيه كله بإرادة وتساهيل ربنا والبركة في الشيخ "حبظلم"

باستغراب رد "عزيز" :

- الشيخ "حبظلم" وده بتاع إيه ده كمان
- يا بيه أنا ومراتي قعدنا سنين نلف ع الدكاترة ونبلبـع في أدويـة لمـا اتهرينا وفقدنا الأمل خالص في الموضوع ده ، وف يوم كانت الجماعة بتاعتي قاعدة مع واحدة جارتنا وقالتها يمكن معمولكم عمل ودلّتهـا على الشيخ "حبظلم" عشان يفك العمل ده

نظر "عزيز" إلى "فهمي" وكأنه يطلب منه رأيه في هذا الكلام ف وقف الأخير ثم قال :

- يا راجل حد برضه يصدق شغل الدجل والشعوذة ده ، وأنا شايف إن ده كله تخاريف ، أنا عمري ما صدقت في الكلام ده

بسرعة رد "سعد" :

- أنا كنت زي حضرتك كده يا أستاذ "فهمي" لغاية لما رحت واتأكدت بنفسي

عضَّ "عزيز" على شفتيه وأعطى ورقة وقلم لـ "سعد" قائلاً :

- ماشي يا "سعد" اكتب عنوان الراجل ده هنا ، وألف مبروك تاني عـلى البيبي ويتربى في عزك

نفذ "سعد" الأمر بسرعة قائلاً :

- ربنا يبارك في جنابك يا بيه

انصرف "سعد" ، وأمسك "عزيز" بالورقة وظل ينظر فيها سارحاً ، ويبدوا أن "فهمي" قد فهم ما يدور في رأسه فقال :

- إيه يا "عزيز" بيه حضرتك بتفكر في إيه

أخرج "عزيز" نفساً ساخناً من داخل جوفه وقال :

- مش عارف يا "فهمي" حاسس ان العلاج حيكون عـلى ايـد الشـيخ حظظلم ده

قال "فهمي" مصححاً :

- "حبظلم" يا فندم ، بس أنا شـايف إن الراجـل ده نصَّـاب ومفـيش فايدة من أنك تروح الأماكن اللي زي دي

وضع "عزيز" يديه على رأسه ودار بكرسيه حتى أعطى ظهره لـ "فهمـي" قائلاً :

- اللي خلاني سافرت أوربا عشان الموضوع ده ، ومش هيخلينـي أروح للراجل ده
- يا فندم ده أكيد راجل نصَّاب ومش هيعمل حاجة

دار "عزيز" مرة أخرى بالكرسي ثم قال :

- مفهاش حاجة لو نجرب ، وبعـدين مـش عـارف ليـه أنـا متفائـل بالموضوع ده ، وإيه رأيك إنت حتيجي معايا

ظهر الخوف جلياً على وجه "فهمي" ثم قال :

- مع إني مبحبش أروح الأمـاكن الـلي زي دي ، بـس مقـدرش أقـول لحضرتك لأ ، ولا أقدر أسيبك في موقف زي ده

ضحك "عزيز" ثم قال :

- ماشي ، يا "فهمي" ، مكنتش أعرف إنك خوَّاف أوي كده

****

٢

الشيخ حبظلم

في مكـــان أشـــبه بكهـــفٍ مهجـــور كـــان "عزيـــز" يـــدخل وخلفـــه "فهمـــي" خائفـــاً مرعوبـــاً يقـــدم قـــدم ويـــؤخر الأخـــرى ولكـــن لا مفر من الإذعان لأمر "عزيز" .

أما "عزيز" فكان يسير بسرعة وكأنه حبيباً سيقابل حبيبته بعد غياب سنين ، كان يتوق إلى لقاء المخلص ، المنجي الشيخ "حبظلم" في وجهة نظره طبعاً .

وصلا أخيراً إلى ردهةٍ واسعة ، بها رسومات غريبة على جدرانها .

دارا بأعينهما في المكان حتى استقرت على إمراة تبدو في الثلاثين من عمرهـا جالسة على شيء أشبه بمكتبٍ صغير ، وحين رأتهما ابتسمت ابتسامة بسيطة ثم قطبت جبينها مما أثارت الرعب في قلب "فهمـي" الـذي قـال مخاطبـاً "عزيز" :

- ياللاه بينا من المكان ده يا "عزيز" بيه

نظر "عزيز" لـ "فهمي" مثبتاً إياه قائلاً :

- انت جبان ليه يا "فهمي" اصبر ، قلبك ضعيف ليه كده ، أنا متفـاءل جداً بالموضوع ده

وبينما هما يتناجيان إذا بالمرأة تقف أمامها قائلةً بلهجةٍ غريبة :

- اؤمروا يا بهوات

تأخرَ "فهمي" قليلاً خلف "عزيز" خوفاً من لهجة المرأة فرد الأخـير قـائلاً بثبات :

- احنا جايين نقابل الشيخ "حبظلم"

تغيرت تعابير وجه السيدة مرة أخرى ، يبدو أن هذه التغيرات مـن طبيعـة عملها ، ودون أن تنطق رجعت إلى مكانها الأساسي ثم قالت :

- وماله ... بس الشيخ لازم يأذن الأول

ومدت يدها لـ "عزيز" إشارةً على أنها تريد بعض النقود فأخرج عزيز ٥٠٠ جنيهاً وأعطاها لها ففرح وجهها العبوس ودخلت بسرعة إلى غرفةٍ مجـاورة حيث يجلس فيها الشيخ حبظلم وأمامه موقد به نار ، نظر بطرف عينه فرأى السيدة قادمة عليه فقال لها :

- هاااا .... إيه الاخبار ، شكلها أخبار حلوة

اقتربت المرأة منه وقالت بفرح :

- إلا حلوة ، حلوة أوي كمان ، ناس بهوات شكلهم متريشـين أوي و ... ادوني ٥٠٠ جنيه

وأشارت إلى صدرها حيث المخبأ الرسمي لها ، فوضع يده ليأخذ النقود فقالت برقة ودلع يتنافيا تماماً مع وجهها العبوس الذي كانت عليه قبل قليل :

- دول بتوعي أنا .... الله

بطرف عينه نظر إليها الشيخ قائلاً :

- ومن امتا في فرق بيني وبينك ، هاتيهم وبعدين نتكلم في الموضوع ده

وضعت المرأة كلتا يديها على صدرها وقالت :

- يا راجل سيبهم يتدفوا شويا في حضني ويدفوني

تغيرت ملامح وجه الشيخ إلى الغضب وقال :

- بقولك هاتيهم أحسن ما انتي عارفة هعمل إيه

كان تهديداً ما تعرفه المرأة جيداً لذلك تراجعت عن ما كانت تنتويه وأخرجت النقود من مخبأها وقالت :

- خد ....

ثم وضعت كلتا يديها في منتصفها وقالت وهي تهز أحد قدميها :

- أعمل إيه أنا مع الناس اللي بره دي

قال وهو يعد النقود بطريقة فكاهية تدل على فرحته بها :

- شويا كده ودخليهم

نهضت المرأة ورجعت إلى حيث ينتظرها "عزيز" وصاحبه وجلست دون أن تتكلم فقال لها الأخير :

- هو احنا مش هندخل نقابل الشيخ دلوقتي

قالت المرأة :

- شويا كده وهدخلكم ، أصل الشيخ عنده ضيوف دلوقتي

نهض "عزيز" واقترب منها وقال هامساً :

- طب وهما الضيوف دول دافعين أكتر مننا

بحركة فجأئية مُتْقَنة قالت المرة وهي تتصنع أنها تدافع عن "عزيز":

- معلش سامحوه ، ميعرفش حاجة ، ميقصدش ، السماح يا أهل السماح

ثم اقتربت من "عزيز" وقالت هامسة :

- متعملش كده تاني أحسن يزعلوا منك

قال "فهمي" مرعوباً :

- هم مين دول اللي يزعلوا

وبينما هم كذلك إذا بصوت من الداخل يقول :

- "عزيز" و"فهمي" يدخلوا

في وسط الذهول الذي اعترى الاثنين قال "عزيز" :

- هما عرفوا أساميا منين

قالت المرأة بنبرة مهددة :

- متسألش ف اللي ميخصكش ، اتفضلوا يا بهوات الشيخ مستنيكم

تقدم "عزيز" وخلفه "فهمي" إلى باب الحجرة ودخلا حتى جلسا أمام الشيخ.

كان الشيخ ينظر أسفل قدميه وكأنه اساساً لم يشعر بوجودهما فقال "عزيز" :

- مساء الخير يا مولانا

لم يتحدث الشيخ وأمسك بشيء ما ووضعه في النار التي أمامه فارتفعت عالية إلى سقف الحجرة وهبطت مرة أخرى ، مما جعل قلبيهما يرتجفا خوفاً فقال "فهمي" :

- إيه يا راجل انت الرعب اللي انت عاملهولنا ده

وأخيراً نطق الشيخ بثقة وقال :

- ازيك يا "عزيز" بيه وازيك يا واد يا "فهمي"

قال "فهمي" في غضب :

- احترم نفسك يا راجل انت إيه يا واد يا "فهمي" دي

ثم عقَّب "عزيز" متسائلاً :

- إيه ده انت عرفت أساميا ازاي

قال الشيخ وهو يُلقي شيئاً أخر في النار فتعلو وتهبط كساحر يقدم أحد فقراته في السرك :

- كل شيء متقدر ومكتوب ، والمكتوب مفيش عنه مهـروب ، ومعـروف من فاز ومين مغلوب ، ربك مطلع على سر القلوب ، وهو وحده سـتَّار العيوب

وهو يشعر بالحيرة أراد أن يكتسب بعض الدقائق قال "عزيز" :

- أنا كنت جاي عشان .....

قاطعه الشيخ قائلاً بهدوء :

- عشان ما بتخلفش ونفسك تشوف ليك ابن يحمـل اسـمك ويحفـظ ثروتك من اخواتك اللي طمعانين فيك

فرح "عزيز" وزاد تفاؤلاً عندما رأى ذلك الإبداع من الشيخ فقال بفرح:

- الله ينور عليك يا مولانا ، وليك الحلاوة الكبيرة

ثم إلتفتَ إلى "فهمي" الذي ظهر على وجهه الذهول وقال :

- مش قولتلك أنا متفائل

وقف الشيخ فجأة وكأنه تذكر شيئاً ما ، ثم قال بطريقة غريبة :

- انت معمولك عمل خطير ، وعشان يتفك يحتاج مبلغ كبير ، يـا تـرى هتدفع ولا هتعيد التفكير ، وعلى فكرة المبلغ ده مش ليا لا سـمح الله ..... ده عشانهم

مستغرباً ومستفهماً تسائل "فهمي" :

- هما مين دول

قال الشيخ بطريقة فكاهية :

- انت تاني ، يا ابني اهدا ومتسألش كتير ، ده لو عـايز تـروح بيـتكم سليم يا كبير

اندرأ "فهمي" ريقه بصعوبة وسكت ، ثم قال "عزيز" :

- هدفع ، هدفع ، هديك اللي انت تقول عليه

وقف "فهمي" غاضباً ثم قال بعد نسي خوفه :

- ليه يعني اللي هو هيقول عليه ، انت يا راجل انت عايز كام

نظر الشيخ إلى "فهمي" بطرف عينه نظرة جعلته يتسمر في مكانه ثم قال :

- يا واد يا "فهمي" انت متبطلش كلام ، اسكت ولا ألبسك جن يخليـك تسهر ولا تنام ، ولا حتى تعرف تدخل الحمام ، تمام

قال "فهمي" برعب :

- تمام تمام ، ادفعله يا "عزيز" بيه اللي هو عايزه

قال "عزيز" بمزحة :

- آه يا جبان

بعد خطوتين للخلف قال "فهمي" بخوف :

- بيقولك جن يا عم ، أنا عاوز أمشي من هنا

همَّ بالانصراف فأوقفه الشيخ قائلاً :

- استنى عندك ، هو دخول الحمام زي خروجـه ، اقعـد ، ومسـمعش صوتك تاني

دون أن ينطق بشيء جلس "فهمي" فقال "عزيز" :

- اسكت يا "فهمي" يا أخي ، خلاص يا مولانا أنا هديك اللي انت عايزه

بعد تفكير دام لعشرة ثوان قال الشيخ :

- أنا مش هاخد كتير ، هما بس عشر تلاف جنيه ، ودول مش ليـا زي ما أنا قولتلك ، أنا حيا الله خادم عنديهم

بدون تفكير قال "عزيز" :

- موافق

لكن" فهمي" قد غلبه خوفه الشديد على مصالح "عزيز" فقال بحنق :

- عشر تلاف جنيه ليه ، دا مرتبي في خمس شهور

نظر إليه الشيخ نظرة ثم قال مهدداً :

- انت مش بتحرم يا "فهمي" ، ومش بتسمع الكـلام وده مـش حلـو عشانك

ثم غمز له بعينه قائلاً :

- انت فاهمني طبعاً

جلس "فهمي" وهو يقول :

- خلاص ، خلاص

أخرج الشيخ ورقة من جيبه وأخذ يخط بيده بعض الشخابيط في وجهة نظر من يراها ، ولكنها لابد أن تكون لها مدلول ما في وجهة نظره أو ربما هي فعلاً بعض الشخابيط ، امتلأت الورقة فقلبها الشيخ وكتب على ظهرها مثل الذي كان يكتبه حتى لم يدع فيها موضوع نقطة إلا وبها بعض الطلاسم الغريبة ، ثم طوى الورقة بطريقة ما حتى جعلها على شكل مثلث متسـاوي الأضـلاع بطريقة احترافية يبدوا أنه قد تعود عليها ، ثم جاء بقطعة قمـاش صـغيرة ولف بها الورقة وبإبرة وخيط خاطها ، وبعد ذلك أمسك بدورق مـن الميـاه وصب قليل منه في كأس زجاجي وأخذ يرتل عليـه بعـض التمتمـات الغـير مسموعة لجالسيه وبعد أن فرغ وقف ووزع الماء على أركان الحجرة الأربعة ، كان يسكب الماء وهو ما زال يقرأ ويرتل حتى فرغ الكأس ، ثم عاد إلى مكانه وأمسك بالدورق وملأ الكأس على آخره وأخذ يقرأ مرة أخرى وبعدما فرغ من قرائته أمسك بكيس شفاف وسكب به الماء وربطه ووضعه جانباً ثم أمسـك ورقة أخرى وكتب بها بعض الكلمات ولكنها مفهومة هذه المرة ثم اتجـه إلى عزيز محدثاً :

- الحجاب ده تحطه تحت المخـدة الـلي بتنـام عليهـا انـت ومراتـك ، وميفارقش أوضة نومك أبداً ، ده أولاً ، .... ثانيـاً الميـه دي تتخفـف وتتدوب في عشرة لتر ميه وتشربوا منه انت ومراتك لحـد يـوم ١٥ في

الشهر القمري ولازم في ليلة ١٥ تجامع مراتك ، وعايزك قبل الجمـاع تقول الكلام ده

أمسك "عزيز" ما أعطاه له الشيخ ونظر في الورقة فوجد كلمـات لـم يجـد صعوبة في قراءتها ولكن الصعوبة في فهم معناها ، كانت مرتبة بترتيب غريب ، كانت الجمل غير ذات معنى فنظر إلى الشيخ ففهم الشيخ سؤاله فقال له :

- اقراها زي ما هي كده ، وخلي بالك مراتك لازم متعرفش حاجـة عـن كل ده ، ولا تعرف إنك جيت هنا من أساسه

أومأ "عزيز" متفهماً ثم قال :

- ربنا يطرح فيك البركة يا مولانا

ثم وقف وانصرف بعدما أعطى للشيخ المبلغ المتفق عليـه وخلفـه "فهمـي" يضرب كفاً بكف حتى وصلا إلى سـيارته وركباهـا وأدار "عزيـز" محـرك السيارة وانصرف وبينما هما في طريقهما للعودة قال "فهمي" :

- والله يا "عزيز" بيه ما كان ليه لزوم كل المشوار ده ، أنا حاسـس إن الراجل ده نصَّاب
- لا يا أخي ، انت مشفتش عرف أساميا ازاي ، وعرف مشـكلتي مـن قبل ما أحكي ، شكله صح راجل مبروووك ومكشوف عنه الحجـاب ، هو النهارده كام في الشهر

رد "فهمي" بلا مبالاة :

- النهارده أول يوم

قال "عزيز" بحسرة :

- ياه لسه هستنا أسبوعين

نظر إليه "فهمي" ، غير مصدق ما يسمعه ، ما كان يصدق أن "عزيز" بجلالة قدره يمشي وراء هذه الخرافات ويزور تلك الأماكن ولكنه أقنع نفسـه بـأن الحالة التي بها "عزيز" ليست بهينة ، فحرمانه من الإنجاب أمراً ليس سهلاً

عليه ، ظلَّ يفكر وهو يتابع السيارات الأخرى في الطريــق المعــاكس دون أن ينبس أحدهما ببنت شفة حتى وصل كلٌ منهما إلى مبتغاه

*****

٣

فرح قلبه بـ"واد"

بعد مرور ثلاثة عشر يوم

كان "عزيز" يجلس في مكتبه يلملم بعض أوراقه ويضغط على زر استدعاء السكرتيرة التي ما لبثت أن حضرت في أقل من نصف دقيقة فقال لها وهو ما زال منهمكاً في جمع أوراقه :

- ابعتيلي "فهمي" بسرعة
- تحت أمرك يا فندم

وانصرفت السكرتيرة وفي أقل من دقيقة كان "فهمي" يطرق الباب ويـدخل وهو يقول :

- على فين العزم يا "عزيز" بيه مش عادتك
- أنا عايزك تاخد بالك من الشغل أنا هروَّح ، النهـارده ميعـاد تنفيـذ الخطة يا "فهمي" ، انت نسيت ولا إيه ، أنا هروح أستعد من دلوقتي

ثم أمسك "فهمي" من كتفيه بفرح ، فابتسم الأخير قائلاً :

- ولو أني مش مصدق ، بس طبعاً بدعيلك ربنا ينولك اللي ف بالك

وبينما هما كذلك إذا بجرس الهافت يرن فيلتقط السماعة ويرد :

- أيوه

كان صوت السكرتيرة يقول له :

- المدام على التيلفون يا فندم
- طب حوليهالي بسرعة ..... خير يا "نسرين" فيه ... طب اهدي بـس واحكي مالك

جاء صوت زوجته "نسرين" في الهاتف مختلطاً مع بكائها :

- أيوه يا "عزيز" ، أخويا اتصل بيا وقالي إن بابا تعبان ، وأنا هروحله دلوقتي

قال بتأفف :

- طب هو لازم النهارده ، ما تخليها بكـرة ونروحلـه سـوا مـش لازم النهارده

قالت بلهفة وتوَّسل :

- بليز يا "عزيز" هروح وهرجع بالليل ، ربما بعد الـــشر يمـوت ومـا أشفهوش ، يبقى ذنبي في رقبتك وبعدين ....

قاطعها "عزيز" بفراغ صبر قائلاً :

- خلاص خلاص يا "نسرين" روحي وأمري لله ، بس قبل الليل ما يليل تكوني في البيت ، مفهوم ؟!
- حاضر .. حاضر

أغلق "عزيز" الخط وخبط السماعة على مكتبه في غيظ فقال له "فهمي" :

- خير يا "عزيز" بيه مالها "نسرين" هانم

نفخ "عزيز" نفثاً من سيجارته ، وعاد مرة أخرى وجلس على مكتبه قائلاً :

- أنا عارف حظي الأسود ، يعني ابن المدايقـة محبكـتش يتعـب غـير النهارده ، في اليوم اللي مستنيه بقالي أسبوعين

قال "فهمي" مواسياً :

- معلش يا "عزيز" بيه ظروف ، إن شاء الله تتعدل
- ماشي

ثم غادر "عزيز" المكتب في وسط الدعوات بأن تعود زوجته قبل المساء كما قالت .

قضى يومه في منزله ما بين مللٍ وسخطٍ وسبٍ وقذفٍ ولعنٍ في الظروف ، كان من الوقت لآخر يهاتف زوجته ويطلب منها العودة ، وهي تعده أنها ستكون عنده قبل آخر شعاع للشمس ، وها هو آخر شعاع يطلب الأذن بالرحيل و"نسرين" لم تعد للمنزل كما قالت ، وها هو "عزيز" يضرب الأخماس بالأسداس ويغلي من فرط الغيظ والحنق على زوجته وعلى والدها وعلى الدنيا بأسرها وبينما هو كذلك إذا بالهاتف يدق فيرد بسرعة فإذا بها زوجته وعندما سمع صوتها صرخ عالياً :

- انتي يا هانم مش قولتي هتيجي قبل الشمس ما تروح ، اتأخرتي ليه

جاءه الرد المفجع أنها لن تأتي لأن والدها قد توفَّاه الله وستمكث في بيت والدها إلى حين انتهاء مراسم الدفن .

أغلق الهاتف بسرعة وأخرج سيجارة من جيبه وأشعلها في غيظ وهكذا السيجارة تلو الأخرى حتى فرغ من علبة كاملة ثم نادى بعلو صوته :

- اعملي قهوة يا عم "حسين"

عم "حسين" رجل كبير يعمل في منزله منذ فترة كبيرة ، وما هي إلا لحظات حتى حضر عم "حسين" يحمل صينية عليها فنجان قهوة ويضعها أمامه وينصرف .

أمسك "عزيز" بالفنجان وأخذ منه رشفة فلم يستطعمها في فمه فرمى بالفنجان على الارض فتكسَّر وعلى صوت تكسيره رجع عم "حسين" ملهوفاً يسأل :

- سلامتك يا "عزيز" بيه سيادتك تعبان أتصل بالدكتور ؟

أومأ "عزيز" برأسه رافضاً ثم قال :

- تخيَّل يا عم "حسين" لو معاك الفلوس اللي معايا دي كلهـا هتكـون سعيد ومبسوط

ابتسم عم "حسين" وقال مازحاً :

- الله يسامحك يا "عزيز" بيه ، بس على فكرة الفلوس مش كل حاجة ، أنا وولادي طول عمرنا راضيين بحالنا وحامدين ربنا وشاكرينه

وضع "عزيز" رأسه بين يديه ثم قال :

- عندك حق يا عم "حسين" إيه فايدة الفلوس لو مش مريحة صاحبها ، أنا هو قدامك معايا فلوس وشركات ومصـانع عشـان أعـدَّها بـس هحتاج شهر ، بس للأسف كل الفلوس دي مش قادرة تجيـبلي حتـة ولد أفرح بيه

بحزن ظهر جلياً على وجهه قال مواسياً :

- خلي ثقتك في ربنا كبيرة يا "عزيز" بيه

كان عم "حسين" فرحاً لأنه ولأول مرة "عزيز" يحدثه بهذه الطريقة اللينة ، فالأخير طالما سبه لأتفه الأسباب بسبب أو بدون ، طالما خصم من مرتبه لشيء لا ذنب له فيه ، ولكن اليوم مختلف يبدو أن سيده لديه الكثير من الكلام يود أن يقوله ولا يوجد أمامه إلى هو ، فأنصت له حين قال :

- ربنا اداني كل حاجة وحرمني من أهم حاجة وكأنه قاصد يعاندني
- استغفر الله العظيم ، متقولش كده يا بيه ، ربنا لما بيمنع عننا حاجـة بتبقى لحكمة هو عارفها وحده ، عمره ربنا مـا بيكتـب لنـا حاجـة وحشة ، مش يمكن كده أحسن ليك

ظهرت علامات الدهشة والاستغراب على وجه "عزيز" ثم قال :

- أحسن ليا ... أحسن ليا أبقى زي الشـجرة المقطوعـة الـلي ملهـاش مستقبل ، أحسن ليا أبقى مقطوع ميبقاش ليا ظهـر وسـند أتسـند

عليه لما أكبر وأعجز ، أحسن ليا إني فلوسي وشركـاتي وثروتـي الـلي طفحت الكوتة عشان أجمعها تروح هدر ، ياخـدوها اخـواتي أكـتر ناس كرهتني في الدنيا دي كلها ، أحسن ليا إنهـم يعـايروني عشـان مش بخلف ، أحسن إيه بس وبتاع إيه .

رأفةً بحاله قال "حسين" :

- استهدا بالله كده يا بيه واطلع ريحلك شويا ، حضرتك تعبان أوي

وقف "عزيز" وأمسك مفاتيح سيارته وقال :

- لا أنا مش عايز أنام ، أنا هطلع أتمشى شويا بالعربية ، مخنوق

وقف أمامه "حسين" ليعوق طريقه قائلاً :

- هتسوق ازاي يا بيه وحضرتك ف الحالة دي ، استنى طيـب أتصـل بالسواق أخليه يجي

أزاح "عزيز" "حسين" بيده وخرج وأدار محرك سيارته وظل يسير بها حتى انتصف الليل ، شعر بإرهاق شديد فأوقف السيارة جانب الطريق ثم أغلـق زجاجها واتكأ برأسه للخلف وراح في سباتٍ عميق .

لم يعرف كم من الوقت مرَّ عليه حين أيقظته أشعة الشمس الحـارة عنـدما تسلطت عمودية على وجهه ، فتح عينيه ليرى نفسه في سيارته فتـذكر ليلـة الأمس وما حدث بها ، أدار محرك سيارته متخذاً طريـق العـودة إلى منزلـه وبينما هو في طريقه وقع عينيه على منظر غريب ، رأى سيدة في مقتبل عمرها ، تحمل طفلين على كتفيها ويبدوا عليهما الجوع والفقـر ، وقـف بالسـيارة يتأمل ذلك المنظر ، كان يتسائل كيف لهذه السيدة الفقيرة التي لا تملك مـن حطام الدنيا شيئاً أن يكون لها طفلين؟ وهو بكـل مـا أوتـي مـن مـال لا يستطيع أن ينجب واحداً ، ظل يفكر كثيراً بحسرة في ذلك وبينما هو كذلك إذا لاحظت المرأة شروده فقدمت إليه قائلة :

- حاجة لله يا بيه ربنا يعمر بيتك أنا والعيلين اليتامى دول ما أكلنـاش من امبارح . .....

قالت المرأة كثيراً وثرثرت كثيراً ، لكن "عزيز" لم يسمع شيئاً من تلك الكلمات ، كان كل تفكيره منصب على قدر الله وحكمته في أن يعطي لهذه المرأة طفلين وهي لا تستطيع حتى أن تنفق عليهما ، لأنها لا تملك شيئاً تنفقه عليهما ، كان يتعجب كثيراً ، ويتساءل ما الذي تملكه تلك المرأة وهو لا يملكه ، مـا الـذي تزيده هذه المرأة عنه ، كاد أن يقتله التفكير إلى أن أخرجته المرأة من صـمته حين قالت بعدما خبطت بيدها على زجاج السيارة :

- حاجة لله يا بيه

إلتفت حوله باحثاً عن شيئاً يعطيه لها ، بحث عن محفظته ، وجدها أخيراً في جيب معطفه الذي ألقاه في المقعد الخلفي ، فأخرج ما بها من نقود وأعطـاه للمرأة ، كان المبلغ كبيراً ، كبيراً جداً ، يكفي المرأة لأيام بـل لأسـابيع فقالـت بفرح :

- ربنا يخليك يا بيه ويخليلك ولادك

سكين تالمة قد غرزتها السيدة في صدره ، فقال بأسي :

- ولادي ؟!

وأخذ يبكي وقد تكون هذه أول مرة في حياته يبكي ، رأفـت السـيدة لحالـه وقالت بعطف :

- مالك يا بيه ، سعادتك كويس

مسح دمعتين بيده ثم قال :

- تعرفي إني البيه اللي انتي شايفاه قدامك ده ، برغم فلوسه اللي ملهاش عد ولا حد ، مش عارف يخلف حتة عيل يورثه

كان لا يعرف لماذا أخذته تلك السيدة لعالمها ، "عزيز" الذي كان لا يصـافح عُمَّال شركته ، فجأة يتحدث مع سيدة شحاذة ويشكو لها حاله فقالت له :

- هدي نفسك يا بيه محدش عارف الخير فين ، مش يمكن قلة الخلفة تكون فيها الخير والصالح ليك ، ساعات ربنا يبقى حارمنا من حاجة بنحبها عشان لوحده هو اللي عارف إن فيها ضرر لينا

قال باستغراب :

- ضرر ! ضرر ضرر بس أشوف ابن ليا قبل ما أموت ، وبعدين كل أما أكلم حد يقولي خير خير ، أنا عايز الشر عايز الشر عايز الشر

رفعت كلتا يديها للسماء :

- يا رب زي ما الراجل ده وسَّع عليا أنا وأولادي فرح قلبه بواد

سمع "عزيز" تلك الدعوة فأحس براحة لم يعرف مصدرها ، انطلق بسيارته بسرعة إلى منزل أهل زوجته حيث قام بواجب العزاء واصطحب زوجتـه إلى منزله .

****

٤

خبر سعيد

في دكانــه الصــغير عــلى ناصــية الحــارة الصــغيرة كــان "جــابر" يقــف وهــو يرتــب بعــض بضــاعته حــين ســمع صــوتاً مألوفــاً بالنسبة له يناديه من أعلى قائلاً :

- صباح الخير يـا عـم "جـابر "، وحياتـك كيلـو سـكر وكـيس رز وورقتين شاي

ابتسم "جابر" وهو يجهز تلك الطلبات ويحملها ويضعها في سبت قد أنزلته له السيدة ويضعه فيه وهو يقول :

- صباح الخير والسعادة والرضـا يـا أم "محمـد" ، ازيـك وازاي أبـو "محمد" و"محمد" ، كلكم عاملين إيه مش كويسين

ردت السيدة وهي تسحب الحبل :

- بخير نحمد ربنا يا عم "جابر" ، معلش بقى اصـبر علينـا شـويا في الفلوس عبال ما أبو "محمد" يقبض الماهيه

نظر إلى الأعلى بامتنان :

- يا ستي هو أنا قولت حاجة ، براحتكم
- يكرم أصلك يا راجل يا طيب

وبينما هما كذلك إذا بصديق عمره "ربيع" يمر بجانبه وهو يقول :

- أيوه افضل كده انت بيع ع النوتة لحد ما تلاقي نفسـك فلّسـت ، يـا راجل انت فاتحها جميعة خيرية

ابتسم "جابر" وهو يقول :

- يا راجل المركب اللي فيها لله مش بتغرق ، وبعدين أم "محمـد" مـش غريبة يعني ، دي زي أختي ، كفاية إنها من ريحتك

ولكن السيدة قد سمعت "ربيع" فقالت له موبخة :

- وانت مالك يا راجل انت ، ما تخليك في حالك ، حقه بطلوا ده واسمعوا ده .

شعر "ربيع" بالحرج فقال :

- صباح الخير يا أم "محمد" مش بقصدك انتي والله ، أنا قصدي عـلى ناس تانية

تمصمصت السيدة وقالت :

- لا يا راجل .... طيب برضه خليك في حالك ، أحسن وديني انت عارف أنا ممكن أعمل إيه

أحس "ربيع" بالتهديد في كلماتها فقال لها :

- يا ستي ولا تعملي ولا أعمل ، مكانتش كلمة قولتها ع الصبح دي ، يـا ساتر

تَدَخَلَ "جابر" ليفض النزاع قائلاً :

- يا جماعة استهدوا بالله كده ، انتوا دايما كده ناقر ونقير ، ايش حـال مكنتوش ولاد عم

قالت السيدة شاكية :

- أديك شايف يا عم "جابر" تلقيحه بالكلام علينا ، هو احنا عمرنا كلنا عليك فلوس يا عم "جابر"

قال "جابر" مازحاً :

- الشهادة لله محصلش ، بس "ربيـع "ميقصـدش حاجـة والله ، هـو بيتكلم على الناس التانية ، ميقصدكش انتي والله يا أم "محمد"

قال "ربيع" مؤكداً :

- أيوه صح ، الراجل ده من يوم ما فتح دكانته وهو فاتحها سبيل ، أي حد عايز حاجة بياخدها ومش بيحاسب الناس أول بـأول ، والنـاس بتستعبط ، وهوا وبيته أولى بكل قرش

قالت السيدة بعدما عادت للنبرة الصارخة :

- وهو كان شكى لك ، انت مالك ، عيِّنت نفسك المحامي بتاعه ، يا راجل يا عايب .....

ضاق "ربيع" ذرعاً بوابل القذائف الذي أمطرته به السيدة فقال مهدداً :

- اخرسي يا ولية ، ليكي راجل أتكلم معاه ، وخـشي ياله شوفي وراكي إيه ، صدق اللي قال ناقصات عقل صحيح

ابتلعت السيدة كلمات "ربيع" ولم تعقب إلا بمصمصة بفهمـا وهـي تغلـق شباكها بعنف.

تحرك "ربيع" ناحية الدكان ثم قال :

- داهية تاخدك ولية فقر ، والله لولا إنك قريبتي وجوزك كويس معايـا كنت دفنتك بالحيا

ضحك "جابر" على كلمات "ربيع" وطريقته فقال له :

- يا راجل حد برضه يعمل عقله بعقل واحدة ست ، دول ناقصات عقل ودين زي ما انت بتقول ، مش ده رأيك فيهم برضه

جلس "ربيع" على كرسي بجوار "جابر " ثم قال :

- مش كلهم يا "جابر" يا أخويا

رجع "جابر" بظهره إلى الوراء وهو يصفف شعره بيده قائلاً :

- عندك حق والله أنا عندي واحدة بالدنيا كلها
- سيدي يا سيدي ، ومن الحب ما قتل ، الا قولي يـا "جـابر" ، مفـيش أخبار جديدة

تنهد "جابر" دليل على عدم الارتياح ثم قال :

- ولا قديمة ، بس أنا عادي بطلت أهتم بالموضوع ده ، سيبتها على الله
- ونعم بالله يا أخويا

بينما هما يتحدثان فإذا بإبنة "ربيع" الصغيرة تأتي مهرولة وتقـول وهـي تلهثُ :

- إلحق يا عم "جابر" ، تـنط "ثنـاء" تعبـت فجـأة ومامـا راحتلهـا وبتقولك تعالى بسرعة عايزاك

أغلق "جابر" دكانه بسرعة وانطلق إلى منزله وخلفه "ربيع" جاره وصـديق عمره .

وصلا بسرعة للمنزل فدخل "جابر" إلى حجرة نومـه حيـث ترقـد زوجتـه وحبيبته "ثناء" وانتظر "ربيع" في الصالة.

عندما دخل "جابر" كانت علامات القلق واضحة على وجهه فقال بلهفة :

- خير يا "ثناء" مالك

لم يلاحظ "جابر" وجود شخص آخر بالحجرة ، كـان هـذا الشـخص هـو "عفاف" زوجة "ربيع" الصديقة المقربة لزوجتـه وجارتهـا ، فالعائلتـان جيران من نعومة أظفارهم .

اقترب "جابر" من زوجته وربت على يدها وهو يقول :

- أروح أجيب دكتور طيب

هزت "ثناء" رأسها نفياً ثم قالت :

- لا لا لال مش مستاهلة يا "جابر" أنا كويسة ، شوية دوخـة وراحـوا لحالهم
- مفيهاش حاجة لو روحنا نطمن عليكي ، هو احنا عندنا كام "ثناء"

قبَّلت "ثناء" يد زوجها قائلة :

- ربنا يخليك ليا ، يا راجلي وسندي وضهري

وهنا تدخلت "عفاف" قائلة :

- سيدي يا سيدي ، احم احم ، نحن هنا ، خاف بقى أحسـن أحسـدكم من كتر الرومانسية دي ، يا أخويا ما تعلم صاحبك شويا من الكـلام الحلو ده ، ما انتو صحاب في كل حاجة ، وزي بعض في كل حاجـة ، اشمعنا الحاجة دي مش زي بعض فيها

شعر "جابر" ببعض الإحراج حين لاحظ وجود "عفاف" فقال معتذراً :

- ازيك يا أم "علي" ، منورة البيت ، معلش مخدتش بالي إنك هنـا مـن كتر الخضة ، وبعدين أبو "علي" هو اللي معلمني الكـلام ده ، انتـي بس مش فاهماه ، والنبي بس تقنعي "ثنـاء" إننـا نـروح للـدكتور نطمن عليها

قالت "عفاف" بابتسامة جميلة :

- متتخضش أوي كده ، انت لو تعرف اللي فيها هتفرح

علت الدهشة على وجه "جابر" وكذلك "ثناء" التي قالت تحسها على السكوت:

- بس يا "عفاف" ، احنا اتفقنا على إيه

رد "جابر" بحيرة :

- انتوا مخبيين عني إيه ، فيه إيه يا جماعة

وقفت "عفاف" وبعد تفكير دام لثواني قالت :

- بص بقى أنا مش هقدر أفضل ساكتة أكـتر مـن كـده ، مـبروك يـا "جابر" مراتك حامل

لم يتمالك نفسه من الفرحة فقال غير مصدقاً :

- الكلام ده مفيهوش هزار يا أم "علي" ، أنا و"ثناء" طلعنـا الموضـوع ده من دماغنا ، بقى بعد السنين دي كلها يحصل كده ، مـا أظـنش ، احنا خلاص رضينا بالامر الواقع ، ومبقاش يفرق معانا الموضوع ده

أطلقت "عفاف" زغروتة مدوية وقالت بفرح :

- بقلولك ألف مبروووووووك
- انتي متأكدة يا أم "على" من الموضوع ده
- يا "جابر" أنا خلفت تلات مرات قبـل كـده ومـش صـغيرة عشـان أتلخبط في حاجة زي دي

اقترب "جابر" من زوجته وقال :

- معقولة يا "ثناء" بعد العمر ده كلـه يكـون ربنـا سـمع دعواتنـا ، معقولة يكون حس بينا وخلاص عايز يفرحنا ، معقولة نكون نجحنا في الاختبار وربنا بيكافئنا

وانحنى وقبَّل يدها فقالت له بحب :

- وليه لأ يا "جابر" ، مفيش حاجة بعيدة على ربنا

أغمض "جابر" عينيه وقال :

- يعني أفرح ، ولا الفرحة هتسرقني ويطلع وهم ونعيش فيـه ونفـوق على كابوس بِصَحَّيْ المواجع القديمة

ثم وقف وقال :

- لأ ... مش ممكن ، احنا نروح للدكتور ولازم أتأكد بنفسي

******

٥

مصادفة غريبة

في غرفـــة نـــوم كانـــت الأروع والأحـــلى مـــن نوعهـــا ، كانـــت "نسريـــن" زوجـــة "عزيـــز" ترقـــد وبجوارهـــا والـــدتها في حالـــة من الزعر فقالت لها :

- مالك يا بنتي قلقتيني عليكي

قالت "نسرين" بصوت متقطع ومُجْهَد :

- بقالي يومين مليش نفس لأي أكل ونفسي غامة عليا وعلى طول بَرَجَّـعْ وحاسة بدوخة ، وساعات بحس إن الدنيا كلها بتلف بيا

بَرَقَت عينا الأم وقالت بتساؤل :

- معقولة يكون حصل ؟

باندهاش ردت "نسرين" :

- إيه هو ده يا ماما

زغزغتها في بطنها وقالت بدلع ورقة :

- الحمل يا روح أمك... الحمل ، شكل صبرك جه بفايدة ، اللي بتقـولي عليه ده ملوش غير معنى واحد

ضحكت "نسرين" بسخرية وعدم تصديق وهزت رأسها بشدة تتأكد من أنها مستيقظة ولا تحلم ثم قالت نافية :

- لا . لا . أنا ... لا . لا . لا ... مش ممكن ... لا لا

اندهشت الأم وقالت :

- هو إيه أصله ده

قالت "نسرين" بعد تفكير :

- أنا يا مامي شيلت الموضوع ده من دماغي خلاص، أصله مفيش أمل هو يعني بعد ١٠ سنين حيحصل حمل ، لا لا لا يا ماما لا

قالت الأم نافية :

- وليه لأ يا بنتي ، رحمة ربنا واسعة وانتي صبرتي كتير ، وبعـدين يـا هبلة انتي المفروض تفرحي إنك خلاص هتجيبي الواد اللي بيحلم بيه جوزك ، بدل ما كل شويا تلاقيه داخل عليكي بواحدة جديدة

تأففت "نسرين" بقلة حيلة وقالت :

- والنبي يا مامي متلعبيش بأعصـابي أنـا مـش مسـتحملة ، وبطـلي الخرافات اللي في دماغك دي

فكرت الأم قليلاً ثم قالت :

- طب إيه رأيك نقطع الشك باليقين ونروح لدكتور نتأكد

استحسنت "نسرين" الفكرة ثم قالت :

- حاضر يا ماما ، نروح لدكتور عشان تشيلي الوساوس دي من دماغك ، بس بشرط متقوليش لـ "عزيز" حاجة لحد ما نتأكد
- حاضر ، بس أي دكتور هنروحله هيقول لـ "عزيز" ما انتـي عارفـة كل الدكاترة عارفينه

- طب ما نشوف دكتور صغير ميكـونش مشـهور ، حتـى لـو عيـادة صغيرة ، أهو على الأقل نتأكد الأول
- فكرة حلوة أوي ، إيه رأيك لو نروح الحارة اللي ساكن فيهـا خالـك ، فيها دكتور هناك نكشف عنده ، وأهو بالمرة نسلم عـلى خالـك ، ليـا فترة مشفتهوش
- لأ ، احنا نروح العيادة الأول ، وبعـدين خـالي لـو عـاوزة تروحيلـه روحيله لوحدك
- براحتك يا بنتي

كان القدر يلعب لعبته المعتادة فكان "جابر" يسند "ثناء" وهما خارجين من عند الطبيب وهو يطير من الفرح لأن الطبيب قد أكد له حمل زوجته في الشهر الثاني ، أكد له أن المعجزة قد حدثت وأنه أخيراً سيصبح أب ، أخيراً سينجب الولد الذي يحمل اسمه .

كان "جابر" يعتقد أنه في حلم جميل كان يدور حول نفسه كالطفل الصغير الذي للتو أحضر له والده لعبة كان قد ألح عليه في الطلب بها كثيراً ، وبينمـا هو في دورانه يصطدم بجسدٍ ما ، كان هذا الجسد لـ"نسرين" التي ما لبث أن وقعت أرضاً من فرط قوة اندفاع "جابر" فأوقفها الأخير بيده معتذراً :

- أنا آسف يا سـت هانم ، أصلي فرحان أوي ، مراتي بعـد عشر سـنين بقت حامل

كانت "نسرين" تنتوي أن تُوبِله بمطرٍ من السباب ، ولكن حين سمعت كلمة عشر سنين ، أحست بأن هناك رسالة لها من ذلك الاصطدام فاكتفت بكلمة :

- حصل خير

جلست "نسرين" على أحد مقاعد الانتظار في العيادة البسيطة ، بينما تولَّت والدتها التحدث مع الممرضة ودفع رسوم الكشف ثم عادت تجلـس بجـوار ابنتها تنتظرا دورهما في الكشف .

مرَّ من الوقت ما مرَّ على "نسرين" لم تكن تعرف ما بها ، قد تملَّكت منها أحلام اليقظة ، تارة ترى نفسها وهي تبلغ "عزيز" بأنها حامل وتبتسم حين ترى مدى سعادته وفرحه ، وتارة تجد نفسها تتوحم وتطلب من "عزيز" أن يحضر لها رنجة بصوت الفنانة "شادية" في فيلم الزوجة الـ ١٣ ، وتبتسم وهي تسرح حين ترى ولدها وتلعب معه وتلاعبه وتُقبِّله وهي تضمه لحضنها ، لم تفق من حالتها تلك إلا على يد والدتها وهي تهزها برفق حين ندهت الممرضة على اسمها فقد جاء دورها لتدخل للطبيب ، كانت تقدم قدم وتؤخر الأخرى فهذه الدقائق فاصلة في حياتها ، حين قررت مع والدتها أن تذهب للطبيب لم تكن بتلك الحالة ، ولكن لا تعرف ماذا حدث لها حين دخلت تلك العيادة وبالتحديد حين سمعت كلمات "جابر" .

تممدت على السرير وأجرى الطبيب فحوصاته ثم نهض الطبيب وجلس على مكتبه وخلفه هي بعدما عدَّلت من هندامها وجلست أمامه هي ووالدتها وكأن على رؤوسيهما الطير ، وكأن الطبيب أراد أن يلعب على أوتار صبرهما لم ينطق بكلمة لمدة تعدت الثلاثين ثانية ولكنها كانت بالنسبة لهما ثلاثين يوماً ثلاثين شهراً بل ثلاثين سنة وأخيراً نطق الطبيب فقال :

- والله ما عارف أبدأ الكلام منين

كانت كلمة بمثابة الشرارة التي وضعت بجانب البنزين فقالت الأم مستفهمة :

- إيه ؟ هو الموضوع خطير للدرجة دي؟

كان الطبيب يقرأ ما يدور في أعين الاثنين فأراد أن يلعب قليلا بأعصابهما فقال :

- لا يعني مش أوي كده

خفضت "نسرين" رأسها أرضا وكأنها أيقنت بالفشل ، أيقنت بأن ما كان بها منذ قليل كان مجرد حلم بعيد المنال ولن يحدث فقالت الأم :

- قلقتنا يا دكتور ما تقول فيه إيه واتخلصنا

قرر الطبيب أخيراً أن يرحم ضعفهما وعذابهما فابتسم ابتسامة بسيطة ثـم قال :

- ألف مبروك المدام حامل في الشهر التاني

كانت الفرحة كثيرة لدرجة عدم تصديقها فقالت "نسرين" صارخة :

- مستحيل

اندهش الطبيب من ردة فعلها تلك فقال مستفهماً :

- ومستحيل ليه ، هو حضرتك مش متجوزة ولا إيه ؟!

أيقنت الأم أن الطبيب قد فهم شيئاً خاطئاً فقالت مصححة :

- لا طبعاً متجوزة ، دي حرم "عزيز بيه الدمرداش" ، حضرتك تعرفه أكيد

زادت دهشة الطبيب ثم قال :

- ومين في مصر ميعرفش "عزيز بيه الدمرداش" بس مش غريبـة دي إن حرم "عزيز بيه الدمرداش" جاية تكشف عندي هنا في العيـادة ، أنا مش بقلل من قيمتي لا سمح الله ، أنا بس مستغرب

أرادت "نسرين" أن تبرر الموقف فقالت :

- أنا و"عزيز" متجوزين من ١٠ سـنين ودوخنـا ع الـدكاترة وكلهـم قالولنا مفيش أمل ، فلما شكيت في حاجة قولت أتأكد الأول قبـل مـا أعشمه بحاجة وفي الآخر يكون كل ده كلام ملوش أساس

أومأ الطبيب برأيه متفهماً فقالت "نسرين" :

- حضرتك متأكد يا دكتور إني حامل

ضحك الطبيب كثيراً حتى بانت نواجذه ثم قال :

- حضرتك في عيادة دكتور نسا وتوليد مش في ورشة خراطة وأنـا والله دكتور ، تحبي أوريكي الشهادة بتاعتي ، أهـي متعلقـة ع الحيطـة هناك أهي

ضحكت "نسرين" لمزحة الطبيب وقالت :

- يا دكتور بالله عليك اتأكد تاني ، عايزاك تراجع منـاهج كليـة الطـب كلها قبل ما تقولي إني حامل

ألقى الطبيب رأسه على مكتبه غير مسيطراً على نفسه من كثرة الضحك ثـم قال :

- حاضر يا ستي ، في منهج سنة أولى بيقول إنك حامل ، ومنهج سـنة تانية بيقول إنك حبلة ، ومنهج سنة تالتـة بيقـول إن فيكـي بيبـي صغير عنده شهر وداخل في الشهر التاني ، ومنهج سنة رابعة بيقول إنك لازم الفترة اللي جاية ترتاحي راحة تامة ، ومنهج سـنة خامسـة بيقول متشيليش أي حاجة تقيلة ، ومنهج سنة ساتة بيقول إنك لـو اتكلمتي نص كلمة تانية هرجع في كلامي ، أما مـنهج سـنة سـابعة بيقول إن تيجي كل أسبوعين عشان تتابعي معايـا ، ده لـو مفـيش مانع طبعاً ، شرف كبير ليا إني حرم "عزيز بيه الـدمرداش" تتـابع عندي في عيادتي البسيطة المتواضعة

ضحكت "نسرين" بفرح ، ثم نهضت وسلمت على الطبيب بامتنان وانصرفت ، وهي خارجة أعطت الممرضة مبلغ كبير بدون أن تركز في كميته ، ولكنه كان كبيراً بالنسبة للممرضة التي ظهر عليها الفرح الشديد، فدخلت الممرضة إلى الطبيب لتستأذنه أن تدخل الحالة الأخرى فوجدت أثار الفرحة عـلى وجهـه فتسائلت في دهشة :

- هو فيه إيه النهارده

قال لها :

- النهارده يوم عجيب ، حالتين ليهم عشر سنين مش بيخلفـوا وفجـأة هما الاتنين في نفس الشهر ونفس اليوم ونفس الظروف ونفس حالـة الجنين برضه

قالت المرضة بلا مبالاة :

- يا دكتور عادي ، هو احنا في فيلم هندي ، المهم فاضـل آخـر حـالتين أدخلهم ولا لأ ؟

أشار لها الطبيب بالموافقة .

أما عن "نسرين" فقد ذهبت إلى منزلها وارتدت أحلى وأغلى ثيابهـا وحليُّهـا حتى بدت وكأنها عروسٌ ليلة زفافها ثم اتـجهت إلى الشـركة حيـث يوجـد "عزيز" ، لم تصبر حتى يعود إليها ، قررت أن تذهب إليه لتخبره ذلك الخبر السعيد بنفسها ، دخلت الشركة فلم تجد إلا السكرتيرة "منى" التي لم تصدق أنها ترى زوجة "عزيز" بيه أمامها فهي لم تزور الشركة منذ فترة ، فنهضت مرحبة :

- "نسرين" هانم مرة واحدة عندنا ، وأنا أقول الشركة منورة ليها

ابتسمت "نسرين" لمداعبة السكرتيرة لها ثم تساءلت :

- "عزيز" بيه جوه

قالت السكرتيرة :

- لا هو "عزيز" بيه عنده اجتماع في قاعة الاجتماعـات ، هـروح أديلـه خبر إن حضرتك هنا

بإشارة من يدها أوقفتها "نسرين" قائلة :

- لا أنا هدخل أستناه جوه لحد ما يخلص ، بـس متقـوليش إنـي هنـا أصلي عاملاله مفاجأة

تَفَهَمت السكرتيرة ما تقصده "نسرين" ففتحت لها باب المكتب لتدخل وعادت لتواصل عملها .

دخلت "نسرين" مكتب "عزيز "وكأنها أول مرة ، كانت تتفقد أركانه لا تعلم لماذا ؟ ، ولكنها كانت تبحث عن أي شئ تضيع فيه وقـت الانتظـار الممـل ،

وجدت ثلاجة صغيرة بجانب المكتب ، فتحتها وأخرجت منها زجاجة عصـير وفتحتها بعد أن رجَّتها جيداً وجلست تتناولها في صمتٍ ممل .

بعد دقائق لم تدم كثيراً ، فُتح الباب ودخل "عزيز" فوجدها تجلس فـدخل بلا مبالاة وجلس مكانه وهو يقول :

- ازيك يا "نسرين" ، إيه المفاجأة دي

وقفت "نسريت" وقالت :

- حلوة ولا وحشة

أراد أن يصلح ما أفسدته لا مبالاته فقال :

- لا طبعاً حلوة ، بس أصلك مش متعودة تيجي هنا

دارت "نسرين" حول المكتب وهو يتابعها بعينه حتى استقرت خلفه وطوقته بذراعيها قائلة :

- أصلك وحشتني ، قولت أجي أشوفك وأسلم عليك

زادت تلك الكلمات من حيرته فقال :

- فيكي إيه يا "نسرين" ، مش مرتاحلك

قالت برقةٍ مبالغاً فيها :

- فيها إيه دي ، جوزي وبتدَّلع عليه ، فيها حاجة دي ؟

قال بنفاذ صبر :

- انتي شاربة حاجة ع الصبح ، ما تتظبطي يا هانم

أيقنت "نسرين" بأن صبره قد استهلك آخر طاقته فتحركـت بـبطء ناحيـة كرسيها وهي تقول بتردد وخوف :

- أصلي ، أصلي حسيت بشوية تعب فرحت لدكتور أنا ومامي وقالي إني .... إني .... إني ....

وقت "عزيز" غاضباً :

- فيه إيه النهارده ، ما تنطقي ، ليه شغل الألغاز ده

بدأ الرعب يتسلل إلى قلبها من طريقة كلماته الأخيرة فقالت :

- إني حامل في الشهر التاني

هرش عزيز أذنيه غير مصدقا ما يسمعه ، لم يعرف ماذا يقول؟ فقط ظل لمدة دقيقتين يمعن النظر في وجه "نسرين" ولم يتحدث مما جعل الأخيرة تندهش فوقفت وتحركت ناحيته ثم حركت يدها أمام وجهه ، وهو في عالم آخر حتى نطق أخيراً وقال :

- انتي قولتي إيه ، حامل .. ازاي ، وامتى وفين ؟؟؟
- والله الدكتور أكدلى إني حامل ، أنا بقالي فترة معدتي مش مظبوطة ، كنت بقول يمكن خدت برد في معدتي ، بس ماما قالتلي إنـي حامـل والنهارده الدكتور أكد كلامها

نهض "عزيز" من مكانه وأمسك بها من كتفها قائلا :

- "نسرين" ... الموضوع ده مفيهوش هزار ، انتي متأكدة
- أنا كنت زيك كده مش مصدقة وقولت للدكتور اتأكد أكتر مـن مـرة ، وهو أكدلي والله

طرق الباب ودخلت السكرتيرة تحمل فنجاناً من القهوة وهي تقول :

- قهوة سيادتك يا فندم

رد "عزيز" بفرحة :

- قهوة إيه بقى هاتي شربات

باندهاش قالت "منى" :

- شربات !! ليه يا فندم
- أخيرا يا "منى" ، "نسرين" حامـل ، خلاص هبقـى أب ، خـلاص ذريتي مش هتتقطع ، هيبقالي ابن يورثني

قالت "منى" بفرحة :

- ألف مبروووك يا "عزيز" بيه ، ألف مبروك يا "نسـرين" هانم ربنا يقومك بالسلامة يارب

ردت "نسرين" :

- الله يبارك فيكي يا "منى"

وقال "عزيز" :

- شهر مكافأة لكل الموظفين يا "منى"
- تحت أمرك يا فندم

ثم انصرفت "منى" من فورها فقال "عزيز" لزوجته :

- من النهارده مفيش حركة ، هتنامي ع السرير ، هخليكي تتابعي مـع أكبر دكاترة في البلد ، هروح المستشفى أجيب اتنين ممرضات معاكي في البيت ، اوعي تعملي أي مجهود .

ثم أمسك بطن "نسرين" ووضع عليها أذنه قائلاً :

- ولد ، سامع بابا ياد

ضحكت "نسرين" لطفولية "عزيز" التي ظهرت عليه فجأة وقالت :

- هو لسه إتخلق أصلا عشان يسمعك وكمان يرد عليك

فقال "عزيز" :

- سيبيني أفرح يا بايخة ، أنا مـا صـدقت إن الأرض البـور طرحـت ، ياااااه أنا لحد دلوقتي مش مصدق ، مش مصدق

وأخذها من يدها وأجلسها مكانه على المكتب قائلاً :

- من النهارده انتي ملكة ، كل طلباتك مجابة ، لو طلبتي لبن العصفور والله هجيبهولك

شعرت "نسرين" بنشوة كبيرة ، لأول مرة ترى "عزيز" بهذه الصورة ، لأول مرة تراه يتدلل لها ويدللها ، لأول مرة يكلمها بهذه الطريقة الناعمة ، شعرت بالفعل أنها الآن تُوِّجَت ملكة على عرش قلب زوجها ، العرش الذي شاركها فيه

قبل ذلك واحدة واثنان وكلهن لم يحققوا المراد ، شعرت بالإنتصار فهي أقدم زوجاته وهي الوحيدة التي حققت له أمنيته ، هي الوحيدة التي ستنجب لــه الولد .

*****

٦

فرحة

بعد مرور ٧ شهور

سبعة أشهر مرت على الأسرتين ، مرت الأيام كالدهور فكل فـرد في الأسرتـين ينتظر مولود طال انتظاره ودام لسنوات .

نذهب أولاً إلى أفخر مستشفيات مصـر لنرى "عزيـز" واقفـاً أمـام غرفـة العمليات والقلق يبدوا جلياً عليه وهو يجوب الصالة أمام الحجرة ذهاباً وإياباً ويضرب كفيه ببعضما حتى انفتح باب الحجرة وخرجت ممرضة مهللة وهي تقول :

- مبروووك ما جالك ، المدام بتاعت حضـــرتك ولـدت ، تقـدر تـدخل تشوفها

هرولَ "عزيز" كتائهٍ في صحراء تاهت منه دابته ووجدها أخيراً ، دخل الحجرة وعيناه تدور في أركانها تبحث عنه ، عن ابنه ، فلذة كبده ، الغائـب المنتظـر ووجده أخيراً فطار إليه وحمله وقبَّله وهو يقول :

- نورت الدنيا يا حبيبي ، يااااااااااااه أخيراً ، اتـأخرت كتيييـير ، بـس حمد لله على سلامتك ، عايزك تعرف من دلوقتي إنك ملـك الـدنيا دي كلها ، أؤمر تُطَاع ، احلم وأحلامك أوامر على الدنيا كلها ، عهـد عليـا لأخليك أسعد واحد في الدنيا دي ، بفلـوسي هسـخرلك الـدنيا كلهـا ، بفلوسي كل الصعب هيبقى سهل ، بفلوسي مش هخلي ناقصك حاجة أبداً ، هسخرلك الدنيا كلها تحت رجلك

كانت "نسرين" برغم ما بها من ألم تسمع كلمات "عزيز" لابنهما مـا بـين فرحة ودهشة فقالت له :

- حيلك حيلك يا "عزيز" هو الطفل ده هيفهم الكلام ده كله

ابتسم لها "عزيز" وكأنه للتو يراها ثم قال :

- لازم أخلي ابني ده مفيش زيه ، مش هخليه يحتاج حاجة م الدنيا دي ولا هخليه يشوف لحظة حزن واحدة ، ده ابني الوحيد اللي جاني بعد شوقة

تمصمصت "نسرين" وتصنعت الإستياء :

- أيوه يا عم خلاص ، اتْرَكَنَّا عـلى الـرف ، افتكـرت الولـد وأنـا حتـى مقولتليش حمد لله على السلامة

اقترب منها "عزيز" معتذراً :

- لا طبعاً ، ده انتي أم الغالي ، أنا بس فرحتي بالولد نستني الدنيا كلها

ثم قبَّله في جبينه ووضعه مكانه ثم أخرج كل ما جيبه من نقود ووزعها على الممرضات وهو يوصيهن على الطفل وأمه .

****

(مصادفة أخرى)

في منزلها الصغير كانت "ثناء" تصرخ بشدة من ألم الولادة وبجوارها الداية وأيضاً جارتها وصديقتها الحميمة "عفاف" وهما يحثانها على التحمل .

كان "جابر" في خارج الحجرة على سجادة الصلاة يصلي ويبتهل ويدعو المولى أن تلد زوجته بالسلامة وبعد دقائق سمع "جابر" صوت طفل صغير يصرخ في الداخل فسجد لله شكراً ونهض من على سجادته ووقف أمام الحجرة ينتظر.

بعد دقائق من الصراخ من الداخل والدعاء والتوسل من الخارج خرجت "عفاف" وهي تحمل لفة من القماش وهي تطلق زغروتة مدوية وتقول :

- بنوتة زي القمر شبه أمها

حمل الطفلة منها وقبَّلها ثم قال :

- الحمد لله ، يا ما انت كريم يارب ، ألف حمد وشكر ليك يارب ، ألف حمد وشكر على عِظم العطية

ثم كشف عن أذن الطفلة اليمنى وتلا فيها صيغة الآذان وأيضاً كشف عن أذنها اليسرى وأقام فيها الصلاة تطبيقاً لسنة الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام ثم أعطى الطفلة لـ"عفاف" قائلاً :

- ينفع أدخل أطمن على "ثناء"

أوسعت له "عفاف" الطريق وهي تحمل منه الطفلة ، فدخل عليها فوجدها غارقة في عرقها فاقترب منها وقبَّلها في جبينها قائلاً :

- حمد لله ع السلامة يا غالية يا بت الغالي ، يا أم الغالية

أمسكت يده بحب وقالت له :

- كان نفسي أجيبلك واد يشيل اسمك ويبقى سندك وضهرك

ابتسم وقال لها :

- يا ستي اللي يجيبه ربنا كله كويس ، وبعدين مين قالك إني عايز ولد ، أنا بحب البنات وبعدين خلاص سهلة ، احنا عرفنا السكة دلـوقتي ، المرة الجاية نجيب الولد

ضحكت "ثناء" وكذلك الداية التي قالت :

- تتربى في عزك يا "جابر" ، حقا بت زي فلقة القمر تسـتاهلها ، انـت طيب وابن حلال

رد "جابر" بامتنان :

- كله من فضل ربنا يا حجة ، معلش تعبناكي معانا وجيبناكي في نص الليل
- متقولش كده يا راجل ده واجبي ، وبعدين انت خيرك سابق وجمايلك كتير

انصرفت الداية وبعدما أعطاها "جابر" ما فيه النصيب وعاد وجلس بجـوار زوجته وابنته وقال :

- أخيراً بقى لينا عيل صغير ، يملى علينـا حياتنـا ، صـبرنا ونولنـا يـا "ثناء" ، رحمة ربنا واسعة أوي ، ومبينساش حد ، تتربى في عزك يـا أم .....

ثم سكت قليلاً يُفكر في اسمٍ لابنته فسألها :

- إيه رأيك نسميها إيه

فقال "ثناء" بحب :

- مفيش رأي بعد رأيك يا "جابر"

فكر جابر قليلاً ثم قال :

- خلاص هنسميها "فرحة" ، عشان هي فرحة ربنا لينا اللي جاتلنا بعد غياب

نظرت الأم إلى ابنتها وقالت :

- ربنا يجعلك فرحة ليكي ولي حواليكي يا بنتي يارب

ثم قال الأب بعدما وضع يده على طفلته :

- اوعديني يا أم "فرحة" نربيها عـلى طاعـة ربنـا ونعرفهـا الحـلال والحرام ، ونطلعها صالحة عشان تشفعلنا يوم القيامة
- أوعدك يا أبو "فرحة"

شعر "جابر" بنشوة غريبة عندما سمع تلك الكلمة فقال :

- الله حلو أوي اسم أبـو "فرحـة" ، وطالعـة منـك حلـوة أوي يـا أم "فرحة"

ثم اقترب منها واحتضنها برفق

******

٧

فادي

أصبح للأسرتين ما يملؤ عليهما حياتهما ، وبدأ كل منهما يربي وليـده عـلى مذهبه .

"عزيز" اكتفى القدر بمولوده الأول ولم يَجُد عليه بغيره فسمَّاه "فادي" .

كان" فادي" منذ نعومة أظفاره لا ينقصه شيئاً ، إن طلب لعبة حصل عـلى عشرة ، وإن طلب جنيهاً حصل على مائة ، ربَّاه والده على احتقار كل الناس ، وحتى حين دخل المدرسة كانت كل مدرساته يشكون منه ومن سلوكيات التي لا تليق بسلوك طفل في مثل عمره .

نذكر موقفاً واحداً فقط حدث معه عندما كانت إحـدى معلماتـه في الفصـل تشرح في درس ما وكان "فادي" في أحد المقاعد يحمل جهاز (أتاري صغير)

– كان ذلك الجهاز أعلى مظاهر الرفاهية آن ذاك – يلعب به وحـين إلتفتـت المعلمة إليه وضعه بسرعة في درج مقعده فقالت المعلمة بحزم :

- انت بتعمل إيه يا "فادي"

رد "فادي" بلا مبالاة :

- أنا مش بعمل حاجة

تحركت المعلمة ونظرت في الدرج فوجدت الجهاز فقالت له :

- وريني اللي في ايدك ده ، إيه ده أتاري ! وبتلعب عليـه جيمـز ، انـت كداب يا "فادي" والكداب بيروح النار

ثم اتجهت إلى باقي زملاءه قائلة :

- الكداب بيروح فين يا أولاد

ردَّ الجميع بصوت واحد :

- الكداب بيروح النار يا مس

ثم ذهبت ووضعت الجهاز على المنضدة بجوار حقيبة يدها وقالت له :

- الأتاري ده مش هتاخده تاني ، غير لما يجي ولي أمرك

رد "فادي" بنفس أسلوبه ولا مبالاته :

- مش عايزه ، هخلي بابي يجيبلي واحد تاني

أخرج الطفل لسانه لمعلمته مما جعلها تشتاط غضباً فأمسكته من يده بعنف وهي تقول :

- تعالى هوديك للمدير

نزع الطفل يدها بعنف وشدة قائلاً :

- لا مش هروح معاكي ، اوعي كده

خرجت المعلمة من فورها واتجهت للمدير لتشكو إليه سوء صنيع ذلك الطفل العنيد .

كان رد المدير بارداً للغاية ووبَّخها بكلمات لازعة ، أخبرها أن العيـب منهـا والخطأ عندها هي لأنها لابد أن تحتوي الأطفال وتحببهم فيها بـدلاً مـن أن تتصرف هكذا وتترك حجرة الدراسة وتشكو إليه .

عادت المعلمة تجر أذيال خيبتها إلى الفصل ، وما أن دخلـت حتـى وجـدت "فادي" يقطع بعض الأوراق ويقذف بها على زملاؤه فاتجهت إليه وقالت له :

- تعالى يا "فادي" عايزاك في موضوع سر

نظر إليها الطفل بطرف عينه بطريقة لا تليق أبداً بِسِنه ، من يرى نظرته تلك يشعر بأنه رجل عجوز يحتقر تلك المعلمة ، فسحبته من يده برفق وخرجت به خارج الفصل وطلبت من إحدى زميلاتها أن تقف مكانها في الفصل ، وأخذت الغلام إلى حجرة المدرسين وأجلسته بجوارها وقالت له :

- ينفع اللي عملته ده يا حبيبي قدام أصدقائك في الفصل

بدون أن ينظر إليها قال لها :

- آه ينفع ، على فكرة أنا مش حبيبك

كظمت غيظها بصعوبة وحاولت أن تتمالك أعصابها ثم قالت :

- ليه هو مش أنا المس بتاعتك ، اللي جاية عشان أعلمك وأفهمك ، مـش لازم برضه تحترمني وتقدرني ، هو انت جاي المدرسة عشان تـتعلم ولا عشان تلعب
- عشان ألعب طبعاً

شعرت المعلمة بفشلها الذريع فقررت أن تدير دفة الحـوار إلى اتجـاه آخـر فقالت له :

- طب يا سيدي انت جاي تلعب ، مش برضه اللعب ليه وقت ولا ف كل وقت
- لا عادي أنا بلعب في كل وقت

بقلة حيلة قالت المعلمة :

- يا حبيبي ، انت لسه صغير لازم تفهم إن اللي بتعمله ده غلط وعيب ، بلاش دي ، ينفع تزعق في المس بتاعتك كده قدام الفصل كله ، محدش علمك إننا لازم نحترم اللي أكبر مننا

سكت "فادي" ولم يرد ، وكأنه ضاق ذرعاً بذلك اللقاء الذي يود أن ينتهي في أقرب وقت فأكملت المعلمة :

- ليه متبقاش زي باقي زمايلك ، هما كده أحسن منك عشان مش بيكدبوا ومش بيزعقوا في المس بتاعتهم ، متعرفش ان اللي بيكدب بيروح النار ، انت عايز تروح النار

وحاولت المعلمة برفق أن تمسك يده فأبعد يده بسرعة وقام وتركها وانصرف . وأكمل يومه بالكاد حتى رجع منزله فوجد والده منهمكٌ في اتصالاً تيلفوناً يبدوا أنه مهماً وعندما لاحظ والده قدومه فتح له ذراعيه وقبَّله وأكمل مكالمته قائلاً :

- لا ... لازم الفلوس تيجيني في ميعادها وإلا هقدم الشيكات للنيابة ، وده آخر كلام عندي ، أنا مش فاتحها تكية ، ومن غير سلام

ثم أنهى تلك المكالمة التي يبدو أنها عصبته ، فحاول أن يهدأ قليلا حتى لا يروع ابنه فشعر بأن "فادي" به شيئاً ما فتسائل :

- إيه يا حبيبي مالك فيه إيه ، هات بوسة لبابا

ببراءة لا تتناسب مع ذلك المجرم ذو السوابق الذي كان يتحدث مع معلمته منذ قليل قال :

- هو أنا هروح النار يا بابا ؟

اندهش الأب ووقف مفزوعاً وقال :

- ليه يا حبيبي ، إيه اللي خلاك تقول كده

تظاهر الطفل بالبكاء ثم قال :

- الميس في المدرسة بتقول إني أنا كداب وإني هروح النار وخلت زمايلي كلهم يضحكوا عليا ، وقالتلي كمان أن كلهم أحسن مني عشان مـش بيكدبوا

أخفى "عزيز" زعره وضيقه أمام ابنه ، كان يغلي مـن داخلـه كيـف لهـذه التافهة الحقيرة أن تسب ابنه ، ابن "عزيز بيه الدمرداش" ، كان هذا ما قاله لنفسه ، ثم قال لابنه مطمئناً :

- يا حبيبي انت مفيش حد أحسن منك عايزك تعرف كده من دلوقتي ، وأنا بكرة هروح المدرسة وأهزألك الميس دي ، خلاص يا حبيبي ، بس انت اوعى تدايق نفسك

طبع "فادي" قُبلة على خد أبيه وانصرف إلى حجرته ، وبالفعل كان "عزيز" في اليوم التالي في حجرة مدير المدرسة فقال مدير المدرسة مرحباً :

- "عزيز" بيه مرة واحدة عندنا ، يادي النور يادي الهنا

قال "عزيز" وقد رسمت علامات الضجر على وجهه :

- لا أهلاً ولا سهلاً ، أنا عايز أعرف حاجة واحدة بـس ، احنـا بنجيـب ولادنا في المدارس الخاصة وندفعلهم فلوس قد كده عشان يتعلموا ولا يتعقدوا

تظاهر المدير بأنه لا يعلم شيئاً ثم قال :

- اهدى بس يا "عزيز "بيه واشرب قهوتك وفهمنـي إيـه الـلي حصـل واحدة واحدة

رشف "عزيز" رشفة من فنجان القهوة الذي وضع للتو أمامه ثم قال :

- لّما مس متخلفة توقف الولد وتشتمه قدام صحابه وتضحكهم عليـه ، وكمان إيه بتقوله إنه هيروح النار ده معناه إيه ، هي الهـانم عيَّنـت نفسها خادم النار وأنا مش واخد بالي
- حصل امتا الكلام ده يا فندم

- امبارح الواد راجع معيط ، ونفسيته صفر عشان خاطر الهـانم الـلي انتوا مشغلينها عندكم ، مش عارف انتوا بتجيبوا البلاوي دي منـين ، مش تبقوا تنقوا الناس اللي بتشتغل معاكم

تحرك مدير المدرسة من مكانه وجلس مقابلاً لـ"عزيز" ثم قال :

- اهدى بس يا "عزيز" بيه ، وأنا دلوقتي هبعت للمس دي ونفهم منها إيه اللي حصل

وقف "عزيز" غاضباً ثم قال :

- لسه هتبعتلها وهتفهم ، المس دي لازم تمشي من المدرسة حالاً

قال المدير محاولاً امتصاص غضب "عزيز" :

- يا "عزيز" بيه بلاش قطع الأرزاق ، البنت دي والله شـاطرة وغلبانـة وبنت ناس ، أنا هجيبها هنا و هفهمها غلطها وهاخد منها وعد إنهـا مش هتعمل كده تاني

كان "عزيز" على وشك التنازل عن ما يطلبه حتى حدث شـيئاً غـيَّرَ مجـرى الأحداث فقد طرق الباب ودخلت المعلمة صاحبة المشكلة مع "فادي" وقالت بجرأة منقطعة النظير :

- عرفت إن حضرتك هنا قولت أجيلك بنفسي ، ومن غـير مـا تتعصـب ممكن نتكلم بهدوء

بدهشة رد "عزيز" بعدما نظر إليها من أسفل لأعلى :

- مين انتي

قالت بنفس نبرة الجرأة :

- أنا مس "نهى" اللي حضرتك جاي مخصوص عشانها

سمع "عزيز" اسمها كأن أحدٌ ما سكب صفيحة من البنزين على النار فوقف صارخاً :

- انت ليكي عين كمان ، وجاية بنفسك ، يومك مـش فايـت النهـارده ، ازاي يا بني آدمة انتي تشتمي الواد وتضحكي عليه زمايله

قفز منها قلبها فجأة ، لم تكن تتوقع ردة الفعل هذه مـن "عزيـز" ولكنهـا حافظت على هدوءها وقالت :

- اهدا بس حضرتك وأنا هحكيلك الموقف من بدايته وحـــضرتك الـلي هتحكم مين صح ومين غلط

بنفس نبرة الغيظ والصوت الجهوري الذي يبعث الرعـب في قلـب كـل مـن يسمعه قال "عزيز" :

- أنا فاضي أصلي ، أسيب شغلي وأجي أسمع منك حواديـت ألـف ليلـة وليلة ، هي كلمة ورد غطاها ، ملكيش دعوة بالولد تاني ، ودِيني لـو الولد اشتكى منك تاني هيبقى حسابك عسير

اندهشت "نهى" من طريقة تهديده المباشرة والواضحة فنظـرت إلى المـدير تنتظر منه أن يتدخل في هذا الموقف ولكنها كانت تنتظر العون من عـاجز ، فوجدت المدير ما زال جالساً مكانه يتابع الموقف في صمت غريب ، فقالت وقد بدأ صوتها يأخذ طبعاً حاداً غير الذي أتى به فقالت :

- حضرتك بتهددني ولا إيه ، هو انت جايب ابنك هنا ليه مـش عشـان نعلمه ونربيه ، وواجب علينا لما نشوف سلوك غلط إننا نصلحه

جلس "عزيز" وهو يخرج سيجارة ويشعلها :

- نصلحه ، هو حضرتك سمكري سيارات ، اسمعي يا بت انتي

قاطعته المعلمة :

- بت !! إيه اللي بتقوله ده ، إيه بت دي

أومأ برأسه وأكمل :

- أيوه بت ... واحمدي ربنا إني مقولتش حاجة تانية ، الكلام خلص أنا مش فاضي ، أنا ابني متربي أحسن من عشرة زيك ، ومش واحدة زيك هي اللي هتربيلي ابني

كانت الصدمة كبيرة والكلمات مُلجمة ، لم تجد "نهى" أي كلمات في قاموس لغتها يناسب ذلك الموقف فقالت :

- هو اللي متربي يشتم اللي أكبر منه ، وميسمعش الكلام ، هو اللي متربي يتصرف تصرفات زي دي ، الولد مستواه العلمي زي الزفت ، ولا بيعمل واجباته ولا بيهتم بدروسه ولا أي نيلة واحنا بعتنالكم أكتر من مرة لكن ولا انتوا هنا ، وفي الآخر جاي تحاسبني على تصرفاته

وقف "عزيز" هنا وتحرك خطوتين ناحية المدرسة حتى ظنت أنه سيضربها فأمسكها من ذراعها بقوة وقال لها ناهراً :

- لآخر مرة هقولك احفظي أدبك وانتي بتتكلمي ، وإلا ...

قاطعته وهي تنزع يدها من يده بشدة :

- انت هتهددني تاني ، ما تقول حاجة يا سيادة المدير

وأخيراً وقف المدير ليوقف ذلك النزاع الحاد قائلاً :

- يا جماعة استهدوا بالله ، روحي انتي يا مس "نهى" دلوقتي

ولكن "عزيز" كان له رأيٌ آخر فقال بثقة :

- تروح فين ، البنت دي لازم تمشي من المدرسة حالاً

زادت دهشة المعلمة ثم قالت :

- أمشي كمان ، وانت مالك انت أمشي ولا ممشيش ، ما تقول حاجة يا فندم

كانت كلمتها الأخيرة موجهة إلى مدير المدرسة الذي قال :

- قولتلك روحي انتي من هنا دلوقتي ، وحسابي معاكي بعدين ، امشي ياله

قالت "نهى" وهي تغادر :

- اووووف

وخرجت وأغلقت الباب خلفها بشدة لا تعلم من أين أتت بها .

قال "عزيز" بعدما جلس مكانه وكذلك المدير :

- بقى برضه دي أشكال تشغلوها معاكم في مدرسة زي دي ، أنا قولت كلمة ومش هرجع فيها ، البني آدمة دي لازم تمشي من هنـا وإلا أنـا هاخد ابني أوديه مدرسة تانية بتقدر الناس

وصنع بيده حركة عد النقود تلميحاً إلى المدير بأنه سيدفع له مبلغ من المـال وكعادته ضعف المدير أمام الحركة السحرية – حركة عـد النقـود بالإبهـام والسبابة – وقال مراضياً :

- اعتبرها مشيت يا "عزيز" بيه ، انت بس متزعلش نفسك ومتحـرقش دمك ، انت تؤمر يا فندم

أحس "عزيز" بالانتصار ثم أخرج من جيبه دفتر الشيكات وكتب به مبلغاً من المال وقدَّمه للمدير الذي تهلل وجهه فرحاً وهم بإلتقاط الشيك ولكن "عزيز" خطفه بسرعة وقال :

- "فادي"

رد المدير بسرعة :

- فوق رأسي يا "عزيز" بيه ، ولو مشالتهوش الأرض أشيله ف عنيا

قدَّم "عزيز" الشيك مرة أخرى وقبل أن يمسك به المدير سحبه "عزيز" مرة أخرى وقال :

- "فادي" غير أي ولد تاني في المدرسة ، لو في يـوم جـالي تـاني وهـو زعلان هزعل كل اللي في المدرسة

رد المدير بسرعة :

- ولا عمره حد هيدوسله على طرف طول ما أنا عايش

وأمسك المدير بالشيك ولكن "عزيز" ما زال ممسكاً بطرفـه الآخـر بحركـة يقصد بها أن يؤكد المدير كلامه فقال المدير بسرعة :

- يا "عزيز" بيه ، ابنك ف عيني ولو مشالتهوش الارض هشـيله فـوق راسي

ترك "عزيز" الشيك وأخذه المدير وعندما رأى المبلغ فرح أكثر ، يبدو أن الرقم كان كبيراً ، فأراد "عزيز" أن يطرق على الحديد وهو ساخن فقال :

- كل شهر ليك واحد زيه بس بشرط

رد المدير :

- موافق ، كل اللي حضرتك عايزه هيحصل ، ربنا ما يحرمنـا منـك يـا "عزيز" بيه
- انت عارفه طبعاً

أومأ المدير بالموافقة ثم غادر "عزيز" المكتب تاركاً المدير في سـعادته الغـير منتهية .

قضى "فادي" دراسته في التعليم الأساسي كأنه صاحب المدرسة ، كان الكـل يتقرب منه طلبة ومدرسين وحتى المديرين ، الكل يرجو عطفه ورحمته ، الكل يرجو أن يمن عليهم "فادي" ولو بابتسامة .

كان "فادي" برغم صغر سنه قد شرب من أبيه مبدأً واحداً وهو أنه لا أحـد مثله ، هو سيد الكل ، كان والده يغرز فيه هذه القيمة وكـان هـو يطبقهـا باحترافية ، كان جميع زملاؤه يحبونه ، لا لأجله ولكـن لأنـه يغـدق علـيهم بالطعام وأحيانا بالمال وأحيانا بألعابه القديمة ، وكان مدرسينه يحبونه إما خوفاً من والده ومن تهديد المدير لمن يقترب منه وإما طمعاً في هـدايا والـده التي لا تنقطع عنهم طوال فترة دراسته .

كان فادي يتنفس كبرياء ، ويشرب عزة نفس ، كان يعامل كل البشر وكأنهم عبيد إحسان والده ، حتى في المرات القليلة التي يذهب فيها الشركة مع والده كان يعامل الموظفين بنفس المبدأ ونفس الطريقة .

كان "فادي" يكبر يوماً بعد يوم وتكبر معـه تلـك الصـفات وتتعمـق مـن شخصيته ، حتى أصبح إدماناً عنده أن يذل أصدقاؤه أن يراهم وهم يطلبون منه شيئاً ما وهو يعطيهم كأنه يعطف عليهم .

*****

٨

نبوغ مبكر

في الجانب الآخر ، منزل العم "جابر" الرجل الطيـب الـذي رزقـه الله بعـد "فرحة" ببنتين "سارة" و"ياسمين" فرحتين أخرتين حمد الله عليهما بالرغم من طلبه من الله أن يرزقه بولد ولكن إرداة الله فوق كل شيء ، وكـان يـؤمن بذلك أيما إيمان لم يجزع ولم يضجر وسلم لأمر الله ومراده ، كان دائماً يشعر بأن بناته الثلاثة يغنينه عن أي شيء لما وجد فيهن من النباهة والذكاء ، كان يقول دائما لزوجته :

- عارفة يا "ثناء" سيدنا "محمد" صلى الله عليه وسـلم بيقـول (مـن رزقه الله بثلاثة بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن مـن جدته كن له حجاباً من النار يوم القيامة)

كان فرحاً بهذا الحديث الشريف كثيراً ، كان يشعر بأن النبي صلى الله عليـه وسلم يقصده هو بذلك ، كان يعمل جاهداً حتى لا يجعلهن بحاجة لشـيء ، وكانت "ثناء" تفرح لفرحه ولكن كان هناك شيء بـداخلها يقـول لهـا أنـه

بحاجة إلى ولد ، فالبنت كما يقولون مصيرها بيت زوجها ، الولد هو السند ، كانت دائما ما تتكلم مع "جابر" في هذا الموضوع ولكـن "جـابر" يقنعهـا بلباقته أنه الآن لا فرق بين ولد وبنـت وأن بناتـه لا مثيـل لهـم في نبـوغهم وذكائهم وحتى تفوقهم الدراسي .

كانت "فرحة" في الصف السادس الابتدائي في ذلك الحين وكان جميع معلميها يشهدوا لها بأنه سيكون لها شأناً كبيراً عندما تكبر ، كان الكل يشهد بنبوغها المبكر .

في ذلك اليوم كانت "ثناء" كعادتها تضع أطباق الطعام عـلى السـفرة حـين نادت على "جابر" قائلة :

- يالاه يا أبو "فرحة" عشان تتغدى

خرج "جابر" من حجرته وهو يتسائل :

- لسه "فرحة" مجاتش من المدرسة برضه ، ده العصر قرب يأذن

قالت "ثناء" مطمئنة :

- لا متقلقش هتيجي دلوقتي إن شاء الله ، هي قالتلي إنها هتتأخر شويا بعد المدرسة

ولم تكمل كلمتها حتى سمعت خبطاً على الباب فقالت :

- أهي جات أهي

اتجهت "ثناء" إلى الباب وفتحته ، وبالفعل كانت "فرحة" مَنْ يطرق الباب ، فقبَّلتْ يد والدتها كعادتها وقالت :

- السلام عليكم

رد الأب بسرعة :

- وعليكم السلام يا بنتي ، ليه اتأخرتي كده يا حبيبتي

بسرعة تحركت "فرحة" إلى أبيها وقبَّلت يده قائلة :

- أصل الأبلة اليومين دول بتدينا حصة زيادة عشان الامتحانات قربت ، ادعيلي يا بابا

رفع "جابر" يديه داعياً :

- ربنا معاكي يا "فرحة" ويفرحك يارب ، ياااه عشان نتغدى

قالت "فرحة" بأدب :

- حاضر يا بابا هروح أغسل ايديا الأول

جلس "جابر" على المائدة وفوجئ عندما وجد الطعام فقال :

- إيه دا كله ، فراخ ، وملوخية ورز ، دا احنا بقينا ولا الأغنيا ولاد الذوات

ابتسمت "ثناء" وقالت :

- كله من فضلة خيرك يا أبو "فرحة" ، حسك بالدنيا

قال "جابر" :

- عايزين نوفر في المصاريف شوية احنا عندنا ٣ بنات عايزين نـربيهم ونجوزهم

ضحكت "ثناء" وقالت :

- يااااه يا أبو "فرحة" ، ربنا يطول في عمرنا لحد ما نشوفهم في بيوتهم متهنيين مع أجوازهم ، ونشيل بايدنا أولادهم
- حيلك ، حيلك لسه بدري على الكلام ده ، مش لما يخلصوا تعليم الأول ، أنا ناوي أخليهم يكملوا تعليم لحـد الجامعـة عشـان يبقـوا بنـات "جابر" أول مين ياخدوا الشهادة الجامعية في الحتة كلها

قالت "ثناء" :

- يا راجل بلا تعليم ولا وجعة دماغ ، البت ملهاش غير بيتها وجوزها

رد "جابر" بسرعة :

- يا ولية الأفكار دي بِطلت من زمان ، البنت لازم تتعلم وتاخد فرصتها زيها زي الولد بالظبط

وهنا دخلت "فرحة" وقالت :

- انتوا لسه برضه بتتكلموا في الموضوع ده تاني

أنهت "ثناء" الحوار قائلة :

- اندهي اخواتك من جوه يا "فرحة" عشان يتغدوا

أذعنت "فرحة" للأمر بسرعة ودخلت وبعد ثواني كانت "ياسمين" و"سارة" خلفها ويجلسون على المائدة لتناول الغداء .

******

٩

ريعان شباه

مرت سنوات أخر

قد تمر على المرء سنوات وهو لا يشعر بها ، في الغالب يعيش فيها حالة مـن السلام ، تكون حياته خالية من الأحداث الجديدة ، حياة بلا جديد بلا شيء مما يجعلها بطيئة الرتم ، فقد يصحو من نومه ليعاني من يوم طويـل ممـل لا جديد به حتى يذهب إلى فراشه في المساء ، وهكذا كمـا الثـور في السـاقية لا يستطيع أن يقف بالرغم من أنه يشعر بالتعب ولكنه يعلم أنه إذا وقف سيأتي صاحبه بكرباجه ليلسعه على ظهره ولذلك فهو يقرر أن يُكمـل مسـيرته في دورانه الممل حول ساقيته .

هكذا مرَّت العشر سـنوات الأخرى على الأسرتين ، فكل منهما يفعل نفـس الشيئ نفس الروتين .

كان "فادي" في الفرقة الثالثة لكلية التجارة التي قرر والده أن يلحقه بهـا حتى يساعده بعدما يتخرج في شركاته وأعماله .

أما "فرحة" فقد قررت بعدما أقنعت والدها أن تدخل كلية التربية لأنها تريد أن تعمل في مجال التدريس لاقتناعها بسامية المهنة وأنها مهنة الأنبيـاء وأن ثوابها عند الله كبير.

"فادي" أصبح شاباً في ريعان شبابه ، رزقه الله الكثير والكثير ، كان لديه كل شيء يحلم به أي شاب في سنه ، يقود سيارة لا يقودها رئيس الجامعة ويرتدي ثياباً من الخارج ثمنها كفيلاً بأن يجهز عروساً من كافة كل شيء ، كان لـه الكثير والكثير من الأصدقاء الذي يلتفون حوله وطبعاً ليس لجمـال عيونـه ولكن لنقوده الكثيرة الذي يصرفها عليهم ببزخ ، كان الكل يحبه ويهابه ، لا يجرؤ حتى أحد من أصدقائه أن يُثني له كلمة أو يعارضه في شئ وكان والده فرحاً بذلك ، كان يشعر بأن ذلك هو عين العقل حتى يكبر الولد وهو يعرف قدره ومن يكون ، أما عن أمه فكان لا يعجبها حال ابنها ، كانت كثيراً ما تؤنبه على أفعاله تلك ولكنه لا يلقي بالاً لكلماتها ، بل وأحياناً يتركها تتحدث ويغادر المكان ، فكان ذلك يحرق قلبها أكثر وأكثر .

أصبح "فادي" لا يهمه أحد ، حتى والده نفسه أصبح علاقته به كعلاقة عميل ببنك يذهب إليه عندما يريد المال فقط .

حاولت "نسرين" كثيراً أن تُوصِل وجهة نظرها لـ"عزيز" ولكن الأخير أيضاً كان لا يبالي بكلامها فقالت له ذات ليلة بعدما أرَّقها التفكير في حال ابنها :

- يا "عزيز" ...."عزيز" .... انت صاحي

رد بنعاس ظهر من كلماته المتقطعة :

- أيوه في حاجة ولا إيه
- أبداً عايزه أكلمك في موضوع مهم جداً
- والموضوع ده مينفعش يتأجل للصبح

اعتدلت "نسرين" في جلستها وقالت :

- هو أنا بقعد معاك امتى عشان أكلمك فيه

اعتدل "عزيز" بنفاذ صبر وقال :

- طب خلاص ، أهو يا ستي اتفضلي احكي

أغمضت "نسرين" عينها تحاول جمع شتات تفكيرها وقالت :

- أحوال "فادي" مش عاجباني

باهتمام رد "عزيز" قائلاً :

- ليه ماله ، هو بيشتكي من حاجة ، فيه حاجة تاعباه

أنكرت "نسرين" بسرعة لتهدئ من روعه وقالت :

- لا لا لا ، بس كل يوم سهر لوش الصبح واحنا منعرفش بيسهر مع مين وبيعملوا إيه ، أنا خايفة عليه

ابتسم "عزيز" بعدما فهم ما تقصده بكلامها ثم قال :

- يا ستي ، خليه يعيشله يومين ، يتمتع بشبابه ، هو أنا بتعب وبعمل الفلوس دي كلها ليه مش عشانه ، مش عايز أحرمه من حاجة ، ده برضه ابني الوحيد ومش عايز أخنقه

قالت الأم :

- بس أنا خايفة عليه ، هو طول الوقت مش تحت عنينا ومش عارفينه فين ولا بيعمل إيه ؟

عضّ "عزيز" إبهامه يفكر في كلام زوجته ثم قال :

- عندِك حق فعلاً ، أنا عندي فكرة حلوة ، بدل ما يروح يسهر مع صحابه يجيب صحابه يسهروا معاه هنا

يبدو أن "نسرين" استحسنت الفكرة جداً فقالت :

- والله فكرة عشان حتى يبقى تحت عنينا

قال "عزيز" وهو يهم بالنوم مرة ثانية :

- ماشي بكرة أعرض عليه الفكرة دي ، ياللاه تصبحى على خير

نظرت "نسرين" له نظرة دهشة وقالت :

- يا راجل انت هتنام كده على طول

إلتفت إليها ونظر إليها بطرف عينه بخبث وقال :

- قصدك إيه يعني

قالت بخبث :

- يعنى انت مش فاهم ، ولا عامل نفسك مش فاهم

ثم وضعت يدها على رأسه وأخذت تعبث في شعره الأبيض فقال لها :

- يا شيخة احنا كبرنا على الحاجات دي

قالت "نسرين" بغرور فتاة للتو أكملت عامها العشرين :

- كبرنا .... اتكلم على نفسك ، انت بس اللي كبرت ، أما أنا لســه في عــز شبابي ، مش زيك عجزت

كانت الكلمة بمثابة فتيل الإشعال الذي أشعل النار في البنزين فنهض "عزيز" قائلا :

- أنا عجزت . طيب دلوقتي هوريكي إذا كنت عجزت ولا لأ

****

في صبيحة ذلك اليوم كان "عزيز" يجلس على مائدة الطعام وأمامه "نسرين" فقال لها :

- فين "فادي" هو مش هيفطر معانا كالعادة برضه

قالت "نسرية" بسخرية :

- يفطر !! هو بيصحى غير العصر

بدأ "عزيز" في تناول قهوته وقال :

- خلاص لما يصحى بلغيه إني عايزه على الغدا ، يعني ميخرجش قبــل ما أشوفه

وتناول "عزيز" قهوته وانصرف إلى عمله .

في وقت الغذاء كان "فادي" ينتظره لا لأنه طلب منه ذلك ولكن لأن نقوده قد صُرِفت كلها فأراد أن يأخذ غيرها وعندما رأى والده على مائدة الطعام جلس بجواره قائلاً :

- مساء الخير يا بابا

رد "عزيز" قائلاً :

- مساء الخير يا "فادي" ، إيه يا عم ، كده نشوفك بالصدفة ده أنا حتى في مقام باباك

لم يدرك مزحة والده أو ربما لم ترق له فرد "فادي" معتذراً :

- سوري بابا ، بس انت بتروح الشغل بدري ومش بتيجي غير متأخر ، كنت عايز حضرتك في موضوع كده
- خير يا حبيبي فيه إيه ؟
- أنا محتاج فلوس

وعلى تلك الكلمة كانت "نسرين" قادمة فقالت مقاطعة بحدة :

- فلوس تاني يا "فادي" ، انت يا بابا الفلوس دي كلها بتوديها فين

سكت "فادي" يبحث عن جواب وأخيراً وجده قال :

- أصلي نزلت أنا وصحابي امبارح وضاعوا كلهم

قال "عزيز" مهدئاً :

- بالراحة على الولد يا "نسرين" ، اصرف براحتك يـا حبيبـي وضـيَّع براحتك ، هو أنا عندي كام "فـادي" ، في درج المكتـب الـلي جـوه في فلوس خد اللي انت عايزه

قال "فادي" ممتناً :

- ميرسي داد

وهمَّ "فادي" بالإنصراف فأوقفه "عزيز" قائلاً :

- "فادي" ..... هو انت وصحابك بتسهروا فين

تلعثمَ "فادي" قليلاً ثم قال :

- ساعات بنقعد في كافيه ، ساعات عند حد من صحابي وكده يعني

وهنا وجد "عزيز" ما تمنَّاه فقال له :

- طب ما تخلي صحابك يجوا يسهروا معاك هنا في البيت

قال "فادي" بدهشة :

- اشمعنا يا بابا يعني ، وبعدين من امتا وانت مش بتثق فيا

شعر "عزيز" بأنه ابنه سيغضب وكان ذلك يعزُّ عليه ، فقال :

- مش قصدي والله يا حبيبي ، بس أنا خايف عليك وقلقان عليك
- من إيه يا بابا أنا مش صغير عشان تقول كده
- خلاص يا حبيبي عادي براحتك ، بس خلي بالك من نفسك
- حاضر يا بابا

ثم انصرف الابن حتى لا يدخل في نقاش آخر من والده

******

١٠

منصب صعب

في الجانب الآخر كانت "فرحة" الطالبة المجتهدة التي اســتطاعت أن تصــل للفرقة الثالثة من كلية التربية التي طالما حلمت بها منذ نعومة أظفارها.

كانت "فرحة" مثال للطالبة المثالية المجتهدة ، التي تؤمن بهـدفها وتســعى لتحقيقه ، كان أبواها يريان فيها الدنيا ومــا فيهــا ، كانــت تهــون عليهمــا صعوبات الحياة ، وجدا فيها العوض عن خلفة البنين التي يحلــم بهــا كــل إنسان .

كانت "فرحة" معروفة بين زميلاتها بلقب النكد لأنها دائمــاً تكلمهــم عــن المذاكرة وتؤنبهم على استهتارهم وخصوصاً صديقتيها المقربتين لها "أسماء" و"سها" وكانا دائماً في خلاف معها بسبب نصائحها لهما التي لا تكف عنها ، وحتى وهي تعلم أنهما يضيقان ذرعاً بتلك النصائح .

كانت "أسماء" تجلس مع صديقتها "ســها" يضــحكان حتــى لمحــا شــبح "فرحة" قادماً من بعيد فعدلت "أسماء" من جلستها وقالت :

- بس بس عشان النكد وصلت

قالت "سها" بإبتسامة :

- ليه بتقولي عليها ليه كده بس حرام عليكي ، دي طيبة أوى

نهضت وقالت :

- عارفة والله إنها طيبة ، وده اللي مصبرني عليها لحد دلوقتي ، بس أنا زهقت من كتر نصايحها اللي مش بتخلص ، عاملة فيها ولية أمرنـــا ، أول مرة أشوف واحدة ملهاش في الضحك ولا الهزار ولا في أي حاجة خالص

وهنا كانت "فرحة" قد وصلت إليهما فقالت لهما :

- صباح الخير يا ضائعات

امتعضت "أسماء" بأسنانها وعضت عليها بشدة محاولةً ألا يظهر ذلك لأحد فقالت ل"سها" بصوت هادي :

- شايفة

ثم اتجهت إلى "فرحة" وقالت :

- ازيك يا عُقَد

نظرت إليها "فرحة" بدهشة وقالت :

- أنا عُقَد ، ليه بتقولي كده ، متشكرة يا ستي

تدَخَّلت "سها" لتنقذ ما يمكن إنقاذه فقالت :

- سيبك منها تعالي نقعد على الكافتريا شويا

رفضت "فرحة" بشدة وقالت :

- لا لا لا .. أنا هروح المكتبة أذاكر شويا

قالت "أسماء" بغضب :

- هو انتي مفيش في دماغك غير المذاكرة ، ده انتي كئيبة ومملة

قالت "فرحة" مصححة :

- هو المفروض يكون فيه إيه تاني غير المذاكرة

قالت "أسماء" بخبث :

- فيه كتير ، مفيش مز ملك القلب وجوه الروح والعين شـايفاه ومـش طايلاه ، مفيش حتة حنينة معاكي ، قلبك مبيعرفش يحـب ولا إيـه ، مفيش لول كده ولا كده

تفهمت "فرحة" ما تقصده "أسماء" فقالت :

- لا خالص ، أنا الموضوع ده شايلاه من دماغي خالص لحد ما أخلص جامعة ، واشتغل كمان

قالت "أسماء" لـ"سها" :

- مش قولتلك إن دي عقد

قالت "سها" بخبث :

- هو برضه فيه بنت ملهاش في كده برضه

ثم أكملت "أسماء" :

- يعني مفيش حد بيقابلك في الشارع مثلا بيقولك ادلع يا جميل ، جِـن علينا يا غزال

قالت "فرحة" بخجل :

- فيه كتير ، بس أنا مش بعبرهم ، كلاب الشوارع دول

قالت "أسماء" بغضب :

- هتجيبلي السكر ، أنا نفسي أفهم تركيبتك دي معمولة من إيه ؟

نفذ صبر "فرحة" لأنها لا تحب أن تخوض في تلك المواضيع فقالت :

- أنا مش فاضيالكم ، أنا رايحة المكتبة هتيجوا معايا ولا لأ

قالت "سها" :

- لا أنا مش هروح

غنت "أسماء" بدلع :

- مش هروووووح

نظرت "فرحة" لـ"أسماء" باشمئزاز ثم قالت :

- دمك تقيل برضه ، هاه هتيجي معايا ولا هتروحي معاها

رجعت مرة أخرى للغناء ولكن هذه المرة هما الاثنتين :

- مش هروووح ، وبعز ما عندي بقول وبصوت مبحوح

ذهبت "فرحة" كعادتها إلى المكتبة لتقضـي بعض السـويعات بـين الكتـب والمراجع .

حين أنتهت من محاضراتها وفي طريقها للمنزل قررت أن تمر على بقالة أبيها تسأله عن حاله ففوجئت أن المحل مغلق ولم تجد في المكان إلا "ربيع" صديق والدها فهرولت إليه مستفهمة :

- ازيك يا عم "ربيع"

رد "ربيع" ممتناً :

- أهلا ازيك يا "فرحة" يا بنتي عاملة إيه ؟
- الحمد لله يا عم "ربيع" ، متعرفش بابا راح فـين وليـه قفـل دكانـه بدري كده

تردد "ربيع" قليلاً قبل أن يقول :

- متقلقيش يا بتي ، هو حس إنه تعبان شويا فأنا قولتله اقفل الـدكان وروح ارتاح شويا ، متقلقيش

هزت "فرحة" رأسها متفهمة وقالت :

- شكراً يا عم "ربيع" ، بعد اذنك
- اتفضلي يا بنتي ، ابقي طمنونا على أبوكي
- حاضر يا عم "ربيع"

وهرولت إلى المنزل لتطمئن على والدها ، كانـت تشـعر في قـرارة نفسـها أن الحقيقة غير ما قاله "ربيع" ، كانت تشعر أن هناك شيئاً ما ليس جيـداً قـد حدث لأبيها .

عندما دخلت المنزل وجدت صوتاً ما قادم من حجرة نوم أبيها فدخلت إليهـا فوجدت والدتها وأخوتها مجتمعون عنده وهو يظهر عليـه علامـات التعـب فأسرعت إليه وأمسكت يده وتبدو على وجهها علامات الحزن قائلة :

- سلامتك يا بابا مالك

بصوت واهن رد "جابر" :

- متقلقيش يا بنتي شوية تعب وهيروحوا لحالهم
- خلاص قوم ياله نروح للدكتور ، ولا أقولك أنـا هقـوم أتصـل بـأي دكتور يجي هنا

همَّت بالنهوض فأمسك الأب يدها قائلاً:

- صدقيني مش مستاهلة ، أنا عارف تعبي و دوايا

ثم إلتفت إلى "ثناء" قائلاً :

- خدي البنات يا "ثناء" وسيبني مع "فرحة" شوية

بدهشة نظرت "ثناء" إلى "جابر" وأذعنت لأمره ، وبعد أن خرجت "ثناء" قال جابر لـ"فرحة" :

- اقفلي الباب كويس يا "فرحة" واتأكدي إن محدش بيسمعنا

اتجهت "فرحة" لتوها إلى الباب وأوصدته جيداً وعادت وهي تضرب الأخماس في الأسداس وجلست بجوار والدها الذي ظل صامتاً لمدة زادت عن دقيقتين ، يبدو أن "جابر" أراد أن يجمع شتات تفكيره وأخيراً انتـزع "فرحـة" مـن حيرتها قائلاً :

- كان في سر أنا خبيته عليكي كتير ودلوقتي انتي كبرتي وآن الأوان إنك تعرفيه

إلتهبت نار الحيرة في صدر "فرحة" بعد تلك الجملة وقالت :

- سر !!!! إيه ؟!!

بالكاد اعتدل "جابر" بعد أن ساعدته "فرحة" وهو يقول :

- أنا مريض بالفشل الكلوى من فترة وخبيت عليكي انتـي واخواتـك ، بس أنا حاسس إن نهايتي قربت فكان لازم أكتب وصـيتي ، عشـان خلاص أنا حاسس إن أيامي في الدنيا معدودة ، بصي يا بنتي ....

بفزع قاطعته "فرحة" :

- بعد الشر عليك يا بابا ، إيه اللي بتقوله ده ، ربنا يديك طولة العمر

قاطعها "جابر" بحدة :

- اسمعي يا بنتي اللي هقولهولك ده وحطيه حلقة في ودنك ، أنـا ربنـا مدانيش ولاد بس أنا متأكد إنه اداني بنت بميت راجل ، عايزك تخـلي بالك من اخواتك ، وتحافظي عليهم ، انتـي هتبقـي أبـوهم بعـدي ، وأخوهم الكبير ، وسندهم في الدنيا ، انتي هتبقي مكاني

لم تستطع "فرحة" أن تمنع دموعها أكثر من ذلك فهطلت حتى أغرقت خديها وقالت :

- يا بابا بلاش الكلام ده ربنا يديك طولة العمـر ، إن شـاء الله هتخـف وتبقى كويس
- يا بنتي اسمعي كلامي كويس ، أنا عارف أنا بقول إيه ، عشـان كـده عايزك توعديني إنك تخلي بالك من اخواتك

دخل "جابر" في نوبة سعال شديدة ، ثم قال :

- كان نفسي يا بنتي أسيبلكم حاجة تعينكم على الدنيا وشـقاها ، بـس العين بصيرة والإيد قصيرة ، سامحوني غصب عني
- يابابا انت ربيتنا وعلمتنا ومخلتناش محتاجين أي حاجة ، وإن كـان كل أب المفروض يسيب ورث لأولاده فحضرتك سـايبلنا أفضـل ورث

في الدنيا أخلاقنا الحلوة ومبادئنا اللي اتعملناهـا عـلى إيـدك ، واحنـا هنفضل طول عمرنا تحت رجلك وطوع أمرك وبليز متقولش الكـلام ده تاني

ثم تمسح "فرحة" دمعة فرَّت من عينها بسرعة وقالت بإبتسـامة خالطتهـا الدموع :

- إنت مش دايما كنت بتقولي نفسك تشوفني عروسة ، إيه غيرَّت رأيـك ليه ، هو مين هيطلَّع عين العرسان لحد ما يلاقيلي عريس كويس ، هو مين اللي كان حالف إنه يرقص في فرحي ، هو مين اللي هيجهزني يـا سي بابا ، انت عاوز تخلف وعدك ليا ليه

ابتسم "جابر" وأشار إليها فاقتربت منه وقبَّل جبينها قائلاً :

- عارفة يا "فرحة" ، انتي لما اتولدتي كنتي فرحتنا بعد ما عشنا سنين محرومين من الخلفة ، ولما عرفت إنك بنت قولـت إنـك بنـت بميـت راجل ، ومن يومها ربيتك على الأساس ده ، ربيتـك عـلى إنـك راجـل البيت بعدي ، كنت حاسس إني مش هقدر أكمل مشـواري للآخـر ، واللي حسبته فعلا حصل ، يا بنتي أنا مطمن على أمك واخواتك عشان انتي موجودة .

قبَّلت "فرحة" رأس والدها قائلة :

- يا بابا كفاية ، أرجوك كفاية ، ربنا يديك طولة العمر
- طولة العمر ليكي يا بنتي ، أنـا كنـت عـايز أقولـك الكلمتـين دول ، سامحيني يا بنتي أنا هشيلك فوق طاقتك ، منصب صعب عليكي بس انتي قدها

ثم قال "جابر" كلمته ونظر إلى الأعلى ثم قال بصعوبة :

- أشهد ألا إله الله وأن محمد رسول الله

وكانت هذه الجملة آخر ما قاله "جابر" ، فما كان من "فرحة" إلا أن صرخت صرخة سمعها أهل المشرق والمغرب ، لم تكن تصدق أن والـدها أمامهـا الآن جثة هامدة لا روح فيها ، تكلمه ولا يسمعها ، ترفـع يـده فتسـقط دون أي مقاومة ، كل الجمل لا تكفي الآن لوصف شعورها .

ثلاثة أيام مرت على الأسرة وهي في نحيب وصراخ لفقيد ربها وعائلها الوحيد ، كانت "فرحة" أكثرهم توجعاً وألماً لأنها أكثرهم تعلقاً بأبيها ، ولكنها حافظت على رباطة جأشها ، حتى لا تظهر ضعيفة أمام أخوتها فقـد أصـبحت الآن بمثابة الأب لهم ، كانت تتحايل عليهم أن يضعن ولو لقيمات من الطعـام في أفواههن ، وبالكاد كن يسمعن كلامها ، حتى والدتها ضعفت وخارت قواهـا وكأنها انكسرت لفراق حبيبها وزوجها ورفيق دربها .

كانت "فرحة" تقوم بدور الأم لوالدتها ، تنصحها دائماً وكأنها الأقوى والأكثر خبرة ، والحقيقة أنها غير ذلك ، هي فقط تتظاهر بالقوة حتى تمنح تلك القوة لوالدتها وأخواتها .

قالت لوالدتها في محاولة للتماسك لرأب الصدع الذي حدث في المنزل بعد رحيل والدها :

- وبعدين يا ماما ، بقالك ٣ أيام ما أكلتيش ، ذنبهم إيـه اخـواتي دول تعذبيهم معاكي ، لما انتي تعملي كده امال الصغيرين دول يعملوا إيه ، بابا مات وده أمر واقع ولازم نسلم بيه

كانت "فرحة" بتلك الكلمات تضع حفنة من الملح في جرح أمها الغـائر فمـا كانت من والدتها إلا أن انهمرت دموعها أمطارا ، فأكملت "فرحة" مواسية :

- وحِّدي الله يا ماما ، انتي ست مؤمنة وعارفة إن ده نصيب ومحـدش يقدر يغيره ، و الأعمار كلها بإيد ربنا

قالت الأم بوهن :

- ونعم بالله ، بس أنا خلاص ضهري اتحني بعد أبوكي ، أنا مليش حد غيره انتي عارفة ، أنا مش عارفة ازاي نفسي مطاوعاني أعـيش بعـد منه ، يارب خدني بقى وريحني من العذاب ده

قبَّلتها "فرحة" في جبينها مهدئة وقالت :

- بعد الشر عليكي يا ماما ، وأنا واخواتي هتسيبينا لمين

ثم قالت مازحة :

- انتي عارفة بابا كان موصيني أجيبلك عريس ، عشان تعيشي حياتـك وتشوفي مستقبلك

ابتسمت "ثناء" بالكاد فأردفت "فرحة" :

- أيوه كده ، خلي الدنيا تنور يا ست الكل ، إيه نفسـك فيهـا ولا إيـه ، والنبي شكلك نفسك فيها ، انتي شـاوري كـده وتلاقـي العرسـان مرميين تحت رجليكي

وَخَذَت "ثناء" ابنتها في يدها قائلة :

- إيه اللي بتقوليه ده ، هو فيه راجل في الدنيا يملى عيني بعد أبوكي الله يرحمه ، أنا من بكرة هنزل الدكان وهقف فيه مكان أبوكي
- وأنا كمان من بكرة هـدور عـلى شـغل بالليـل عشـان أسـاعدك في مصاريف البيت ومصاريف اخواتي

وقفت "ثناء" منزعجة :

- إيه اللي بتقوليه ده ، انسي الفكرة دي خالص
- يا ماما ...

قاطعتها :

- انسي ، يعني انسي ، قال تدوري على شغل قال ، شـيلي الموضـوع ده من دماغك

وضعت "فرحة" يدها على كتف "ثناء" قائلة :

- حتى لو قلتلك إن دي وصية المرحوم بابا

اندهشت الأم فأردفت "فرحة" :

- آه ، هو وصاني قالي خلي بالك من اخواتك ، ومن مامتك
- بقولك انسي ، لما أموت إن شاء الله ابقي دوري على شغل واصرفي على اخواتك زي ما انتي عايزة ، لكن طول ما أنا عايشة عـلى وش الـدنيا وفيا النفس أنا هكمل اللي كان عايزة أبوكي ، أبوكي كان نفسه تكبروا وتاخدوا الشهادة الجامعية ... مفهووم

حضنتها "فرحة" بشدة وقالت :

- بعد الشر عليكي يا ماما ، احنا ملناش غـيرك دلـوقتي بـس ممكـن تسمعيني وتفهمي وجهة نظري

بفراغ صبر قالت "ثناء" :

- افهم إيه وأنيل إيه ، عايزة تضيعي مسـتقبلك ، لـو عـايزة تِفَرَّحِـي أبوكي في تربته يبقى تنجحي وتعملي اللي كان نفسه فيه

ردت "فرحة" قائلة :

- تعالي نحسبها صح ، أنا مش هسيب الكلية ولا حاجة ، أنا هدور عـلى شغل بعد الكلية ، وبعدين تفتكري الدكان هيلاحق على مصاريفي أنا واخواتي ، ده على أيام بابا كان يدوب يكفينا أكل وشرب

ولم تجد "ثناء" بـُداً من الرضوخ عند رغبة ابنتها العنيدة كالعادة ، وكانت بداخلها تشعر بالفخر بها ، فهي نعم البنت ، فقد صدَّقت قول أبيها حين قال عنها أنها بنت بألف ولد ، وبعد لحظات من الصمت قالت "فرحة" :

- تعالي ياله ناكل لقمة مع بعض

ردت "ثناء" قائلة :

- مش هاين عليا أقعد ع السفرة من غير أبوكي
- على فكرة لو ما أكلتيش معانا أنا مش هاكل لا أنا ولا اخواتي

ردت "ثناء" قائلة :

- أرجوكي يا بنتي متضغطيش عليا أنا مش قادرة

وقفت "فرحة" وقالت :

- واضح كده إن الذوق مش هينفع ، يبقى بالعافية بقـى ، يـالاه سـت هانم قومي كلي ، وهتاكلي يعني هتاكلي ، أنـا دلـوقتي راجـل البيـت ولازم تسمعي كلامي ، مفهوم ولا مش مفهوم

ابتسمت "ثناء" لا إرادياً ، ولكن ما لبست أن تذكرت زوجها فلم تسـتطع أن تمنع دمعتين من عينيها فاحتضنت ابنتها بحب فقالت "فرحة" :

- كفاية بقى يا ماما بلاش متعذبيناش ، أبوس إيدك كفاية

ثم مدت يديها ومسحت دمعتي والدتها بحب وسحبتها من يديها للخارج .

كانت "فرحة" بارعة في التمثيل و الإدعاء ، كانت تدعي الصبر والجمود والقوة ولكنها كانت إذا خلت بنفسها ولو لدقيقة تترك العناء لدموعها الغزيرة كـي تهطل حتى تزيح كم الهموم من على صدرها ، كانت كعادتها دائماً إذا أرادت أن تبكي فلا تدع أحد يرى دموعها ، حتى لا تظهر ضعيفة ، كانت دائما تدعو وتبتهل إلى الله أن يعينها على تنفيذ وصية أبيها .

كان العثور على عمل بالمواصفات التي تريدها "فرحة" أشبه بالبحث عن إبرة في كومة من القش ، ما هو العمل الذي يجعلها تذهب إلى جامعتهـا وتـذاكر دروسها ؟ كانت المعادلة صعبة الحل ، كلما دخلت مكان تطلب فيه عملاً إما أن تُطرَد وإما أن تُرفض ، حتى أنها عرضت على أصحاب أحـد المطـاعم أن تغسل الأطباق وأن تنظف وتمسح المطعم حتى رق لحالها قائلاً :

- بصي انت شكلك بنت حلال ، أنا محتاج جرسونة الفترة المسائية مـن الساعة ستة لحد الساعة اتناعشر

ردت ممتنة :

- ربنا يبارك في حضرتك ، وأنا أوعدك إني هشتغل بإيدي وسناني

- جاهزة تستلمي الشغل من بكـرة ، وهـديكي ٥٠٠ جنيـه في الشـهر مبدئياً ، وممكن بشطارتك تخليني أزودلك مرتبك
- إن شاء الله هكون عند حسن ظن حضرتك يا فندم

كان العمل إلى حد ما غير متعب وخاصة أن الفـترة المسـائية لا يوجـد بهـا ضغطاً من الزبائن على المطعم .

حمدت الله على ذلك العمل الذي رأت فيه أنه سيساعدها كثيراً بجانب دكـان أبيها الذي كانت تقف فيه والدتها في بعض الأيام وهي في الأيام التـي لـيس لديها محاضرات في الجامعة فيها .

وهكذا نصَّبَت فرحة نفسها مسئولاً عن هذه الأسرة البائسة تنفيـذاً لوصـية والدها ، المنصب الذي اضطرت أن تقبله غصباً عنها ، كانت تعلم أنه منصباً صعباً ولكن لا بد منه .

****

١١

لقاء وحيرة

"فادي" الشاب الغني الثري الذي يلتف حوله عشرات الأصدقاء ليس حباً فيه ولكن عملاً بالمقولة التي تقول (من جاور السعيد يسعد) .

كان يرى في ذلك الفخر لأن أصدقاءه دائماً في حاجة إليه ، كانوا دائماً يسهرون معه في شقته التي استأجرها ليسهر فيها مع زملائه مـع بعـض المومسـات اللاتي يلتقطنهن من الشارع ليلاً ، كانت شلته الأقرب لقلبه هم "علاء" ابن رجل أعمال كبير وأيضاً "تامر" شاب بسيط ميسور الحال نوعاً مـا ولكنـه انجرف لتياره .

كان "فادي" الممول لهذه الشلة بالرغم من أن بعضهم أبناء أغنيـاء أيضـاً ، ولكنه كان يحس بالفخر في أن يصرف نقوده عليهم ، كانوا يحبونـه عنـدما يقول :

- النهارده محضرلكو سهرة إنما إيه آخر دلع

فرح الجميع بذلك وأثنوا عليها ما عدا "علاء" الذي قال :

- لا مينفعش يا برنس بابا موجود النهارده مش مسـافر ، ولازم أبـات معاه ، مش هينفع أروح الشقة

رد "تامر" قائلاً بسخرية :

- مش لازم تروح انت ، خليك جمب باباك وهات المفتاح نروح احنا

رد "علاء" قائلاً :

- إيه الندالة اللي انتوا فيها ؟ ، عايزين تروحوا من غيري

قال "فادي" :

- هو حد كان منعك ، تعالى معانا ..... ولا انت صحيح النهـارده يـا عيني هتشرب اللبن وتنام بدري عشان عندك مدرسة الصبح

المزحة لا تستحق ولكنها من فم "فادي" لها طعم آخر ، سيضـحك الجميـع مجاملةً أكييد وذلك ما حدث بالفعل ، فقد ضحك الجميع فقال "تامر" قاطعاً ضحكته :

- غيروا الموضوع عشان البنات جايين

كان من بقية الشلة "هنا" و"علا" كانا يسهران معهم في الملاهي الليلة ولكن كانا يرفضن أن يذهبا معهما إلى شقتهم المشبوهة معللين ذلك بأن آخرهم أن يرقصن أو أن يشربن لكن أن يذهبا أعمق من ذلك فلا ، وكان "فادي" يحترم ذلك المبدأ فيهن ، كانت "علا" أول من تحدثت قائلة :

- صباحوا أبيض

رد "فادي" بعدما غمزها في جمبها

- صباحوا عثثل ، فين الواد الملزق بتاعك اللي دايما لازقلك

ردت "علا" بضحكة :

- واد خنيق كده ، بس الحمد لله ارتحت منه ، فهمته إنه مش على بـالي أصلا

فرح "تامر" بعدما ضربها في كتفها ضربة خفيفة :

- أيوه كده بقا ، ياما قلتلك شوفي مين بيحبك ومين لأ ، بصـــي قـدامك هتلاقي اللي يتمنالك الرضا ترضي

قالت "علا" وهي تنظر إلى "فادي" بغمزة :

- أنا ممكن أرضى بواحد بس وهو عارف نفسه كويس ، بس هو يقـول آآآآه

فهم "فادي" ما تقصده "علا" من كلماتها تلك فقال :

- لا انسي الحوار ده خالص أنا مش بتاع الحاجات دي

قال "علاء" بعدما اقترب من "علا" بشدة :

- أنا بتاع الحاجات دي أوي ، وأعجبك بس قولي انتي آه ، حتـى شـوفي الصدف اسمك زي اسمي فرق الهمزة

ضحكت "علا" قائلة :

- بس يا بتاع انت ، بقى أنا أصوم أصوم وأفطر على بتاع زيك

ضحك الجميع فقال "تامر" :

- قصف جبهة محترم ، طارت الجبهة ، محدش لقى جبهة طايرة هنـا يا جدعان

فقال "علاء" :

- ملكش دعوة انت

ثم اتجه برأسه إلى "علا" قائلاً :

- متعرفيش البتاع انتي ممكن يعمل عشانك إيه ، بس جربيه

قالت "علا" بدهشة :

- تكونشي بتحبني يا واد

قال "علاء" :

- بعد الشر عليا

ضحك الجميع مرة واحدة فقال "علاء" بعدما اقترب منها قليلاً :

- واحدة بواحدة كده خالصين ، والبادي أظلم

زمَّت "علا" شفتيها غاضبة وقالت :

- ماشي يا عم ، بس خليك فاكر انت اللي بدأت ، بس الـلي ميـزعلش في النهاية ، المهم هتعملوا إيه النهارده

قال "فادي" وهو يخرج هاتفه المحمول ويقلب فيه :

- نفس المكان ، هو احنا لينا غيره

أخيراً نطقت "هنا" وقالت :

- ما تيجوا نغير المكان ده ، أنا زهقت منـه ، بصراحـــة بقـى مكـان فكسان وممل
- لا بالعكس ، احنا اتعودنا عليه وعلى الناس فيه ، والنـاس بيعملولنـا ألف حساب ، لسه هنروح مكان جديد وكده

اقتنعت "هنا" قائلة :

- براحتك ، بس أنا نفسي نغير ، نعمل حاجة جديدة ، أنا مليت

اقترب منها "فادي" وأمسك ذقنها بإبهامه وسبابته ثم مـرَّر أصـبعه عـلى شفتيها قائلاً :

- مليتي ، يا نهار أبيض ، حد يبقى مصاحب "فادي عزيز" ويمل ، يـا فضحتي بين الناس يا لهوي ، الناس هتاكل وشي كده ، واحـدة مـن شلتي ملانة ، تعالي كملي السهرة معانا بعـد الديسـكو وانتـي مـش هتحسي بملل خالص

وهنا أبعدت "علا" يد "فادي" عن "هنا" وقالت :

- اهدى بس يا عم الأمور ، احنا متفقين على الموضوع ده من الأول ، ولا انت نسيت
- لا مانستش أنا بقترح بس ، مش هي اللي عايزة تغيير

"علا" هي الوحيدة التي كان يحسب لها "فادي" ألف حساب قد يكـون لأن أبيها يعرف أبيه وهناك شراكة كبـيرة بينهمـا، فكـان يخـاف أن يغضـبها فتشتكيه لوالدها أو تقص له ما يفعله فيخبر والده ، أو ربما لسبب آخر هو لا يفهمه .

قالت "علا" :

- أنا رايحة الكافتريا ، حد جاي معايا

رد "فادي" وهو يُشيح بنظره ناحية المدرج قائلاً :

- لا روحي انتي أنا رايح المدرج

نظر الجميل بذهول إلى "فادي" ثم قالت "هنا" :

- لا متقولش ، رايح تحضر محاضرة ولا إيه

ثم قال "علاء" :

- لا محاضرة إيه ، شكله معاه معاد جديد

ثم أردف "تامر" :

- مين ها ... ميين ، نمرة جديدة دي ولا إيه ، الله يسهلك

ظهرت على "فادي" علامات الغضب فقال :

- فيه إيه يا بني آدمين ، انتوا هتحفّلوا عليا ولا إيه ، امشي ياد انت وهو مش فايقلكم

قال "تامر" معتذراً :

- خلاص يا كبير ، احنا رايحين ولما تخلص تعالالنا

وانصرف الجميع ، فاتجه "فادي" إلى المدرجات ليقابل أحد معارفه وبينما هو في طريقه كان يفتش في جواله عن رقم صاحبه إذ اصطدم بفتاة جعلت الدم يتدفق في عروقه ، خطفته كما يخطف البرق أعين البشر .

كانت الفتاة هي "فرحة" وكان أول يوم تنزل فيه الجامعة بعد وفاة والدها ، كانت تبحث عن صديقاتها لتأخـذ مـنهن مـا قـد فاتهـا مـن المحـاضرات والسكاشن وحين اصتدمت بـ"فادي" قالت معتذرة بصوت مكسور :

- أنا آسفة مخدتش بالي

ظل "فادي" ينظر في عينيها لفترة طويلة ولـم يـتكلم فأحسـت بالكسـوف وغادرت المكان فوجد" فادي" نفسه يسير خلفها بعينيه دون أن يشعر بنفسه ، أما عن "فرحة" بعدما سارت بضع خطوات نظـرت إلى الخلـف فوجـدت "فادي" ما زال ينظر إليها فأسرعت في السير لا تدري أين تذهب حتى اهتدت إلى المكان الذي يجلسن فيه صديقاتها فأسرعن إليها تُعزينها فقالت "أسماء" :

- "فرحة"..... وحشتينا أوي

ثم ضمتها إلى صدرها وأكملت :

- البقية في حياتك ، ربنا يصبرك يا حبيبتي

وكذلك فعلت "سها" ولكنها أضافت :

- إيه يا بنتي الغيبة دي كلها ، احنا قولنـا إنـك مـش هتيجـي تـاني ، اختفيتي كده وقفلتي تيلفونك ولا عارفين عنوان ليكي عشان نـزورك فيه

ردت "فرحة" معتذرة :

- معلش ، أصلي من يوم ما مات المرحوم بابا وأنا حيـاتي متلخبطـة ، والدنيا عمَّالة تقلب فيا شمال ويمين ، مش عارفـة ألاقيهـا منـين ولا منين ، سامحوني

قالت "أسماء" بتأثر :

- لو محتاجة فلوس ، قولي واحنا نتصرف ونجيبلك
- ربنا يخليكم ليا يارب ، أنا الحمد لله لقيت شـغلانة كـده وهصـــرف منها على نفسي وعلى اخواتي

ردت الاثنتين بدهشة :

- شغلانة

وأردفت "أسماء" :

- شغل إيه يا بنتي ، طب ودراستك ومستقبلك ، انتي مسـتواكي حلـو وكله متوقع إنك هتبقي معيدة إن شاء الله

وتابعت "سها" ما بدأته "أسماء" وقالت :

- اوعي تكوني ناوية تسيبي الجامعة
- لا .. لا أنا اتفقت مع صاحب الشغل إني هشتغل بالليل بس ، عشـان أعرف أجي الجامعة الصبح ، هحاول أوفق ما بين الشغل والجامعـة هعمل إيه يعني ؟

قالت "سها" :

- يا بنتي طب ما ساعات بيبقى في محاضرات آخر النهار هـتعملي إيـه فيها ؟

ابتسمت "فرحة" بحزن ثم قالت :

- البركة فيكم انتوا بقى ، أبقى أخد المحاضرات اللي هتفـوتني مـنكم ، معلش يا بنات هتقل عليكم شويا

ثم اقتربت "أسماء" منها قائلة :

- المحاضرات مقدور عليها ، المشكلة انتي هتلاحقي ازاي على الجامعـة والشغل والبيت والمذاكرة والامتحانات

قاومت "فرحة" دمعتين كانتا على وشك النزول وقالت بأسى :

- ربنا بيعين ... وأنا هعمل إيه يعني ؟ الدنيا رمت حمولها عليا بـدري قوي ، ولا بيا أفـكر في نفسى ولا بيا أفكر في اخواتي ولا أمـي ، مـش عارفة أعمل إيه ، بس أنا مؤمنة إن ده قدر ربنا ومـش هقـول غـير الحمد لله على كل حال

ربتت "سها" على كتفها مواسية :

- ع العـموم متقلقيش ، ربنا مش بيسـيب حد ومش بينسى حـد ، وما ضاقت إلى وفرجت ، وأنا متأكدة إن ربنـا كاتبلـك كـل خـير ومـش هسيبك أبداً

تنهدت "فرحة" ثم قالت :

- ونعم بالله ، ياله بينا عشان نلحق المحاضرة قربت تبتدي

ثم تحركن في اتجاه المدرج فقالت "سها" :

- مقولتلناش يا "فرحة" ، شغل إيه ده اللي لقتيه

قالت "فرحة" وهي تنظر أسفل قدمها بحرج :

- جرسونة في مطعم

أحست "سها" بأنها أحرجت صديقتها فقالت مصححة :

- معلش يا "فرحة" مقصدش حاجة والله ، بـس مـش لايقـة عليكـي الشغلانة دي ، انتي طالبة جامعية

غمزت "أسماء" لـ"سها" لتسكت ثم قالت :

- معلش بكرة تتعدل بإذن الله

قالت "فرحة" :

- إن شاء الله ، أهو الشغل اللي لقيتـه ، وبعـدين الشـغل الوحيـد الـلي هيخليني أقدر أجي الجامعة

وهنا كن قد وصلن إلى باب المدرج وبالصدفة كان "فادي" ما زال يجلس أما المدرج وعندما اقتربت منه "فرحة" وجدته ينظر إليها بشـدة ، فتعمـدت أن

تتجاهله وتدخل المدرج ، ولكن" سها" و"أسماء" لاحظتـا ذلـك فابتسـمتا وقالت "سها" بهمس :

- مش ده الواد "فادي" ، اللي بيقوله عليه

أومأت "أسماء" بالموافقة فأكملت "سها" :

- وماله بيبص ليه لـ "فرحة" كده
- مش عارفة
- يكونشي اللي ف بالي يا بت
- لا ... لا ... ده ميعرفش الحاجات دي ، يا بنتي ده كل يوم مع واحدة
- يا بنتي مشفتهوش بيبصلها ازاي ، والله الواد ده عينه منها
- والنبي تسكتي يا زفتة

بعدما وصلت "فرحة" إلى باب المدرج فوجئت بأن صديقتيها تأخرتا عنهمـا فرجعت إليهما قائلة :

- بتتودودا ف إيه انتوا الاتنين

بصوت واحد قالتا :

- لا أبداً مفيش ، ياله بينا

دخل الثلاثة إلى المدرج وجلسوا بالجوار في مقعد في آخر صف ثم قالت "سها" وهي تغمز لـ "فرحة" :

- الله يسهله يا عم ، في ناس هنا بيكراش عليهم وهما مش حاسين

ردت "فرحة" بعدم استيعاب :

- تقصدي مين ؟

ضحكت "سها" حتى إلتفت إليها بعض الطلبة فشعرت بالحرج قلـيلاً ثـم قالت بهمس :

- النظرات اللي رايحة جاية دي

ثم رقَّصت كتفيها برومانسية وقالت :

- قُل لمن لامَ في الهوى هكذا الحبُّ قد أمـرْ ، إن عشـقنا فعـذرُنا أنّ في وجهنا نظرْ

زادت دهشة "فرحة" وهي تحاول أن تتصنع ذلك فهي لـم تكـن تـدري أن صديقتيها قد لاحظا نظرات ذلك الشاب الوسيم لها ثم قالت :

- انتي اتجننتي ولا إيه ، تقصدي إيه بكلامك ده

أرادت "أسماء" أن تفض مظاهرة الحيرة التي اشتعلت في عقـل صـديقتها فقالت :

- "سها" بتتكلم عن "فادي" يا فالحة

سرحت "فرحة" قليلاً في اسمه وقالت دون ما تدري :

- "فادي" ..... هو اسمه "فادي"

ثم تداركت ذلة لسانها وقالت مصححة متلعثمة :

- "فادي" مين ؟ أنا مش فاهمة حاجة ، بتتكلموا ليه بالألغاز

قرصتها "سها" في يمينها بشدة وقالت :

- آه منك انتي يا سُهنّة آه ، "فادي عزيز" مرة واحدة

وهنا دخل الدكتور وألقى التحية وبدأ في سرد محاضرته التي بلا شك لم تصل كلمة منها إلى أذن "فرحة" ، كانت في عالم آخر بسبب تلك النظرتين المتتاليتين من ذلك الذي يدعوه الناس "فادي" ، ماذا فعل بها ذلك الشخص الذي نظر إليها مرتين فقط ، كانت من بين الحين والحين تطرد تلك الأفكار من رأسـها وتحاول أن تركز في المحاضرة ولكن بلا جدوى ، سرعان مـا يأتيهـا طيفـه ينتزعها من تركيزها نزعاً ، ليذهب بها إلى عالم جميل ، عالم لم تكن تتوقـع يوما أنها تكون من رُوَاده .

كانت "فرحة" لا تؤمن البتة ب "الحب من أول نظرة " ولكنها لا تدري ماذا دهاها ؟ لم تكن تعرف معنى هذا الشعور الذي انتابها فجأة دون مقـدمات وفي غير موعده ، لماذا كانت تشعر في قرارة نفسها بالغبطة لهذه النظرة وإن

كانت أظهرت عكس ذلك ، لم تفق من سرحانها إلا على صوت "أسماء" تهزها برفق :

- "فرحة" ، "فرحة" ، يا بنتي سراحانة ف إيه ؟؟؟!

ردت "فرحة" بلا مبالاة :

- هي المحاضرة خلصت امتا

غمزت "سها" بعينها وقالت :

- إيه الشبكة وقعت عندك ولا إيه ، اللي واخد عقلك

لم ترد "فرحة" على "سها" بل نظرت إلى سقف القاعة فأدركت "أسماء" الموقف قائلة :

- مالك يا بنتي ، فيكي إيه

ردت "فرحة" بسرعة :

- مفيش أنا بس عايزة أروح

حملت حقيبة يدها واتجهت نحو الباب وغادرت دون حتى أن تسلم على صديقتيها ، مما دعا إلى دهشتهما فقالت "أسماء" :

- مالها البت دي

ابتسمت "سها" بخبث جلي ثم قالت :

- مش قولتلك وإن عشقنا فعذرنا أن في وجهنا نظر

*****

قررت "فرحة" أن تطرد تلك الوساوس من عقلها فذهبت إلى والدتها التي تجلس في المحل وطلبت منها أن تذهب لتستريح وهي ستجلس مكانها حتى ميعاد عملها في المطعم فردت والدتها بحب :

- أنا مش تعبانة يا بنتي ، روحي انتي ارتاحي شويا ، عشان لما تطلعي الشغل تبقي فايقة وكويسة

وبعد الكثير من المناقشات والمباحثات ، انتصـرت فيها "فرحة" كعادتهـا ، ذهبت الأم إلى منزلها بعدما قالت لها :

- هروح أحضرلك لقمة وأجيبهالك في العمود ، عشان تتغدي
- ملوش لزوم يا ماما أنا مش جعانة ، متتعبيش نفسك يا ست الكل

ثم انصرفت الأم بائسة ، فكل محاولاتها لم تفلح ، كانت تعلم أن ابنتها عنيدة ، ولن تستطيع إجبارها على شيءٍ لا تريده .

جلست "فرحة" في مكان والدتها وأطلقت العنان لخيالها ليفكر في ذلك الشاب الوسيم ، تريد أن تجد حلاً لتلك المشكلة التي وقعت بها ، نعم أطلقت عليهـا مشكلة ، وهي حقا مشكلة ، كانت تارة تقول لنفسها أن الفرق كبـير بينهـا وبين ذلك الشاب ، هو يبدو عليه الثراء الفاحش وهي مَنْ هي ؟ ، يتيمة الأب تعمل في أحد المطاعم ، تفرح عندما يخرج لها أحدهم "بقشيش" أيما فرحة ، الفرق شاسع ، ولكن تارة تقول أن مرآة الحب عمياء ، يجوز أنه عشقها منذ رآها ، ولكن تعود وتقول لنفسها أن هذه تفاهات ، هل ترى سيسمح له أهله أن يرتبط ببنت فقيرة مثلها ، وتفوق من سرحانها على صـوت أم "محمـد" تقول لها :

- فرحة ... يا بتي

انتبهت "فرحة" أخيراً فقالت :

- أهلا تنط أم "محمد" ، معلش مخدتش بالي ، حضرتك عايزة إيه
- أمال أمك فين يا بتي ، هي تعبانة ولا حاجـة ، مـش عادتهـا تـروح بدري كده
- لا لا ... أنا بس رجعت من الكلية بدري ، فقولت أقف مكانهـا شـويا أريحها ، هي كويسة مفيهاش حاجة ، ميرسي يا تنط
- طـــب الحمد لله ، هاتيلي بقى علبة سمنة أم تمنتاشر جنيه وعـــشر بيضات

بسرعة أحضرت "فرحة" ما طلبته السيدة وقالت :

- اتفضلي ، بس معلش السمنة مكتوب تحتيها ١٩ ونص ، شكلها غليت يا تنط

باستنكار ردت السيدة :

- ليه يا بتي ما لسه واخداها الشهر اللي فات بـ ١٨ جنيه لحقوا يغلوها ولاد الكلب
- وإيه في البلد مغليش يا حجة ، الحاجة الوحيـدة الـلي رخصـت هـي البني آدم
- عندك حق يا بتي ، والله ربنا يكون في عون أمك ، أكيد تعبـت معـاكم بعد المرحوم أبوكم ما مات

ثم تناولت السيدة الطلبات وأعطت "فرحة" ثمنها وغادرت وتركتها لسرحانها مرة أخرى ولكن هذه المرة عادت "فرحة" إلى واقعها المرير ، هل يجدر بهـا أن تفكر في حب وارتباط وهي في تلك الظروف ، هنا قررت أخيراً أن تنسى هذا الموضوع أساساً ، وقالت بصوت عالي يلاحظه من يمر من أمام المحل :

- كده أحسن

بالصدفة كان "ربيع" صديق والدها يمر وقد سمعها تقول ذلك ، فانـدهش واقترب منها قائلاً :

- فرحة !!! ازيك يا بنتي ، خير أمال فين أمك مش بعادتها يعني

انتفضت "فرحة" حرجاً حينما فوجئت بـ"ربيع" أمامها فقالت بتعلثم :

- خير يا انكل "ربيع" ، أنا قاعدة مكانها شويا ... متقلقش

أومأ "ربيع" متفهماً وقال بمزاح :

- هو إيه اللي أحسن ، كنتي بتقولي عليه من شويا

ازداد اضطراب وجه "فرحة" ، لا تدري ماذا تقول ولكنها قالت :

- مفيش حاجة يا انكل ، أنا بس كنت متخانقة مع ماما عشان مش عايزة تريح نفسها شويا
- والله يا بتي ، أمك دي المفروض يعملولها تمثال ، أنا لو منهم أديها لقب الأم المثالية

ضحكت "فرحة" ثم قالت :

- لا ما خلاص سبقتها "فيفي عبده" وخدتها

ضحك أيضاً "ربيع" ثم تغيرت ملامح وجهه للجدية وقال :

- معلش والله يا بنتي مقصر معاكم شويا ، بس والله الدنيا تلاهي وانتي عارفة
- متقولش كده يا انكل ، احنا ملناش غيرك في الدنيا بعد ربنا وبعد وفاة المرحوم بابا الله يرحمه

رد "ربيع" بأسى :

- الله يرحمه ، بقولك إيه يا بتي ، مش محتاجين حاجة كده ولا كده ، متتكسفيش قولي
- تسلم يا انكل ربنا يخليك ، خير ربنا كتير ، مستورة الحمد لله ، أهو القرشين اللي بيطلعولنا من الدكان زائد مرتبي في المطعم ممشين الحال الحمد لله ، ربنا مبينساش عبيده
- ونعم بالله يا بتي ، عقبال ما أفرح بيكي يارب وأشوفك في بيت العدل
- عدل إيه بس يا انكل ، عدل مين اللي هيبص على واحدة يتيمة بتجري على اخواتها اليتامى ، عدل مين بس ، العدل معانا احنا عمره ما هيتعدل
- متقوليش كده يا بتي ، انتي بسم الله زي فلقة القمر وأي حد يتمناكي
- لسه بدري ع الكلام ده يا انكل ، لما أخلص دراستي ، وأطمن على اخواتي الأول ، وبعد كده ربنا يحلها من عنده

- ونعم بالله يا بتي ، ياااه هسيبك أنا عشان ألحق صلاة العصر قبل مـا يصلوها
- ربنا يتقبل يا انكل ، ادعيلنا بالله عليك وانت بتصلي
- حاضر يا بتي

ثم انصرف "ربيع" وتركها بعدما أعادها لحيرتها مرة أخرى ، كلما أرادت أن تكف عن التفكير في هذا الموضوع كانت تجد ما يذكرها بها فقالت :

- برضه كده أحسن

ثم إلتفتت حولها بسرعة خشية أن يسمعها أحد فيأتي ليسألها ما بهـا مـرة أخرى ، تمنت أن لو حضرت والدتها الآن ، شعرت بأنها أخطأت حين فكرت أن جلوسها في المحل سوف ينسيها ما حدث لها بالجامعة صباحاً

*****

١٢

ليست صدفة

في الملهى الليلي كان "فادي" يجلس مع شلته كعادته ولكن ينقصهم "علاء" الذي ما لبث أن دخل عليهم مسرعاً ونزع الكأس من يد "فادي" وإلتقم كل ما فيه بشراهة وهو يلتقط أنفاسه فقالت "علا" :

- اهدأ يا عم ، إنت كنت في مارثون ولا إيه ، بتنهج ليه كده

نظر إليها "علاء" دون أن ينطق ثم اتجه إلى "فادي" الذي قال لتوه :

- سبع ولا ضبع ؟!!

رد "علاء" بغمزة :

- عيب عليك تسأل سؤال زي ده ، انت عارفني لما أكون عايز أعمل حاجة بعملها مهما كانت
- لخص يا عم الأمور ، قولي عملت إيه

قالت "هنا" بعدما رشفت آخر شفطة من كأسها :

- متفهمونا بتتكلموا عن إيه ، بدل ما احنا قاعدين كده

رد "فادي" بسرعة :

- لا ده موضوع هحكيلكم عليه بعدين

ثم وقف "فادي" وانصرف وأشار إلى "علاء" أن يتبعه ، فنفذ فوراً ، وتركا الشلة وانصرفا فقالت "هنا" مستفهمة :

- حد فاهم حاجة

رفعت "علا" كتفيها إلى منتصف رأسها وبسطت كفيها وزمّت شفتيها وقالت :

- علمي علمك

تدخل "تامر" في الحوار قائلاً :

- هو فيه إيه ، والعيال راحت فين

ابتسمت "هنا" وقالت :

- هي فعلا راحت ، بس راحت منك انت ، إيه يا ابني انت مش هتفـوق من اللي انت فيه

ثم اقتربت "علا" منه وكان في حالة سكر وحكّت كتفها بكتفه وقالت :

- انت حبيبي يا "تامر" ، مش بتخبي عليا حاجة ،" فادي" و"عـلاء" مالهم ؟؟ ومخبيين عننا إيه ؟ وإيه الموضوع اللي بيتكلموا عليه ؟

ابتسم "تامر" وقال :

- حبيبك ، أخيراً اعترفتي بيها ، أخيراً حسيتي بيا ، من زمـان ونفـسي تقوليها

أدركت "علا" الغلطة التي وقعت بها ، فطالما اعترف لها "تامر" بحبه ولكنها كانت تعتبره صديقها فحاولت أن تصلح ما أفسدته فقالت :

- قصدي بحبك زي أخويا يعني ، المهم أكيد انت عارف اللي بين "علاء" و"فادي" ، هاااا ، مخبيين عننا إيه ؟

همَّ "تامر" بالحديث ولكنه على آخر لحظة أمسك لسانه قائلاً :

- لا ..... هما بيزعلوا مني لما بقولكم أسرارهم
- ومين بس اللي هيعرفهم إنك قولتلنا

ثم تمايلت بدلع وقالت :

- "تامر" حبيبي ياله قول ، هتخبي عليا

لمست يده بيدها فأحس "تامر" برعشة غريبة ثم نهض وقال :

- الموضوع عن بنت بس معرفش التفاصيل بالظبط ، ومش هقول أكتر من كده ، أنا هروح أشوفهم فين

غادر "تامر" المكان تاركاً الفتيات تخمن باقي الحـوار ، فلاحظـت "هنـا" الوجوم الذي اكتسى به وجه "علا" فقالت :

- مالك يا "علا"

ردت "علا" بيأس :

- مفيش حاجة ، هيكون مالي يعني

فهمت "هنا" ما يدور بداخل صديقتها من مشاعر ، كانت "علا" قد أفصحت إليها كثيراً ببعض مشاعرها تجاه "فادي" وأنها تحبه ، ولكنه يـصر على أن العلاقة بينهما لن تتعدى الصداقة قالت "هنا" مواسية :

- فهمت ... فهمت ، ربنا يكون في عونك
- فهمتي إيه بالظبط ، مفيش حاجة

ابتسمت "هنا" ابتسامة ساخرة وقالت :

- وشك مفضوح على فكرة وباين عليه أوي ، انتي ملكيش ذنـب ، هـو مش حاسس بيكي ومش هيحس بيكي
- ليه ، ناقصة إيد أو رجل ، ولا البنات الزبالة اللي بيعرفهم أحسن مني في إيه

- لأ ناقصة حاجات أهم من كده بكتير ، وبعدين عشان انتي مش زبالة فهو مخليكي بعيد عشان انتي غيرهم ، هما حاجـة كـده ديلفـري ، يقضي معاهم ليلة والسلام ، انتي المفروض تفرحي إنك مش زيهـم ، بس لو عايزاه يحس بيكي أنا عندي الطريقة

نظرت إليها "علا" باهتمام مشجعةً إياها أن تكمل حديثها فأردفت "هنا" :

- هو كل يوم بيشوفك ، وقت مـا بيكلمـك بتخرجيلـه ، ناقصـك إنـك تحرميه منك عشان توحشيه ، طول ما انتي قدامه ليل نهار كـده ولا هيعبرك
- بس انتي عارفة اني مبقدرش أعدي يوم من غير ما أشوفه
- ما هو ده اللي بتكلم فيه ، هو عشان عارف إنك واقعة فيـه وبتجـري وراه فعامل أهبل ومطنش ، لكن لو قدرتي تفهميه إنـه مـش فـارق معاكي وإنه زيه زي غيره بالنسبالك ، يمكن يحس بيكي
- عايزاني أعمل إيه يعني ؟
- اصبري بس ، وأنا هعملك خطة متخرش الميه ، هـنخلي "فـادي" ده زي الخاتم في صباعك

ثم احتضنا بعضهما بحب .

في الجانب الآخر كان "فادي" يجلس مع "علاء" ليخبره بتفاصـيل ونتـائج المهمة التي أرسله لإنجازها فقال "علاء" مفتخراً :

- بص يا معلم ، اسمها "فرحة" ، أبوها مات من شـهر ونـص كـده ، وهي دلوقتي شغالة في كافيه "ستار" اللي أول شارع الجامعة

أومأ "فادي" برأسه علامة الرضا على ما عرفه من معلومات فأردف "علاء" قائلاً :

- مقولتليش انت عايز تعرف المعلومات دي ليه ؟
- عادي ، أنا شفتها الصبح ، عجبتني بصراحة

- حبيت ولا إيه يا "فادي" ، شكلك وقعت يا معلم
- لا حب إيه وبتاع إيه ، أنا بتاع كده برضه ، بس فرس زي ده بظروفه المنيلة دي ، سهل يدخل الموسوعة بتاعتنا

نظر إليه باستغراب قائلاً :

- لا انسى ، اللي زي دول أصحاب شعارات ومبادئ والكلام الفـاضي ده ، مش هتوافق طبعاً ، تقعد تقولك حرام وعيب والحاجـات دي ، أنـا من منطلق خبرتي في البنات أقولك إنسى
- يا ابني انت بتقول أبوها مات ومحـدش بيصـــرف علـيهم ، يعنـي محتاجة ، والحاجة أم الإيه ...؟
- الأختراع
- غشيم ، الحاجة أم التنازلات ، يعني مهما كانـت المبـادئ الـلي انـت بتقول عليها دي ، ملهاش قيمة قـدام الفلـوس ، لـو زغللنـا عينهـا بقرشين يبقى هتوافق غصب عنها
- أشك
- تتحداني
- أراهنك
- على إيه ؟
- على أي حاجة تطلبها
- طب سيب الرهان ده على جمب عشان أن متأكد إنك هتخسره
- متكبرهاش في دماغي ، ديتها أسبوع وتكون "فرحة" عروسة الشقة
- صدقني مش هتعرف تعمل معاها حاجة ، وأتحداك
- ماشي يا كبير ، قبلت التحدي

كان الله في عونك يا "فرحة" ، ماذا اقترفته يداكي حتى تقعي فريسة لهاذان الحقيران ، أين عدالة الله في ذلك ؟

كانت "فرحة" في عملها تحمل أحد الطلبات لتضـعها أمـام مـن سـيأكلها فاعترضت طريقها " مايسة " زميلتها في المطعم قائلة :

- هاتي الأوردر ده ، وروحي شوفي طرابيزة ١٢ عايزة إيه

نظرت إليها "فرحة" بدهشة وقالت :

- طب ما تروحي انتي هتفرق إيه
- هو يا ستي عايزك انتي

وخطفت الصينية منها وأعطت لها قائمة طلبات المطعم وانصـرفت ، ذهبت "فرحة" إليه تقدم قدم وتؤخر الأخرى ، لا تعلم من هذا الذي يطلبها بالإسم وماذا يريد ؟

وصلت فرحة أخيراً إليه وقالت من خلفه :

- اؤمر حضرتك يا فندم

إلتفت إليها الشخص الجالس ، وإذا بالصاعقة تنـزل مـن السـماء جعلـت "فرحة" تود لو أن الأرض تنشق وتبتلعها ، كان الجالس "فادي" ذلك الشاب الذي قابلته صدفة منذ يومين في الجامعة .

لم تكن تدري ماذا تفعل ؟

هل تتركه وتنصرف وترسل له إحدى زميلاتها ؟

هل تتعامل معه وكأنها لا تعرفه ولا تتذكره ؟

ملايين الأسئلة جالت بخلدها .

هل "فادي" قصد أن يأتي إلي هنا كي يراها أم أنهـا مجـرد مصـادفة مـن مصادفات القدر التي تأتي على غير مواعيدها ؟

استجمعت "فرحة" قواها الخائرة وقالت مرة أخرى لذلك الشاب الذي ظـل ناظراً إليها دون أن ينطق " :

- أؤمر حضرتك يا فندم

ابتسم "فادي" وقال :

- إيه يا "فرحة" انت مش فاكراني ولا إيه ؟ !!

دُهشت من أنه يعلم اسمها ولكنها قالت ربما قرأه من على الـ "I.D" الـذي تعلقه على صدرها ، لكن "فادي" أراد أن يطرق على الحديد وهو ساخن فقال :

- مالك يا بنتي ، شفتي عفريت ولا إيه ؟!!

تداركت "فرحة" الموقف ووضعت القائمة أمامه وقالت :

- تطلب إيه فندم

وضعت "فرحة" القائمة أمامه فأمسك بيدها فنزعتها بشـدة وغـاردت مـن أمامه بسرعة وذهبت إلى زميلتها "مايسة" وقالت لها :

- معلش ممكن تروحي تشوفي الزبون اللي هنـاك ده ولـو سـأل عليـا قوليله إني مش فاضية

بدون أن تنطق ظلت "مايسة" تنظر إلى "فرحة" باستغراب فأكملت "فرحة" كلماتها قائلة :

- هفهمك بعدين ، معلش على خاطري

مر من الوقت ما مرّ ظلت فيه "فرحة" في المطبخ لم تخرج حتى اطمأنت أن "فادي" قد غادر المطعم ، ثم تنفست الصعداء وخرجت وهي تحمد الله عـلى مرور هذا الموقف بسلام ، ولكن "مايسة" لم تعطها الفرصة فانهالت عليها بوابل من الأسئلة المستفهمة وكان رد "فرحة" :

- ده زميلي في الجامعة ، شفته من يومين مرة واحدة ، لا مرتين ياربي ، وبس ، فاتكسفت لما شفته هنا
- بس ده أول مرة أشوفه هنا ، شكله جاي مخصوص عشانك انتي على فكرة
- علشاني أنا

وكانت الكلمة كفيلة بأن تضع "فرحة" في عالم آخر ولكنها طردت ذلك العالم بسرعة قائلة :

- لا يا ستي ، مش للدرجة دي ، بقولك هو ميعرفنيش ، وبعدين شافني مرة واحدة بس ، لحق يعرف إني بشتغل هنا امتا وازاي ومن مـين ؟ ، لا هي صدفة ويارب ما تتكرر تاني

زمَّت "مايسة" شفتيها وقالت :

- طب ليه أول ما دخل سأل عليكي انتي بالذات

كانت "فرحة" تبحث عن أي مبرر تثبت لـ "مايسة" ولنفسها أنه لم يأتي هنا لأجلها ، ولكن مدير المطعم رحمها من ذلك حينما قدم عليهمـا وأمرهمـا ألا تتحدثان سوياً وتتركان الصالة بمفردها كي لا يحتاجهن الزبائن ولا يجدنهن ، وبالفعل ذهبتا الاثنتين لتباشرا عملهما ولم تتاح لهما الفرصة ثانية للحديث في تلك الليلة ، وحمدت "فرحة" ربها على أنها لـم تتحـدث مـع "مايسـة" الثرثارة مرة أخرى .

دخلت "فرحة" المنزل في ميعادها وألقت تحية المساء على والدتها التي قامت للفور تعد لها الطعام كعادتها فأوقفتها بيدها قائلة :

- متعمليش أكل يا ماما أنا مش جعانة

ودخلت حجرتها قبل حتى أن تسمع رد والدتها فما كان مـن والـدتها إلا أن دخلت خلفها الحجرة بسرعة قائلة :

- مالك يا بنتي انتي تعبانة
- لا أبداً يا ماما ، بس أن مرهقة شويا ، يدوب هغير هدومي وأنام.

كعادتها لم تجد "ثناء" فائدة من الجدل مع ابنتهـا فهـي تعـرف عنادهـا فتركتها وخرجت .

بدَّلت "فرحة" ثيابها بسرعة وألقت بجسدها المنهك على سريرها متأوهة من شدة الإرهاق والتعب ، وأطلقت العنان لعقلها ليفكر في ما يحدث لها تلك الأيام

، وكأي فتاة في سنها المفترض أنها تفرح ولكنها كانت تجد في صدرها قبضة لا تعلم مصدرها ، شيءٌ ما يدعوها إلى التريث وعدم العجلة ، وفجـأة وجـدت "فادي" قد رُسِمَ على سقف غرفتها وهو يشير إليها ويبتسم لها .

هزَّت رأسها بشدة تطرد تلك الأفكار الغريبة ، وذهبت في سباتٍ عميق من شدة التعب ، ولكنها استيقظت على كابوس مفزع فجراً ، فوجدت والدتها بجوارها تتلوا بعض آيات القرآن الكريم وتمسح على شعرها .

كان الكابوس مفزعاً ولكن "فرحة" لم تقصه على والدتها فقد رأت أنها تقع في حفرة عميقة و"فادي" على شفة الحفرة ولكنه يضحك وهي تستغيث بـه وهو يضحك أكثر ، وبعدها تركها وانصرف .

كان تفسير الكابوس واضحاً بالنسبة لها ، فمعناه أن "فادي" لا يصـلح أن تفكر به مرة ثانية ، وقررت حينها للمرة العاشرة أن تـنسى ذلك الموضـوع وتلقي به خلف ظهرها ، نهضـت وتوضـأت وصـلت الصـبح ودعـت الله في سجودها أن يلهمها الصواب في أمرها هذا ، وحين فرغت من صلاتها شعرت براحة غريبة ، فارتمت على السرير علَّها تحظى بساعة أو سـاعتين قبـل أن تذهب إلى الجامعة .

في الصباح الباكر استيقظت فرحة نشيطة جداً ، وتناولت إفطارهـا الـذي في الغالب لا تتناوله ، ونزلت إلى الجامعة ، كان أول من رأته كالعادة صديقتيها "أسماء" و"سها" سلما عليها بحرارة فسألت "سها" بخبث :

- مفيش أخبار عن .... اللي بالي بالك

تظاهرت "فرحة" بعدم الفهم ، ولكن عيناها قالت ما لـم تسـتطع كتمانـه فقصت لهما ما حدث معها بالأمس فقالت " أسماء" :

- الله يسهله

وأعقبت "سها" بطريقتها المستفزة :

- كل ده يطلع منك يا سُهُنَة انتي ، وَقَّعْتِي الواد في حبك كده من نظـرة واحدة
- أنا لا وَقَّعْت ولا نَيِّلْت حاجة ، أنا أصلاً خايفة ومرتبكة ومـش عـايزة أشوف وشه تاني ، أنا ظروفي متسمحش إني أفكر في حاجة زي دي

ردت "سها" باستنكار :

- يا غبية حد يرفص النعمة برجله
- خايفة ، قلقانة ، معرفش ، إيه اللي يخلي واحد زي "فادي" ده يعمـل معايا كده ، اشمعنا أنا
- القلب وما يريد يا هبلة
- والنبي تتنيلي تسكتي ، بلا قلب بلا زفت ، أنا مش حمـل وجـع ، أنـا خايفة أعيِّش نفسي في حلم أنا مش قده ، عشان كده أنا هقطع عـرق وأسيَّح دمه

ردت "أسماء" باستغراب قائلة :

- هتعملي إيه يعني
- مش عارفة بس كل اللي أعرفه ، إني هعرف أخلص نفسي من المشكلة دي ، ومش هسمحلها إنها تأثر على حياتي ومستقبلي

مرَّ اليوم على "فرحة" بسلام من وجهة نظرها لأنها لم تلتقي به .

ذهبت إلى عملها في المساء ، وفي قرارة نفسها تعزم أنه لو حدث مواجهة أخرى فإنها حتماً لا تكون في مصلحتها ولا مصلحته .

كانت "فرحة" في المطبخ تجهز إحدى الطلبات فإذا بـ"مايسة" قادمة إليها ضاحكة وتقول :

- في حد عايزك يا قمر

خُطف قلب "فرحة" فتظاهرت بعدم الفهم قائلة :

- حد ... حد مين ؟!

بخبث قالت "مايسة" :

- هو مين غيره ... العاشق الولهان
- "فادي"
- أيون
- طب روحيله انتي شوفيه
- حصل يا فندم ... بس هو عايز جناب حضـــرتك ، والله مـــش عارفـــة عاجبه فيكي إيه ، ما أنا قدامه أهو

تصبَبَ جبين "فرحة" عرقاً وأحست برعشة في جسدها كله وقالت :

- عشان خاطري يا "مايسة" روحي قوليله أنا ما جيتش النهارده
- بس أنا قولتله إنك جيتي

تشجعت "فرحة" وفركت يديها في بعضهما وقالت :

- طيب ... جه لقضاه

ثم خرجت إلى حيث يجلس "فادي" ووقفت أمامه فابتسم لها فقالت بحزم :

- نعم

نظر إليها نظرة مستفهمة وقال :

- نعم الله عليكي ، إيه يا بنتي الثقالة اللي انتـــي فيهـــا دي ، مـــا تفكـــي التكشيرة دي شويا

ابتسمت "فرحة" ابتسامة صفراء وقالت :

- اؤمر حضرتك

ما زال "فادي" ينظر إليها ثم قال :

- ما هو بطريقتك وبوشك ده ما اسمهاش اؤمر ، اسمها امـــشي اسمها غور ف داهية ، أنا زبون هنـــا ولازم تحترمينـــي وإلا هعمـــل معـــاكي مشكلة

كانت "فرحة" على وشك أن تنفجر في وجهه بقذائف من السباب ولكن تذكرت جملة مديرها "الزبون دايما على حق" فقررت أن تعالج الموقف فقالت ببرود :

- تطلب إيه حضرتك

بفراغ صبر قال "فادي"

- نتكلم شويا ممكن
- سوري يا فندم ، ده مكان شغل ، الناس بتيجي هنا عشـان تاكـل أو تشرب مش تتكلم
- خلاص أستناكي بعد ما تخلصي شغل

دهشتها من جرأته أوقفت لسانها عن الكلام ، فأردف :

- أنا عارف إن الموضوع غامض ومش مفهوم ، بس لما نـتكلم هتعـرفي كل حاجة
- سوري يا "فادي" بيه ، مش بكلم حد ، ها يا فندم قررت تطلب إيـه ولا اللي حاضرتك طالبه مش موجود في المنيو

انصرفت حتى قبل أن ترى رد فعله على كلماتها ، فخبط المنضدة بكلتا يديه من شدة غيظه .

كانت "مايسة" تراقب الموقف فأرادت أن تستغله لصالحها فذهبت له وقالت :

- هدي نفسك يا أستاذ "فادي" ، أجيبلك لمون
- مش عايز زفت
- إيه بس مالك ، قولي بس ، وصدقني هتستفيد

نظر إليها بطرف عينه ولم ينطق فأكملت :

- قولي بس هي قصرت في إيه وأنا أعمله

قالت كلمتها تلك وقد مالت علي المنضدة أمامه قاصدة أن تبرز له أحد مظاهر أنوثتها التي تتمثل في نهديها الكبيران اللذان يغريا أي رجل يمتلك ذرة مـن الشهوة .

نظر "فادي" إلى ذلك الصدر المغري بإعجاب وفهم ما تقصده "مايسة" فهزَّ رأسه راضياً وأمسك منها قلمها ودفترها الذي تسجل فيـه طلبـات الزبـائن وكتب لها شيئاً ووضع الدفتر في يده ثم غمز لها وانصرف .

أمسكت بالورقة وقرأت ما كتبه وعندما وجدت أنه عنواناً ورقم هاتفه انفرجت أساريرها ووضعت القلم في فمها وعضت عليه برفق .

كانت "فرحة" في المطبخ تجلس ترتعد أطرافها ، لا تدري ماذا تفعل ؟، كانت تفكر في أن تترك هذا المطعم وتبحث لها عن عمل آخر ، ولكن أين تجده وقد وجدت ذلك العمل بالكاد ، تذكرت أخوتها ووالدتها وتذكرت أنه مرتبها مـن المطعم بالكاد يكفي مصاريف منزلها ومدارس أخوتها.

كانت تتنفس بصعوبة ، وصدرها يعلو ويهبط من فرط الإعصار الذي يجتاح قلبها وعقلها .

بالله عليك يا من يدعونه "فادي" أن تتركها لحالها ، كانت حياتها أوشكت على الاستقرار حتى ظهرت أنت بها ، قلبتها رأساً على عقب .

كان الشيء المحير أنها لا تعلم ماذا يريد منها ؟ولما هي بالتحديد ؟ ، يقولون عنه أنه "مقطع السمكة وديلها" فلما يطمع في تلك البيساريا الصغيرة التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، هي قطعاً لا تساوي شيئاً فيمن يعرفهن "فادي" فلما يركز معها بهذه الطريقة المخيفة .

دخلت "مايسة" عليها فوجدتها بحالتها تلك فقالت لها مطمئنة :

- مشي خلاص على فكرة

وقفت "فرحة" ووضعت يدها على صدرها علَّها تهدئ أنفاسـها المضـطربة وقالت :

- الحمد لله
- ياااااااه ، ليه يعني ، ده حتى شاب ظريف ولطيف ، ومووووز ، مش عارفة مالك انتي ، هو كان عايز منك إيه

- بيقول عايز يتكلم معايا
- طب وفيها إيه دي ، ما تتكلمي معاه وتشوفيه عايز إيه ، وبعـدين ده قاللك نتكلم شويا ، مش تعالي نروح شقة مفروشة ، يـا بنتـي هـو انتي تطولي
- أنا مش عايزة أطـول ، أنـا عـايزاه يسـيبني في حـالي ، أنـا حيـاتي اتخلبطت بعد ما قابلته أكتر ما هي متلخبطة

ثم جلست "فرحة" مرة أخرى ولم تستطع أن تمسك دموعها عن النزول هذه المرة فاقتربت منها "مايسة" وربتت على كتفها قائلة :

- اهدي بس مفيش حاجة حصلت لكل ده

احتضنتها "مايسة" بشدة آسفةً على حالها ثم قالت :

- قومي بس اغسلي وشك ، المدير لو جه وشافك كده ، مش هتبقى حلوة

نهضت "فرحة" وذهبت إلى الحمام لتفعل ما قالته صديقتها التي للتو بعد ما انصرفت أخرجت هاتفها وطلبت الرقم المكتوب في الدفتر وبسرعة أتاها الـرد من "فادي"

- ألو
- يا أهلاً وسهلاً
- بالسرعة دي ، اتصلتي
- أمال ، هو احنا عندنا كام "فادي"

أعجب "فادي" بجرأتها فقال لها :

- تعجبني يا ....

ولم تدعه يفكر فأخبرته باسمها قائلة :

- مايسة ... لحقت تنسى اسمي
- لا طبعاً هو أنا أقدر ، عايز أقعد معاكي ضروري
- من عنيا ، بكرة يوم أجازتي من المطعم وهقابلك

- أوك
- أوك ، مع السلامة

وإلتفتت "مايسة" فوجدت "فرحة" واقفة أمامها فسألتها :

- أجازة إيه اللي بكرة دي

شكَّت "مايسة" أن "فرحة" سمعت المكالمة فلم تدرِ ما تقوله ولكن "فرحة" أنقذتها قائلة :

- يا بنتي أنا اللي أجازتي بكرة مش انتي

اطمأن قلب "مايسة" لأنها تأكدت أن "فرحة" لم تسمع باقي المكالمة فقالت :

- ما أنا لسه كنت هكلمك في الموضوع ده

تسائلت "فرحة" دهشة :

- موضوع إيه ده !؟؟
- أنا كنت عايز أبدل معاكي أجازتك بكرة ، عشان رايحة مشوار

بدون تفكير ردت "فرحة"

- معنديش مانع ، بس مشوار إيه ده ؟
- لما أرجع هبقى أقولك

ثم قبّلتها في خدها وقالت :

- ربنا يخليكي ليا يا عمري ، انتي أجدع صاحبة شفتها في حياتي

وقبّلتها مرة أخرى وانصرفت مسرعة من فرط فرحتها

كان ما ب"فرحة" يكفيها ويلهيها عن أن تركز في تصرفات زميلتها الطائشة كما كانت تدعوها دائماً

*****

١٣

التغيير مطلوب

في مقرهم اليومي كان "فادي" وبصحبته "تامر" يجلسان في انتظـار بقيـة الشلة .

كان "فادي" سارحاً على غير عادته ، كان يفكر في تلك الفتاة التي تُبهـره في كل مرة يراها فيها ، وكان غضبه عليها أشد بسبب معاملتها الجافة معه .

كان غريباً عليه أن هناك من يقول له لا ، لأول مرة في حياته يريد شـيئاً ولا يناله ، مما زاد من تصممه على أن ينالها ، كانت تستحوذ على كل تفكـيره في الصباح والمساء ، لدرجة أنه كان أحياناً يحلم بها .

انتزعه "تامر" من سرحانه قائلاً :

- إيه يا نجم ، مش عوايدك يعني
- لا أبداً يا معلم ، موضوع كده
- موضوع ! جديدة دي ، انت عمرك ما كان عندك مواضيع ، إلحقوا يا جدعان "فيدو" شاغل باله موضوع

أحس "فادي" بالسخرية في كلام "تامر" فنظر إليه نظرة جعلته يتسـمر في مكانه قائلاً :

- أنا بتكلم جد ، مش وقت هزار خالص

رد "تامر" باهتمام :

- موضوع إيه ده ، احكيلي
- لا مش دلوقتي ، بعدين بعدين
- بعدين ليه ، احنا فيها أهو ، وبعدين من امتا انـت بتغلـب في حاجـة ومحيّراك كده ، تكونشي موضوع البت إياها اللي شفتها في الجامعة

أومأ "فادي" بصحة ما قاله "تامر" فأضاف الأخير :

- مالها يعني ؟
- شغالة في الكافتريا اللي على أول الشارع ، أنا كنـت عنـدها امبـارح ، البت فرسة ياد ومستخسرها
- وإيه يعني يا معلم ، احنا ياما قابلنا فرسان ، هـو انـت أول واحـدة تشوفها ، ولا انت لسه معرفتش بنات قبل كده ، إيه اللي شاغلك أوي كده

وضع "فادي" رأسه بين يديه قائلاً :

- اللي مضايقني إن دي أول مرة حد يعاملني بطريقة زفت كـده ، كـل البنات اللي قابلتهم قبل كده كانو بيتمنوا بـس أبصـلهم وأضـحك في وشهم ، أول مرة فعـلا ألاقـي واحـدة تكرهنـي أول مـا تشـوفني ، معرفش حاسس إنها غير كل البنات اللي عرفتهم قبل كده
- إيه ده يا معلم ، انت حبيتها ولا إيه

ضحك "فادي" بطريقة جعلت كل من في المكان ينظر إليه قائلاً :

- لا ... حب إيه يا معفن انت ، هو أنا لما أحب أبص لواحدة زي دي
- طب المشكلة فين دلوقتي ، ومدايق نفسك ليه كده

- خلاص ، خلاص عشان الواد "علاء" جـاي ، متقـولش حاجـة عـن الموضوع ده قدامه

كان "فادي" اتفق مع "علاء" أن الرهان الذي بينهما سيظل سراً ولن يعلم به أحدٌ من الشلة ، ولا يريد أن يعرف "علاء" أنه حكى لـ"تامر" .

وصل "علاء" إليهما وجلس على كرسي وهو بالكاد يلتقط أنفاسه وقال لهما :

- عشان يِتْمَر فيكم بس ، طلع عيني عبال ما جيبت المصلحة

كان "علاء" في مهمة سرية ليحضر بعض متطلبات الشـقة مـن الحشـيش والخمر .

ربت "فادي" على فخذه قائلاً :

- قدها وقدود يا "لول"

قال "علاء" بنفاذ صبر :

- طب إيه مش ياله بينا على هناك

رد "تامر" قائلاً :

- هنروح بس لما "هايـدي" تيجـي ، محـــضرلكم سـهرة النهـارده ، محصلتش قبل كده ، حتة فرتيكـة اسـمها "هايـدي" ، مقـولكمش حاجة آخر قرف

بدهشة رد "علاء" :

- آخر قرف ازاي ، انت سكرت ولا إيه
- لا أبداً ، بس حاجة ملظلظة كده ، بتبظ من كل ناحية ، دي طلبـات "فيدو" ، معرفش ليه ، بس بيني وبينك لما فكرت لقيتها فكرة حلوة ، التغيير مطلوب برضه

ضحك "فادي" قائلاً :

- أنا قولت طول عمرنا بنجيب بنات حلوة وإتكيـت ومـززز ، فقولـت نجرب الحريم البيئة شويا

قال "علاء" غاضباً :

- بتهزروا صح

رد "تامر" ضاحكاً :

- لا مش بنهزر ، استنى أوريك صورتها

أخرج "تامر" هاتفه وفتح الاستديو وحدد صورة بعينها وأعطـى الموبايـل لـ"علاء" .

نظر "علاء" إلى الصورة بِتَمَعُّن فوجد كيان ضخم في الصورة وقال مازحاً :

- ودي هنقدر عليها احنا التلاتة ، دي تبلعنا يا عم ، انتوا مش شايفنها عاملة ازاي

رد "تامر" محافظاً على صوت ضحكاته العالي :

- اتكلم على نفسك ياله ، أنا بعون الله لوحدي كفيل بيها

زادت ضحكات "علاء" الذي قال :

- ما بلاش انت أحسن أقول ، فاكر البت "نورا" واللي حصل معاها

وضع "تامر" يده على فم "علاء"

- بلاش أبوس ايدك متفكرنيش

واستمر الثلاثة في ضحكتهم فقال "تامر" :

- أهي بترن أهي ، هروح قدامكم أجيبها وانتوا اسبقوني على الشقة

وانطلق من توه وتركهما في مكانها فقال "علاء" هامساً غامزاً :

- عملت إيه في الموضوع اللي بينا يسطا

تلعثم "فادي" فهو لا يريد أن يخبر "علاء" أنه خسر الجولة الأولى معها فقال :

- هانت ، قربت أوي

ابتسم "علاء" لأنه توقع الفشل الذريع الذي حدث لصاحبه فقال :

- مظنش ، أنا من رأيي إنك تنـسى الموضـوع ده ، وبعـدين لا دي مـن مستواك ولا دي لايقة عليك

ضحك "فادي" وقال :

- انت عبيط ياله ، أنا مينفعش أحط حاجـة في دمـاغي ومعملهـاش ، وبعدين مستوى إيه اللي بتتكلم عليه هو أنـا هتجوزهـا ، ثـم يعنـي البنات اللي بنام معاهم دولا مستوانا ولا أصلاً لايقين علينا
- شكلها صعبة عليك
- مفيش حاجة تصعب على "فيدو"

قال "علاء" هامساً :

- فعلاً مفيش حاجة تصعب ع الكافر

ثم ارتفع صوته وقال :

- ياله بينا عشان منتأخرش

*****

١٤

صدفة مترتبة

أنهت "فرحة" عملها ، وكانت تتعمد أن تُنْهِكَ نفسها في العمـل حتـى أنهـا ساعدت زميلاتها في كنس ومسح المطعم مع أن ذلك ليس من اختصاصاتها ، لكنها أرادت أن تذهب إلى المنزل فتنام من فرط الإجهاد والتعب ولا تفكـر في شيء .

فتحت "فرحة" بابا شقتها فوجدت والدتها كعادتها تنتظرها لتعد لها طعام العشاء ، فقالت "فرحة" مؤنبة :

- إيه اللي مصحيكي لحد دلوقتي يا ست الكل

ردت الأم بعدما وقفت ودخلت المطبخ وخلفها "فرحة" :

- هنرجع تاني لموال كل يوم ، يا بنتي يا حبيبتي أنا مش هعـرف أنـام غير لما أطمن إنك جيتي واتعشيتي

احتضنتها "فرحة" من الخلف وقبَّلتها على رأسها قائلة :

- يا ماما يا حبيبتي ، احنا مش اتكلمنا في الموضوع ده قبل كـده ، أنـا باجي متأخر بالليل مفيش داعي تستنيني ، وبعدين يا سـتي ابقـي اعملي الأكل وحطيه في التلاجة وأنا هاجي أسخنه وأكله

فتحت الأم باب الثلاجة وأخرجت منها شيئاً ووضعته على البوتاجاز وأشعلت النار وهي تقول :

- يعني انتي من الجامعة للشغل للمذاكرة ، ومش عايزاني أعملك حتى لقمة تاكليها والله حرام اللي بتعمليه في نفسك

كانت "فرحة" قد أفرغت زجاجة مياه صغيرة في جوفها خلال كلام والـدتها فردت عليها قائلة :

- يا ماما يا نور عيني ، انتي بتصحي بدري عشان تفتحتـي الـدكان ، فلازم تنامي وتريحي جسمك

رفعت الأم الطاسة من على النار وأخرجت بعض الأرغفة لتضعهم على النـار وقالت :

- أنام ازاي وانتي بره البيت ولا عارفة عنك حاجة ، مبعرفش أنام غـير وانتي جنبي ومطمنة عليكي يا حبيبتي

تناولت "فرحة" الأرغفة ووضعتها على المنضدة وقالت :

- أنا كويسة أهو ، زي العفريتة ، يعني هيجرالي إيه
- ربنا يعلم رجوعك البيت متأخر ده قلقني قد إيه ، مش جـايز يطلـع عليكي حرامي يسرقك ولا يخطفك

ضحكت "فرحة" بشدة وقالت :

- يسرقني !! هيسرق إيه يا حسرة ! ، ولا يخطفني !!!! هو أنا صـغيرة يا ماما ، وبعدين خلاص كلها سنة وأخلص الجامعة وبعـدين أدورلي على شغل بالنهار .. قومي بأه عشان تاكلي معايا ياللا

جلست الأم أمام ابنتها سارحة وقالت :

- وبعدين يا بتي من الشغل ده للشغل ده ، مش هتفكـري في نفســك أبداً

أحست "فرحة" ما تقصده والدتها فقالت بحزن يغلب عليه الرضا :

- يا ماما الدنيا ساعات بتفرض علينا ظروف ، لازم نقبلها ســواء كنــا راضيين عنها أو مش راضيين ، وأنا اخترت إني أكون راضية عشــان متعبش نفسياً
- معناه إيه الكلام ده
- معناه إن الدنيا مسابتليش اختيار تاني ، مســابتليش فرصــة أفــرح فيها ، شَيَّلتني الهم بدري بدري ، اتحرمت مــن أبويــا في أكــتر فــترة البنت محتاجة فيها لأبوها ، واتحرمت من شبابي واتحرمت مــن كــل حاجة حلوة بدري بدري ، شيلت مسئولية أسرة وأنا عندي ٢٠ سنة
- بس يا بنتي لازم تفكري في نفســك شــويا ، حلــم أي بنــت في ســنك عريس ابن حلال يحبك ويخاف عليكي ولا انتي مش عايزاني أشوف عيالك قبل ما أموت ، لازم تفكري ف كده من دلوقتي

ابتسمت "فرحة" ابتسامة حزينة وقالت :

- مين العريس ده اللي هيرضى بيا بس ، وتفتكري واحدة في ظروفي دي ، تقدر تفكر في اللي بتقولي عليه ده يا ماما
- ومتفكريش ليه ، ناقصة إيد ولا ناقصة رجل
- يا ماما ، أفكر في ايه بس ، واخواتي الــلي لســه صــغيرين دول مــين يراعيهم ويصرف عليهم ويجهزهم ، أنا مش هرتاح غير لما أشوف كل واحدة فيهم في بيت جوزها
- يا ستي ربنا كبير ومش هينساهم ، بس أهــم حاجــة انتــي ، عشــان القطر ميفوتكيش

عادت "فرحة" لابتسامتها البائسة مرة أخرى وقالت :

- القطر يا ماما مش بيعدي ع المحطة بتاعتنا ، وبعدين انتـــي شـــايفة العرسان واقفين طوابير قدام الباب ، دي وصية المرحوم بابـــا ، وأنـــا لازم أنفذها لآخر دقيقة من عمري

نهضت "فرحة" قائلة :

- الحمد لله تسلم إيدك يا ست الكل
- تسلم إيدي على إيه انتي كلتي حاجة ، ده أكل يا ناس يقوم بني آدم ، كمَّلي أكلك يا بتي
- الحمد لله يا ماما شبعت ، أنا يدوب هـــروح أنـــام أنـــا عشـــان عنـــدي جامعة الصبح بدري

وانصرفت "فرحة" بعدما قبَّلت والدتها على جبينها ودخلت حجرتها وبدَّلت ملابسها وألقت بجسدها المنهك على السرير طمعاً في استجذاب النـــوم الـــذي تعلم أنه لن يأتي بسهولة ، كان الجو حاراً ولكنها غطت رأسها بنصف المخدة ولكن بلا فائدة ، كانت لا تستطيع أن تفتح عينيها من فرط الإرهاق والتعب ولكنها لا تستطيع أن تنام ، نهضت وتوضأت وصلت ركعتين ثـــم قـــرأت في مصحفها قليلاً ، وبلا فائدة أيضاً .

كان شبح "فادي"يطاردها أينما ذهبت ، كانت لا تعرف ما بها؟ ، ولا تعرف أيضاً ما يريده منها ؟ لم تر منه ما يجعلها تخافه هكذا ولكن قلبها قلقاً منه . بالكاد وبعد معاناة سقطت "فرحة" في النوم كالمغشي عليها ولم تدرِ بنفسها إلا ووالدتها تيقظها وتقول :

- اصحي يا "فرحة" اتأخرتي ع الجامعة

استيقظت "فرحة" بســـرعة ونظرت في ســـاعة هاتفهـــا فوجـــدتها الســـابعة والنصف فقالت بذعر :

- يا لهوي ..... أنا عندي محاضرة الساعة تمنية

ونهضت على الفور ودخلت الحمام في عجالة وارتـدت ثيابهـا وانطلقـت إلى جامعتها ، كانت تُحد في السير حتى تلحق محاضرتها المهمة ولكن الساعة قد شارفت على الثامنة والمحاضرة ستبدأ الآن والدكتور عنيد لا يُدْخِل أحدٌ بعـد دخوله إلى المدرج ، كانت تبحث آسفة عن سيارة أجرة تستقلها وتدعو الله في قرارة نفسها أن يتأخر الدكتور قليلاً حتى تستطيع الدخول ، وانتظرت كثيراً ولكن لم تمر أمامها أي سيارة ، وفجأة إذا بسـيارة تقـف أمامهـا وتُحـدث ضجيجاً كبيراً لأنه سائقها قد ضغط مكبس الفرامل بشدة ، وإذا بالسـيارة تقف بعدها بأمتار ثم تلاحظ السيارة ترجع للخلف حتى تقف أمامها وفجأة تجد زجاج السيارة يهبط للأسفل ويظهر قائدها .

كانت الصاعقة أن من في السيارة هو "فادي" لا تدري أهي مصادفة أم ترتيب من القدر ، أم ترتيب من "فادي" ، تعمَّدت ألا تنظر إليه فقال برفق :

- انتي أكيد رايحة الجامعة ؟؟؟ تعالي أوصلك في طريقي

لم ترد وكأنها لم تسمع أصلاً صوته ، فقال لها :

- يا بنتي مفيهاش حاجة وبعدين لو وقفتي هنا للصبح مفيش عربيات هتعدي من هنا
- متشكرة مش عايزة
- انتي خايفة مني ليه ، هو أنا هاكلك
- وأخاف منك انت ليه ، بس أنا مش بركب عربيات مع حد معرفهوش
- بس انتي تعرفيني
- بس انت غريب
- ما غريب إلا الشيطان ، يا بنتي متخافيش ، طب لو بتعـرفي تسـوقي خدي العربية وروحي بها انتي ، عشان شكلك مستعجلة
- قولتلك شكراً

- يا بنتي الدكتور "عبد المجيد" مش بيرضى يِدَخَّل حد بعده ، وبعـدين المحاضرة دي بيقولوا مهمة ، هيحدد فيها الملغي من المنهج

نظرت إليه بدهشة ، كيف عرف كل تلك المعلومات عنها ، وهو في كلية أصـلاً غير كليتها ، ما كل هذا الاهتمام بها ولما ؟

ظلت تنظر إليه باستغراب حتى قال لها :

- لو فضلتي تبصيلي كده كتير المحاضرة هتروح عليكي

ولم تستطع الصبر أكثر من ذلك عن تلك الأسئلة التي تدور بخلـده فقالـت متسائلة :

- انت عرفت كل الكلام ده منين ؟

أراد أن يطرق على الحديد وهو ساخن ، أراد أن يشعل النار في البنزين فقال لها :

- أنا أعرف عنك حاجات كتير أوي ، أوي ، أوي

بطبيعة أي فتاة ، تحب أن ترى من يهتم بها ويغازلها فابتسمت وحاولت أن تُخفي ابتسامتها ولكنها فشلت فلاحظ ذلك فقال لها مازحاً :

- اللهم صلي ع النبي

ثم أخفت إبتسامها وتحولت ملامح وجهها إلى الجدية فقال لها :

- هو انت حرَّموا عليكي الإبتسامة

تحوَّلت ملامح وجهها إلى العبث وقالت :

- انت عايز مني إيه

ارتمست ملامح الإرتياح على وجهه وقال :

- تعالي اركبي وأنا أقولك أنا عايز منك إيه

نظرت حولها وكأنها تفكر في الأمر فقال لها :

- والله يا بنتي ما تخافي ، ابقي سيبي باب العربيـة مفتـوح إذا كنتـي خايفة مني

لم تجد "فرحة" مفراً من الرضوخ أمام رغبته الملحة ففتحت الباب الخلفـي لتركب فقال لها مازحاً :

- مينفعش ، كده هبقى السواق بتاعك أنا

أغلقت الباب بقلة حيلة ودارت حول السيارة وفتحت بابها الأمامي وركبت أدار "فادي" محرك السيارة وسار بها ببطء قائلاً :

- العربية بتزغرت من الفرحة النهارده ، عشان ركبتها أجمـل بنـت في الدنيا

احمّر وجه "فرحة" خجلاً ونظرت بعينيها إلى يديها اللتان بدأتا ترتعش من هول الموقف فقالت باستحياء :

- ممكن تمشي بسرعة شويا عشان ألحق المحاضرة
- حاضر بس بشرط

نظرت إليه في دهشة فقال :

- إنك توعديني نقعد نتكلم بعد المحاضرة

أومأت برأسها موافقة ولم تنطق .

انطلق "فادي" بسيارته بسرعة ووصل إلى المحاضرة بالفعل قبـل أن يـأتي الدكتور ، وودع "فرحة" على باب المدرج بعدما أن أخذ منها رقم هاتفها حتى يستطيع أن يكلمها بعد المحاضرة

نزلت "فرحة" من السيارة واتجهت نحو المدرج بسرعة وهي تلوح له بيدها مودعة ، ثم انطلق هو بسيارته في وسط ذهول من فتيان الجامعة قبل فتياتها .

من هذه التي تركب مع "فادي عزيز" ؟!! كان هذا السؤال على لسان كل من في الجامعة ، "فادي عزيز" الذي تتمنى أي فتاة في الجامعة أن ينظـر لهـا ، يوصل هذه الفتاة إلى باب المدرج .

"يا لها من محظوظة" كانت هذه الجملة تتردد كثيرا بين فتيـات الجامعـة، وبالطبع كن يقصدن بها "فرحة" .

محظوظة لأنها ظفرت بأجمل شاب في الجامعة بأغنى شاب في الجامعة .

في يوم واحد كان كل من في الجامعة يتحدث عن "فادي عزيز " وتلك الفتـاة المجهولة التي أوصلها بسيارته إلى باب المدرج خارقاً كل قوانين الجامعة حيث أنه من الممنوع أن تدخل السيارات الخاصة إلى المدرجات .

ليس من الجديد على "فادي عزيز" أن يخرق قوانين أي شيء ولكن أن يخرقها بسبب فتاة كان هذا هو الجديد .

أنهت "فرحة" محاضرتها المملة كما قالت لنفسـها أكثـر مـن مـرة أثنـاء المحاضرة ، وما أن انتهت المحاضرة بالدقيقة حتى وجدت هاتفها يرن فوجدت رقماً غريباً فضغطت على زر الاستجابة وقالت بصوت مبحوح :

- مين

جائها الرد سريعاً :

- بتاع الملامين

سكتت مندهشة من الرد فلحقها بسرعة قائلاً :

- لحقتي تنسي صوتي

قالت بخجل :

- انت عرفت ازاي إني خلصت محاضرة

شعر هو بخجلها فقال :

- ما هو لازم اللي يحب حد يعرف أدق تفاصيل حياتـه ، بيهـتم بيـه ، هاااا يا ستي هنقعد فيين بقى

لم تدرِ ماذا تقول ، فلم يدع لها الفرصة في أن تفكر ، من أول الصباح وهـو يلاحقها ، ويفعل ما يحلو لها ، وهي لا تستطيع المقاومة ، كانت كالأعمى الذي

يمشي خلف من يقوده ولا يدري أين يذهب به ، كان "فادي" جريئاً جـداً في كلماته في نظراته ، في كل شيء .

انتزعها من شرودها قائلاً :

- كل ده بتفكري ، طب أنا هقولك في كافتريا جمـب الجامعـة هنـروح نقعد فيها نص ساعة ، نص ساعة بس مش هنتأخر

بعد تفكير عميق قالت :

- أوك ماشي

وأغلقت الهاتف وتنهدت تنهيدة طويلة ، لا تعرف عما تنم ، عن الفرحـة أم الحزن ، عن السعادة أم عدم الارتياح ، ولكنها قررت في وقتها أن تجلس معه ، تعرف ماذا يريد منها ؟ ، كانت تقول أنها على ثقة في نفسها لدرجة لا تدعها تخشى عواقب هذه المقابلة .

اتجهت ناحية الطريق فأوقفتها صديقتيها الثرثارتين وقالت "سها" :

- على فين يا ماما ، انتي جاية ف إيه وماشية ف إيه

قالت "فرحة" معتذرة :

- معلش عشان مستعجلة شويا لازم أمشي

قالت "أسماء" بدهشة :

- تمشي ، تمشي ازاي ، احنا مقعدناش معاكي
- بكرة بكرة ، هقعد معاكم كتير ، بس لازم أمشي دلوقتي حالاً

وانصرفت "فرحة" حتى قبل أن ترى رد فعل كلماتها على صديقتيها اللتـان وقفتا مندهشتان من الموقف فقالت "سها" :

- والله أحلق شعري لو ما كانت البت دي وراها حاجة

رفعت "أسماء" كتفيها إلى منتصفها رأسها وزمَّت شفتيها ولم تنطق بشـيء فأردفت "سها" :

- تعالي نروح نقعد على الكافتريا شويا

على الجانب الآخر في ذلك الكافيه الذي خلا تقريباً من رواده في تلك الساعة من الصباح إلا من بعض الجالسين ، جلس "فادي" ومعــه "فرحــة" متقــابلين وأمامهما كوبين من العصير .

كانت "فرحة" طيلة الوقت تنظر لأسفل من فرط خجلها ، كانت بين الحــين والحين تتلفت حلوها ، تشعر أن كل من يدخل أو يخرج ينظر عليها ، كانت تؤنب نفسها على تلك الجِلسة ولكن كانت مضطرة لأن تضع حــداً لكــل مــا يحدث .

لاحظ "فادي" حالتها المضطربة فقال :

- إيه هنقعد كده كتير

كانت لا تعرف ما تقوله فقط تعد الثواني حتى ينتهي هذا اللقاء فقالت بعد تلعثم :

- تعرف إن دي أول مرة أعمل حاجة زي دي

بنفاذ صبر حاول "فادي" أن يكظمه قال :

- ليه محسساني إننا بنعمل حاجة غلط ، فيه إيه لما نقعــد مــع بعــض شويا
- لا فيها كتير ، أنا غيرك انت ، أنا لا تربيتي ولا ديني يســمحولي أقعــد مع واحد غريب معرفهوش
- ما غريب إلا الشيطان يا "فوفا"

نهضت "فرحة" بغيظ وقالت :

- اسمي "فرحة" لو سمحت
- خلاص يا ستي اسمك "فرحة ، بس اقعدي نكمل كلامنا

جلست "فرحة" بتأفف وبدأ هو في سرد كلامه التي لم تقتنع بشيء منه فقط ، كان كل كلامه يدور على أنه يريد منها أن تصادقه وتجعله يتقرب منه ، حتى ضاقت ذراعاً بذلك الحوار فقالت :

- بقالك نص ساعة عمال تتكلم في كلام أنا مش مقتنعة بيه ، بـص يـا ابن الناس ، أنا واحدة غلبانة على قد حالي ، مش حيلتي حاجـة غـير شرفي وغير سمعتي ، أنا مليش في نظام الصحوبية ، أصـلاً أنـا مـش مقتنعة إن فيه صداقة بين الولد والبنت ، وفَّر عـلى نفسـك أي تعـب عشاني ، انت تقدر تصاحب ألف غيري مجاتش عليا ، أنا بشكرك على كل حاجة عملتها عشاني ، بس أرجوك سيبني في حـالي أنـا حيـاتي اتلخبطت من يوم ما قابلتك ، وكفاية إن الناس شافوني وأنا بنزل من عربيتك النهارده ، أكيد مش هخلص من كلام الناس ، أظن كده انـت فهمت قصدي ، بعد إذنك أنا همشي

انصرفت "فرحة" ولم تدع له فرصة للرد فضرب المنضدة بيده من شدة الغيظ وأخرج سيجارة وأشعلها ونفث دخانها بشدة وانصرف من المكان وهو يتوعد لـ"فرحة" ، أخرج هاتفه بسرعة واتصل برقم معين ووضع الهاتف على أذنه وهو يقول :

- انتي فين ... عايز أقابلك ضروري ... بسرعة .... اوك

كانت المُتَصَل بها هي "مايسة" صديقة "فرحة" في المطعم ، أراد أن يخبرها أن خطتها فشلت فهي من كانت أخبرته بتلك المعلومات عن "فرحة" وهي من وضعت له تلك الخطة حتى يجلس معها بعدما أعطى لها مالاً كثـيراً نظـير مساعدتها له .

"مايسة" وافقت بدون تفكير في مساعدة "فادي" ، ليس غريباً على شخصية كشخصية "مايسة" بطبيعتها المادية أن توافق على شيء مثل ذلـك ، كانـت دائماً تنصح "فرحة" أن تتنازل وتحن على الزبائن بابتسامة ولا بأس بقليل من الخلاعة حتى ترضى عنها الزبائن وتعطي لها مزيداً من "البقشيش".

كانت هذه هي نقطة الخلاف بينها وبين "فرحة" التي كانت دائما تخبرها أن هذا التصرف لا يليق بها كفتاة مسلمة ، فما كان من "مايسة" إلا أن تتململ وتتمصمص وتقول :

- خليكي في مبادئك اللي ملهاش لازمة دي ، إيه يعني شويا تنازل يعني ، ضحكة كده ، غمزة كده

كانت "فرحة" دائماً تقول لها :

- انتي ازاي عايشة كده ؟!
- تفتكري أنا مبسوطة باللي أنا بعمله ده ، وأنا هعمل إيه ، عـلى الأقـل أحسن من اللي بتفرط في كل حاجة وبالفلوس برضه

كانت الحوارات دائماً بينهما تنتهي بلا فائدة ، فكلاً منهن متمسـكة برأيهـا ومبادئها .

وصلت "مايسة" للمكان الذي ستقابل فيه "فادي" فقالت له :

- احكيلي اللي حصل بالظبط

سرد لها "فادي" كل ما حدث فقالت :

- طول عمرها البت دي وش فقر ، بس انت غلطان برضه ، هو فيه حد يقولها وش كده ، يابني دي واحدة عاملة فيها رابعة العدوية
- مين رابعة العدوية ؟
- ايش عرفني أنا ، بس مكانش ينفع تجيبهالها كده ، دي غاوية حـب وكده ، يعني تفهمها إنك بتحبها ، عايز تتجوزها كده ، لكـن تقولهـا عايز أصاحبك كان لازم تعمل كده
- انت هتفضلي ترغي كده كتير ، انجزي قولي أعمل إيه
- سيبني بس أحكي معاها وأنا هقولـك تعمـل إيـه ، بـس طبعـاً ليـا حلاوتي
- انت إيه مبتشبعيش ، حاضر ، حاضر بس اخلصي

*****

١٥

خدعة من صديقة

كانت "فرحة" منهمكة في عملها حين أتتها "مايسة" قائلة :

- مقولتليش أخبار "فادي" معاكي إيه

نظرت إليها باستغراب وقالت :

- ممكن تغيري السيرة الزفت دي وإلا مش هكلمك تاني أبداً
- حاضر ، حاضر ، بس اهدي ، أنـا مـش عارفـة انتـي خايفـة ليـه ، الموضوع ميخوفش للدرجة دي ، ليه كل ما أجيب سيرته وشك يتقلب ألوان
- أنا !!!!!
- أيوه انتي ، انتي مش بتشوفي نفسك لمـا بتتكلمـي عنـه ، طـب هـو حصلت حاجة بينكم

صمتت "فرحة" ونظرت للأسفل لا تجد ما تقوله فأردفت "مايسة" :

- احكيلي بس وصدقيني أنا خبرة في الموضوع ده وهريحك

قصّت "فرحة" ما حدث بينها وبين "فادي" بأدق التفاصيل .

كانت "مايسة" تستمع إلى ما تقوله بتركيز شديد فقالت لها :

- والله شكله بيحبك صح يا بنتي ، مش عارفة انتي منشفة دماغك ليه

ابتسمت "فرحة" ابتسامة ساخرة قائلة :

- حتى ولو كان بيحبني ، ده واحد مقضـي حياته بـالطول والعـرض وملهوش عزيز ، كل الناس بتقول عليه إنه بتاع بنات ، تفتكـري أنـا أحب واحد كل يوم مع واحدة ، سيبك من ده كله ، أنا فين وهو فـين ، أنا غلبانة على قد حالي ، أمي بيَّاعة في دكـان وبجـري عـلى اخـواتي الصغيرين ، تفتكري لو عرف ده كله هيفضل بيحبني
- مش بيقولوا مراية الحب عمية
- حب إيه بس يا بنتي ، ده عايز يتصاحب ، اللي زي ده ميعرفش يحب
- طب ما تصاحبيه أهو تطلعيلك من وراه بأي مصلحة
- مصلحة إيه ، انتي مفيش في دماغك غير كده

وبينما هما يتحدثان رنَّ هاتف "مايسة" فحولته إلى صامت وأكملت حديثها :

- يا بنتي اللي زي ده أحلى مصالح تتعمل من وراه

رن هاتفها مرة أخرى ، فحوّلته إلى وضـع صـامت مـرة أخـرى فلاحظـت "فرحة" ذلك فقالت لها :

- ما تردي يا بنتي يمكن حاجة مهمة

تعلثمت "مايسة" ثم قالت :

- لا لا ، عادي مفيش حاجة ، دي واحدة صاحبتي رطاطة لو فتحـت هترغي نص ساعة وأنا مش فايقالها
- طب أنا هقوم هشوف الصالة عشان قعدتنا هنا ملهاش لازمة

تحركت "فرحة" بسرعة فرنَّ الهاتف مرة ثانية ففتحت بسرعة بعدما نظرت يمينها ويسارها فجائها صوت "فادي" غاضباً :

- انتي يا زفتة انتي مش بتفتحي بسرعة ليه

ضحكت بصوت عالي وقالت :

- إيه وحشتك ولا إيه
- وحش لما يلهفك ، انتي سكرانة ولا إيه ، عملتي إيه في الموضـوع الـلي قولتلك عليه
- خلاص بقى مدام وحش يلهفني ، شوفلك غيري يساعدك ويقولـك ع الفكرة اللي لقيتها

هدأ "فادي" من روعته عندما سمع هذا الكلام وقال بهدوء :

- بلاش لعب بأعصابي أكتر من كده وانطقي أحسنلك
- إيه يابني انت طلقة رصاص اهدا بس ، لما أقبلك هقولك ، أنا قـدامي نص ساعة وأخلص شغل
- ماشي

أغلقت الخط وقالت لنفسها :

- أنا عليا حتة دماغ والله خسارة مش لاقية اللي يقدرها

دخلت "فرحة" مرة أخرى فوجدتها تحدث نفسها فقالت :

- انتي بتكلمي نفسك ولا إيه
- لا أبداً يا قمر انتي

وقبَّلتها في خدها وانصرفت قبل حتى أن تدع لها فرصة للدهشـة فمسـحت "فرحة" مكان قبلتها فو وسط شلالات من الدهشة التي أغرقتها فقالت :

- يا بنت المجنونة

****

١٦

هل أحبها بصدق ؟

كان "علاء" يجلس مندهشاً أمام "فادي" في الكافتريا وقال له :

- مش تفهمني احنا هنا بنعمل إيـه ، وإيـه لازمـة الكـلام الـلي انـت حفظتهوني ده
- اهدا بس وهفهمك كل حاجة ، أهم حاجة لما أشاورلك تبدأ بالكلام اللي اتفقنا عليه

ظهرت "مايسة" من بعيد فغمز لها "فادي" بعينه فانصرفت وبعد لحظات كانت "فرحة" قادمة فوخز "علاء" في قدمه حتى يبدأ الحوار فقال "علاء" :

- إيه يسطا مش ياله عشان منتأخرش
- أنا مش هروح معاكم
- ليه فيه حاجة معاك ، خلاص بلاش النهارده
- لا النهارده ولا في أي يوم تاني ، أنا بطلت الحاجات دي خلاص ، ومن النهارده مش عايزك تكلمني في حاجة زي دي وإلا مش هعرفك تاني

- ليه بس كده يسطا ، ده أنا محضرلك حتة سهرة في الجون النهارده

وقف "فادي" غاضباً :

- بلا سهرة بلا نيلة ، أنا قرفت من الحاجات دي ، قرفت ، قرفت
- فيه إيه يا برنس انت اتغيرت ليه كده
- آه اتغيرت يا "علاء" ، اتغيرت ومش عايز أعرفكم تاني انت ولا الشلة الزبالة بتاعتكم دي
- كده انت بتخسرنا يا صاحبي
- أحسن برضه ، انتوا خسارتكوا مكسب

وقف "علاء" وقال :

- كده انت جيبت آخرها يا معلم ، بس لما تحب ترجع انت عارف مكانا فين ، ومن غير سلام

انصرف "علاء" من توه فجلس "فادي" وهو يتأفف فاصطنع أنه للتو قد رأى "فرحة" فقال لها :

- هاتيلي كباية لمون يا آنسة "فرحة" عكَّر دمه ربنا ياخده

أومأت "فرحة" موافقة في ذهول وفرحة وبسرعة كان كوب الليمون يستقر أمام "فادي" وهو يرشف منه أول رشفة فقالت "فرحة" :

- هدي نفسك يا أستاذ "فادي" النوع ده من الصحاب صدقني ميتزعلش عليه

اصطنع "فادي" الدهشة" ثم قال :

- انتي متابعة الحوار بقى

شعرت بالحرج ثم تمالكت وقالت :

- وأنا ماشية كده سمعت طراطيش كلام ، بس مفهمتش أوي الموضوع اللي بتتكلموا فيه

وضع "فادي" رأسه بين يديه وقال :

- أنا نفسي أتغير يا "فرحة" أنا زهقت من حياتي ومن العيشة اللي أنـا عايشها دي وانتي السبب

شعرت "فرحة" بسعادة كبيرة من كلماته تلك ، شعرت أن العائق الذي كان يعوق بينها وبين "فادي" أوشك على أن يزول .

كان الذي تخاف منه فيه هو علاقاته تلك المتعددة ، وها هو الآن يتخلص منها بالتدريج ، شعرت بقلبها يخفق كثيراً ، دقاته تزيد وتعلو حتى أن الذي يمر بجوارها يسمعها

قال لها بعدما رفع رأسه :

- قولتي إيه ؟
- في إيه يا أستاذ "فادي"
- هتساعديني أتغير
- اللي عايز يتغير هيتغير بس بنفسه من غـير مـا حـد يسـاعده ، لازم التغير يبقى طالع من جواه هو ، وانت تقدر لو عايز
- طبعاً عايز ، بس عايزك جمبي ، أنا من أول ما شـفتك شـفت فيكـي العوض عن كل حاجة فاتتني ، قولت لازم أكمل حيـاتي معـاكي يـا "فرحة" أنا .... أنا....

صمت قليلاً ثم قال :

- بحبك

سمعت هذه الكلمة وانصرفت من فورها دون أن تنطق ببنت شفه .

أنهت "فرحة" ساعات عملها لا تدري ماذا حل بها ، حقاً ما حدث هذا ؟

قال لها أنه يحبها ، هل هو يحبها بصدق أم أنها مشاعر مؤقتة ستأخذ وقتها وتنهتي ؟ كانت لا تدري هل تفرح أم تحزن ؟ ، تفرح لأنه نطق وقـال أنـه يحبها بصراحة أم تحزن لأنها حتماً ستواجه العديد من المشاكل جـراء هـذا الحب .

كانت تسأل نفسها كثيراً أهي تحبه فعلاً ، هل هو ذلك الرجل الذي يستحق أن يملك قلبها ، كانت قبل ذلك تتعلل بأن له علاقات سيئة مع الكثير من الفتيات كما يقال عنه ، والآن هو يقطع وينهي كل علاقاته كما سـمعته يـتكلم مـع صديقه .

كانت "فرحة" تشعر بسعادة لكن سعادة ينقصها شيئاً لا تعـرف مـا هـو ولكنها سعيدة وفقط .

ذهبت إلى منزلها ولأول مرة لم تجد والدتها ، فاستحسنت ذلك ، فوقفت أمام مرآتها ونزعت عنها حجابها فتدلت شعيراتها الحريرية على كتفها فأمسكت بطرفها بدلال وظلت تنظر في المرآه كثيراً لأول مرة في حياتها .

جلست أمام المرآه تفكر فيما حدث ، فسمعت صوت بداخلها يقول لها :

- معناه إيه اللي حصل النهارده ده

ردت بصوت عالي وكأنها تكلم صورتها في المرآه :

- إيه اللي حصل يعني ، واحد غني قابل واحدة حلوة بس فقيرة فحـب يعطف عليها شويا ويتسلى بيها

أتاها صوتاً مرة أخرى من داخلها قائلاً :

- يعطف عليكي ازاي ، هو اللي بيعطف على واحدة يقولها إنه بيحبها ، مش يمكن بيحبك بجد

ردت على نفسها قائلة :

- ويمكن يكون بيتسلى بيها ، ممكن تكون حاجة تكسر الملل الـلي هـو فيه ده ، وأول ما يزهق منها هيكسرها زي ما كسر غيرها كتير ، ازاي من كلمة واحدة عايزة تغيري رأيك فيه ، انتي شكلك اتجننتـي ، الـلي زي ده ميعرفش حاجة اسمها حب

ردّت صورتها في المرآة قائلة :

- انتي مش سمعتي كلامه مع صاحبه

وقفت من أمام المرآة وكأنها تهرب من صورتها ومن صوت ضميرها وألقـت بجسدها على السرير وقالت :

- لا .... لا .... لا ...

هزت رأسها بشدة وكأنها تطرد تلك الأفكار من رأسها وقالت بصوت عالي :

- لا يا "فرحة" لا ده وقته ولا دي ظروفه ، أنا من أول ما اتوفى المرحوم بابا وأنا خدت عهد على نفسي إني هعـيش عشـان اخـواتي ، ومـش هسمح لحاجة زي دي ترجعني عن الوعد اللي اديته للمرحـوم بابـا ، وزي المثل ما بيقول الباب اللي يجيلك منه الريح سده واستريح ، أنـا مش هسلم قلبي لشوية أوهام

سكتت قليلاً وكأنها تفكر في كلمة أوهام ثم قالت مؤكدة لنفسها :

- آه أوهام ... أوهام نص كمان

أغمضت عينها واستسلمت أخيراً للنوم الذي طال غيابه هذه الليلة حتى كادت أن تأيس من قدومه

*****

١٧

مش ليك

كانت "علا" تجلس على طرف البار ورشفت آخر رشـفة في كأســها وقالـت للنادل :

- واحد تاني يا كبير

أذعن النادل للأمر بسرعة وصب لها كأساً آخر وقدَّمه لها ، ولكـن "تـامر" أمسك يدها قائلاً :

- كفاية كده يا "علا" انتي تقلتي أوي النهارده في الـشرب انتي مـش متعودة على كده

أبعدت يده بعنف وقالت :

- انت مالك انت بيا ، أنا عايزة أشرب ، أشرب ، أشرب كتييـير لحـد مـا أنسى ، أنسى كل حاجة ، أنسى اسمي ، أنسى نفسي ، أنسى ...

ثم أدركت في آخر لحظة أنها على وشك أن تبوح له بالسر الذي تظن أنه يخفى عليه فأكمل هو قائلاً :

- تنسي "فادي" ، مش كده ، كملي يا "علا" قولي كل اللي جواكي ، مش هتلاقي حد يحس بالنار اللي فيكي إلا اللي اتكوي بيها قبل كده

تصنَّعت "علا" عدم الفهم وقالت وهي ترشف رشفة أخرى من كأسها :

- تقصد إيه

ضحك "تامر" بسخرية ونزع منها الكأس بالعنف وقال لها :

- فوقي بقى ، فوقي واعرفي مين اللي بيحبك ومين اللي بتهمه مصلحتك ، اللي انتي بتحبيه ده مش ليكي ، ولا عمره هيكون ليكي ، أنا ....

وقفت "علا" مقاطعة :

- انت إيه .... بتقول إنك بتحبني ، وعايزني أحبك كمان ، طب على إيه ؟ شايف إيه الميزة اللي فيك عنه ، على فكرة انت شبهه بالظبط ، في كـل حاجة ، كل الفرق ما بينه وبينك انه أغنى منك ، انت لو غني زيه كان زمانك زيه ، كان زمانك بتعمل أكتر من اللي بيعمله

رد باستغراب :

- أنا ... أنا يا "علا"
- أيوه انت ، تنكر إنك بتروح معاه نفس المكان المشبوه إياه ، وكل يـوم مع واحدة شكل من البنات الزبالة اللي بتعرفوها دي

أخفض "تامر" رأسه خجلاً فأكملت :

- ساكت ليه .... طبعاً مش عارف تقول إيه
- لو يرضيكي أبطل أروح معنديش مانع ، لو عايزاني أقطـع علاقتـي بيهم كلهم معنديش مانع ، بس انتي قولي آه ، أنـا ممكـن أعمـل أي حاجة عشان خاطرك

- اسكت يا "تامر" اسكت ، عشان خاطري اسكت ، لو أنا غالية عنـدك زي ما بتقول اسكت

تنهد "تامر" ثم قال :

- حاضر يا "علا" بس كفاية شرب عشان خاطري

ألقت "علا" الكأس من يدها ونهضت وهي تترنح ثم قالت :

- أنا هروح

نهض "تامر" بسرعة ليساندها قائلاً :

- يا ريت ، يكون أحسن برضه ، أنا هروحك ، ياللاه بينا

"علا" الفتاة الوحيدة لأبيها ووالدتها توفت منذ كانت تخط في عامها الحادي عشر

كان أبيها لا يراها إلا كل حين وحين فقط بالصدفة حتى أنه كاد أن ينـــسى شكلها ، هو من نوعية البشر المحبين للنقود للنفوذ للسلطة ، كان شريكاً لـــ "عزيز الدمرداش" في كل شيء .

****

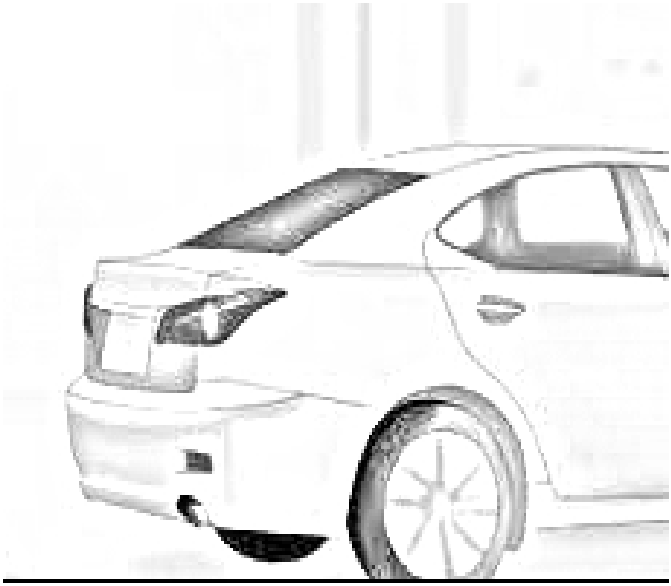

١٨

التقل صنعة

في سيارته الفارهة كان "فادي" يجلس أمام عجلة القيادة وبجواره "عـلاء" الذي يدخن سيجارة وبعدما انتهى منها فتح زجاج السيارة وألقـى بعقـب السيجارة وأغلق الزجاج مرة أخرى فقال "فادي" :

- بس يا سيدي ، وخلاص واحدة واحـدة البـت دي هتبقـى بتاعتنـا ، وأبقى كسبت الرهان

ضحك "علاء" ثم قال :

- بس انت طلعت غشيم يا معلم ، حد كده خبط لـزق يقـول لواحـدة بحبك ، وهي أصلاً مكانتش طايقاه ، المهم كان رد فعلها إيه ؟؟؟؟
- سابتني ومشيت من غير ما ترد حتى

ضحك "علاء" بطريقة جعلت الدماء تغلي في وجه "فادي" ثم قال :

- طبعاً ، كان لازم تسيبك وتمشي ، مستني إيـه مـن واحـدة مكنـتش بتطيقك وفجأة كده وبقدرة قادر عملت نفسك الملاك الطاهر قـدامها وبعدين تقولها إنك بتحبها
- بس أنا حسيت إن الكلمة فزَّحتها بس مكانتش عايزة تبين قدامي
- ياد بلاش غشم ، انت زي ما يكون لسه بتتعلم من جديد ، إيه يا عـم "فادي" احنا بنتعلم منك الحاجات دي مالك مش عارف تفكر ليه
- يا عم ، أنا مفيش فيا دماغ أفكر ، عندك كلمة حلوة قولها معنـدكش نقطنا بسكاتك

عاد "علاء" لضحكاته المستفذة ثم قال :

- خلاص يسطا ، نعلمك وناكل من جيبنا ، بص يا معلـم انـت تغيـب عليها يومين تلاتة أربعة كده ، متخليهاش تعرفلك طريق جـرة ، ولا تلمح ليك خيال حتى ، مش بيقولوا برضه التقل صنعة

نظر إليه "فادي" بدهشة مستفسراً عن معني تلك الكلمات فأكمـل "عـلاء" حتى ينتزعه من حيرته :

- بص يا معلم انت لما ترميلها كلمة زي دي وخصوصاً بعـد رد الفعـل اللي انت حكيتهولي ده وبعدين متشوفكش تاني ، هتجنن وهـي الـلي هدور عليك

هزّ "فادي" رأسه متفهماً ويبدو أنه قد اقتنع بما قاله "علاء" فقال :

- تسلم دماغك يا يا واد يا "علاء"

تنحنح "علاء" فخراً ممسكاً بياقة قميصه ثم قال :

- تبقى ليا الحلاوة يسطا

أدار "فادي" محرك سيارته وتحرك ببطء وهو يقول :

- وماله ، يحصل اللي ف بالي وليك اللي انت عـايزه ، امـال فـين الـواد "تامر" ، بطل يسهر معانا ليه

- معرفش ماله ، بقاله فترة بعيد كده وكل ما أكلمه يقولي مش فاضي ، حاسس إنه بيتهرب مني ، سيبك منه

ضغط "فادي" على مكبس الفرامل فجأة حين وقفت أمامه سـيارة فانهـال عليها بوابل من السباب ولكن حين أطلت منها فتاة هدأ قليلاً .

فتحت الفتاة الباب وأسرعت ترى ما حدث في سيارتها والسيارة التي صدمتها وذهبت إليه معتذرة :

- أنا آسفة والله ، بس أنا كنت بتكلم ف التيلفون و..

قاطعها "فادي" بنظرة رومانسية وغمزة :

- القمر ده ميعتذرش

قالت بنفس نبرة الاعتذار :

- بس أنا حاسة إني خبطت عربيتك

نظر إليها مندهشة :

- حاسة !!! ع العموم فداكي ألف عربية ، محصلش حاجة

أخرج كارت من جيبه وأعطاها إياه قائلاً :

- ده الكارت بتاعي ، ياريت نبقى صحاب

ابتسمت الفتاة قائلة بعدما عضت على شفتها السفلى :

- يا رييييت

******

١٩

بدأت تلين

كانت "فرحة" تراقب الصالة من آن لآخر تبحث عن ضالَّتها ، ولكنــه لليــوم الثالث على التوالي لم يظهر له أثر ، لاحظت "مايسة" تلك الحالة التي اعترت "فرحة" منذ يومين ولكنها لم تتحدث معها في ذلك ولكن في ذلك اليوم قررت أن تحدثها قائلة :

- مش جاي النهارده

سمعت "فرحة" تلك الكلمات وكأنها الصاعقة فتسائلت :

- ليه

ثم اكتشف أنها وقعت في الفخ الذي نصبته لها "مايسة" فأدركت الخطأ قائلة :

- ميين ده ؟

ضحكت "مايسة" بخبث وغنَّت :

- مهما حاولت تداري عليا ، عنيك دايما دايما فاضحاك

وعادت إلى ضحكاتها المستفزة فضربتها "فرحة" في كتفها قائلة :

- والنعمة انتي رخمة أوي ، امشي بقا شوفي وراكي إيه

انصرف "مايسة" بعد غمزة من عينينها فأوقفتها "فرحة" قائلة بتردد :

- عرفتي ازاي إنه مش جاي

تسائلت "مايسة" بخبثها المعهود :

- هو مين ده ؟؟؟
- يووووووووه ، انتي أرخم واحدة شـفتها ف حيـاتي ، أنـا بقصـد الشب اللي كان دايما يجي يقعد هنا ويسأل عليا
- آه قصدك "فيدو" الجميل

اندهشت "فرحة" من الاسم الذي أطلقته "مايسة" على "فادي" وكأنها تعرفه منذ فترة فتسائلت :

- انتي تعرفيه قبل كده

تلعثمت "مايسة" ثم قالت :

- لا لا ... أنا لا أعرفه ولا شفته هو قاللي اسمه لما كان هنـا ، بـس إيـه انتي هتاخديني في دوكة ولا إيه ، انتي شكلك وقعتي

ردت "فرحة" بسرعة وكأنها تبعد عنها شبهة كبيرة :

- لا لا ، متفهميش غلط

نظرت إليها "مايسة" بنصف عين وقالت :

- طب عيني ف عينك كده ، بذمتك مش مستنياه
- لا .... آه أنا فعلا مستنياه ، أصلي كنت عايزاه في موضوع كده
- آه موضوع .... اخص عليكي هتخبي عليا بس شكلك انتي وقعتي

احمَّرت وجنتي "فرحة" ثم قالت :

- وقعت إيه ، مفيش حاجة أصلاً عشان أخبيها

ابتسمت "مايسة" وقالت :

- امال قعدتي ترغي معاه أول امبارح ف إيه
- ده انتي متابعاني بقى
- ولا متابعة ولا حاجة ، أنا بس فضولية شويا ومحبش حاجة تعدي عليا كده
- والله ... والله مفيش حاجة بيني وبينه ، هو أنا عشان اتكلمت معاه شويا يبقى حبيته ، مش دي نصيحتك ليا

تمصمصت "مايسة بشفتيها وغنت بطريقة مستفزة :

- حبيته ومقولتش يامًا

انصرف "مايسة" فضربتها "فرحة" في كتفها بشدة وقالت :

- والله انتي رخمة أوي ، وأنا غلطانة عشان اتكلمت معاكي من الأول

ضربت "فرحة" الأرض بقدمها غيظاً ، ثم انصرفت تتابع عملها حتى انتهى يومها ببطء السحلفاة ، ثم عادت إلى متزلها لا تدري ماذا حل بها ؟

لماذا كانت تنتظره ؟ لماذا ضايقها غيابه ؟ أليست هي من كانت تتمنى ذلك ؟ كانت تريد أن تفسر غيابه ، وخصوصاً بعد الكلمة التي قالها لها ، لماذا إذاً قالها طالما ينوي الغياب والبعد ، لماذا تركها وترك لها جبلاً من الأوهام لا تستطيع حمله ، كانت قبله تعيش في حالها تكفي غيرها شرها .

وصلت لمنزلها لا تعلم كم من الوقت مرَّ عليها ، حمدت الله عندما وجدت والدتها قد خلدت إلى النوم فدخلت حجرتها وجلست أمام المرآه كعادتها التي تعودت عليها أخيراً فوجدت صورتها في المرآه تحدثها :

- طب هو مجاش ليه تاني ، يكونش ندم على الكلام اللي قالوا ، طب هو ليه قالي كده ، ليه رماني في وسط بحر موجه عالي قوي وأنا مش بعرف أعوم ، وأنا إيه اللي خلاني اتعلقت بيه وفين الكلام اللي كنت

معاهدة نفسي بيه ، مش كنت قولت إنـي هشـيل الموضـوع ده مـن دماغي لحد ما أتخرج وألاقي شغل عشان أصرف على إخـواتي ، أنـا لازم أنسى الموضوع ده وأشيله من دماغي فعلاً ، ومفكرش فيه تاني وكفاية اليومين اللي عشتهم وأنا مش عارفه إيه اللي فيا

نهضت من أمام المرآه وألقت بجسدها على السرير ونظرت في سقف حجرتها تعد الشروخ التي فيه كعادتها كل مرة ثم قالت بهمس :

- وأنسى ليه .. هو أنا مش زي أي بنت نفسها تحب وتتحـب ، ولا هـي جات عندي أنا وبركت

خبطت بكلتا يديها على السرير وقالت :

- اوفف ، وبعدين يا ربي في الحيرة دي ، خايفة أتعلق بيه ويكون فعلاً بيلعب بيا ، ساعتها هتصدم صدمة كبيرة

سكتت قليلاً تحاول أن تقنع نفسها بعكس ذلك وقالت :

- أو يمكن يكون بيحبني بجد وهيبقى انسان تاني بجد ، وفعلاً عـايز يتغير على إيدي

غيّرت من وضعية نومها ووضعت كلتا يديها أسفل رأسها واتجهت إلى اليمين ثم قالت :

- هو أنا بحبه فعلاً ؟! اشمعنا هو ، ولا يمكـن عشـان ده أول واحـد يقولي بحبك . ... وأخريتها اييييه يا "فرحة" أخرتها إيه الحالـة الـلي انتي فيها دي

وهنا فُتح باب الحجرة وأطلت الأم برأسها من الباب قائلة :

- "فرحة" انتي جيتي امتا يا بنتي ، ومصحتنيش ليه أعملك أكل

تظاهرت "فرحة" بالنعاس وتصنعت التثاؤب وقالت :

- لا يا ماما ، أنا تعبانة وهنام على طول

أطفأت الأم إضاءة الغرفة وهي تردد :

- نوم العوافي يا بتي

وذهبت وتركتها مع خيالاتها وحيرتها ، تركتها تترجى النوم أن يـأتي حتـى ينتزعها من كل هذا التفكير .

بعد مرور أربعة أيام ، وفي نفس الميعاد كانت "فرحة" تدخل المطعم لتتسلم عملها

ارتدت زي المحل الرسمي وكذلك المريلة وأمسكت بالـدفتر وذهبـت إلى أحـد زبائن المطعم لتسأله عن مطلبه فقالت له :

- اؤمر حضرتك يا فندم

إلتفت الشاب باسماً فتسمَّرت في مكانها عندما وجدتـه "فـادي" ، احمَّـرت وجنتاها وتمنَّت لو أن الأرض تنشق وتبتلعها .

ابتعلت ريقها بصعوبة وقالت :

- "فادي"

علت على وجهه الدهشة وهو يقول :

- شفتي عفريت ولا إيه

الحقيقة لو أنها رأت عفريتاً كان أهون عليها مما هي فيه الآن ، حاولـت أن تتمالك وتجمع شتات تفكيرها وقالت :

- لا أبداً ، بس استغربت أصلك ليك كام يوم مجيتش

ابتسم وقال بثقة :

- وحشتك ... صح ؟؟؟ ، طب رقمي معاكي مش كنتي تتصلي تتطمني عليا

نظرت إليه باستفهام شديد ، تعجبت في قرارة نفسها من جرأته الشديدة ، لم تتوقع هذه الضربة المفاجأة لقلبها الذي لن يحتمل أكثر من ذلك فقالت :

- تشرب إيه ؟؟؟

ضحك "فادي" ثم قال :

- إيه ده ، بقولك وحشتيني مينفعش الرد بتاعك ده

ردت مستفهمة :

- أرد أقول إيه
- قولي وانت أكتر ، وانت كمان أي حاجة

استجمعت قواها الخائرة وقالت بشجاعة :

- لو سمحت يا أستاذ "فادي" ده مكان شغل مينفعش نتكلم في حاجة زي كده

قدَّمت له قائمة طلبات المطعم وهمَّت بالانصراف فقال بسرعة :

- خلاص نتقابل بره

ظهرت على وجهها علامات الرفض قائلة :

- لا طبعاً ، مش هينفع ، أنا مش بخرج مع حد غريب
- يووووه هنعيده تاني ، يا ستي ما غريب إلا الشيطان ، وبعدين فيها إيه ، احنا هنقعد في مكان عام
- برضه مش هينفع ، أنا آسفة يا أستاذ "فادي"
- ومش هينفع ليييه ، وبعدين أنا عايز أتكلم معاكي شويا ، هنتكلم فين ، هنا بتقوليلي مكان شغل ، طب نطلع بره مش راضية طب نتكلم فين
- لو عايز تتلكم ، تعالي البيت واتكلم قدام ماما

نظر إليها باستغراب :

- وماما إيه دخلها بالموضوع
- أنا مبعملش حاجة من ورى ماما ، وبعدين اللي عايز حد المفروض إنه يدخل البيت من بابه ، بعد إذنك

انصرفت "فرحة " قبل أن تدع له فرصة للرد ، عضَّ على شفتيه غيظاً وقال :

- ماشي ، مسيرك يا ملوخية هتيجي تحت المخرطة ، بس الصبر

أخرج هاتفه وطلب رقم وبعد ثواني قال :

- انت فين يا "علاء" ، طب أنا جايلك دلوقتي حالاً

ثم انصرف دون أن يشعر بأن هناك من يراقبه ، كانت "فرحة" تراقبه مـن بعيد بأسى وحزن .

لم تعلم "فرحة" كم من الوقت مر عليها وهي شاردة حتى شعرت بيد تنهرها من الخلف ، كانت "مايسة" التي قالت :

- مالك يا بت فيكي إيه

انتبهت بعد فترة وكأنها لم تسمع ما قالته "مايسة" فأعادت الأخيرة ما قالته وهي تهزها في كتفها فقالت "فرحة" :

- مفيش ، متشغليش بالك

تقدمت "مايسة" خطوتين حتى أصبحت "فرحة" خلفها وقالت دون أن تنظر إليها :

- بتحبيه ؟

لم تكن "فرحة" تتوقع أبداً مثل هذا السؤال من زميلتها

لم تدري ماذا تقول ؟

لم تدري أصلاً ما جواب هذا السؤال ؟

هل هي حقاً تحبه ؟ وإن كانت تحبه ، لماذا تعامله بهذا الجفاء ؟

لاحظت "مايسة" شرودها فدارت إليها وأمسكت بكتفيها فقالت :

- تبقي بتحبيه

أزالت "فرحة" يديها برفق ونظرت إلى الجهة الأخـرى هروبـاً مـن نظـرات "مايسة" ثم قالت :

- هو مين ده ؟

دارت "مايسة" حتى وقفت في مواجهتها قائلة :

- بتضحكي عليا ولا على نفسك ، انتي غرقانة لشوشتك

نظرت "فرحة" للأسفل حتى لا تنظر في عينيها وقالت :

- هو أنا باين عليا كده أوي

ضحكت "مايسة" ضحكاتها المستفزة مرة أخرى وقالت :

- إلا باين عليكي ، ده انتي كل حتة في وشك بتقول بحبه ، كـل تعبـيرة من تعابير وشك بتسأل عليه ، لما بيجي بتبقي كإنـك طـايرة مـن ع الأرض ، ولما غاب كان باين عليكي اللهفة ، يبقى حب ولا مش حـب ، ده انتي بتعشقيه مش بتحبيه

جلست "فرحة" على أقرب كرسي في طريقها عندما عجزت قدماها على حملها فقد شعرت أن جميع أوراقها مكشـوفة أمـام صـديقتها ، وقالـت بعـد أن استجمعت قواها :

- هو مش حب بمعنى حب يعني

تنهدت "مايسة" بخبث :

- أمال بمعنى إيه يا برنسيسة
- إعجاب

بدهشة قالت "مايسة" :

- إعجاب !!!
- آه إعجاب ، ودماغك متروحش أبعد من كـده ، منكـرش إن "فـادي" شاب وسيم وغني ، بس أنا وانتي عارفين عيوبه اللي تخلي أي واحـدة زيي تخاف حتى من إنها تقرب ليه ، أنا لسـه أصـلاً مقـررتش أنـا هتعامل معاه إزاي

أرادت "مايسة" أن تطرق على الحديد وهو سـاخن وتكمـل خطتهـا التـي وضعتها لـ"فادي" فقالت :

- طب وماله ، لما تجازفي ، مش يمكن تكسـبي في الآخـر ، مـش يمكـن الدنيا ناوية تضحكلك عشان كده خلت واحد زي ده يحبـك ويجـري

وراكي ، مش يمكن ربنا قرر يريحك ، انتي عارفة معناها إيــه انــك تتجوزي واحد زي "فادي"

نظرت "فرحة" إليها تحثها على مواصلة حديثها الذي تجد له حلاوة في نفسها فأكملت "مايسة" :

- طاقة قدر وبتحوم حواليكي وعايزة تتفتحلك ، وانتــي خايفــة منهــا مش فاهمة ليه ، يا بنتي الموضوع يستاهل تجازفي عشانه ، قرَّبي منه ، إديله فرصة يثبت حسن نيته ، انتي عارفة إن محدش يقــدر ياخــد مننا حاجة غصب عننا ، ساعة الجد بنبقى أقوى منهم ، نقدر نوقــف أي حد عند حده
- أنا مش فاهمة حاجة ، تقصدي إيه
- يا بنتي اسمعي مني ، أنا شفت في الدنيا كتير واتلطمت كتير ، يا ريت تجيني نص الفرصة اللي قدامك دي ، متضيعهاش عشان متنــدميش باقي العمر كله عليها
- مش يمكن لما أجرب أتعب أكتر
- مش هتتعبي أكتر من التعب اللي انتي فيه ، بــصي لنفسك وظروفك ، بصي انتي محتاجة قد إيه تتنقلي لمستوى أحسن من اللي انتي فيه ده
- يعني أعمل إيه يعني ؟؟؟
- شوفيه عايز إيه ، اتكلمي معاه متصديهوش زي ما حصل النهــارده كده

علت دهشة "فرحة" فهي لم تقص ما حدث بينها وبين "فادي" اليــوم عــلى مسامع "مايسة" فقالت متسائلة :

- وانتي عرفتي ازاي اللي حصل بينا النهارده

تصبَّبَ جبين "مايسة" عرقاً ولكنها استطاعت أن تجد ما تقوله فقالت :

- شفتكم وانتوا بتتكلموا وبعد كده لقيته خارج مـدايق فقولـت أكيـد انتي بهبلك زعلتيه تاني
- أنا لا زعلته ولا نيَّلت ، كل الحكاية قاللي إنه عايز يـتكلم معايـا عـلى انفراد ، قولتله تعالى البيت واتكلم قدام ماما

ضحكت "مايسة" بطريقة هستيرية وقالت :

- الله يخرب بيتك يا بقرة ، في حد يعمل كده ، ومقولتلهوش ليه يجيـب معاه دبلتين بالمرة ، يا ماما الطرق القديمة دي بطلت من زمان ، لازم تقعدوا مع بعض الأول يعرفك تعرفيه ، مش يمكـن متعجبهـوش أو مش يعجبك
- لا لا لا أنا معملش كده أبداً
- يووووووووووه ، انتي حرة ، قرفتيني معاكي

ثم تركتها "مايسة" وانصرفت غاضبة .

جلست "فرحة" على كرسي أمامها تفكر في كلمات زميلتها وتُدَوِرُها في عقلها علّها تصل لحل يريح جميع الأطراف ولكنها لم تصل بعد إلى الحل .

أنهت يومها وفي طريقها للعودة وجدت ثلاثة من الشباب ملامحهـم غريبـة ويبدو أنهم سكارى ، اقترب أحدهم منها قائلاً :

- إيه يا موزة ، إيه نظامك

حاولت أن تتجاهله ولكن ثلاثتهم وقف أمامها فردت برعب :

- نظام إيه ؟

رد أحدهم بسخرية :

- نظام اتصالات

ضحك الجميع ثم فجأة تحولت ملامحهم للجديـة ، أخـرج أحـدهم مِطـواة وأشهرها في وجهها قائلاً :

- من الآخر كده ، هتيجي معانا ولا نبعتك مشوار

ردت باستفهام :

- مشوار فين ؟؟
- للآخرة يا حلوة

وعاد الجميع إلى ضحكاتهم المستفزة .

كانت لا تدري ماذا تفعل ؟ هل تصرخ ؟ وإذا صرخت من سيجيبها في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل والشارع يخلو تماماً من المارة .

تصبَّبَ جبينها عرقاً وأخذت ترتعش ، فاقترب منها أحدهم وأمسكها من يدها فنزعت يدها بشدة وحاولت أن تجري بسـرعة ولكنهم كـانوا أكثـر وأسرع فحاوطوها من جميع الجهات وأغلقوا جميع منافذ الهرب ، لـم تسـتطع أن تمنع دموعها وقالت :

- حرام عليكم ، خدوا كل اللي معايا وسيبوني ف حالي ، أنا بجري عـلى اخواتي ملهمش غيري

قال أحدهم بسخرية :

- وانتي حيلتك حاجة يا موزة

رد الآخر عليه بنظرة شهوانية حقيرة لم تفهم "فرحة" معناها :

- لا حيلتها كتير ... كتير أوي ولا إيه يا مكنة

ردت برعب وسذاجة :

- إيه ؟

ظهرت علامات الغضب على الآخر قائلاً :

- انتي هتقضيها إيه الليل كله ، اللي قرب يخلص ، يلا بينا انت وهو

وسحبها من يدها وهي تسحب نفسها بضعف وتقول :

- لا ... أبوس إيدك لا ... سـيبني عشـان خـاطر ربنـا ، وحيـاة ولادك سيبني

وفجأة وقفت سيارة كانت تجري مسرعة ، كانت صوت احتكاك عجلاتها على الأرض من أثر الضغط على مكبس الفرامل كفيلاً أن يلفـت أنظـار الجميـع وفجأة أطلت رأس "فادي" من باب السيارة بسـرعة وهو يحمـل مسدسـاً وضرب طلقة في الهواء فجرى الثلاثة رعباً ، فاقترب من "فرحة" التي سقطت على الارض وهي ما زالت تنتفض فحملها بين يديه وأدخلها السيارة وأخرج زجاجة عطر من درج سيارته ورش قليلاً على يده وقربه من أنفهـا فبـدأت تستعيد وعيها شيئاً فشيئاً ، وعندما استفاقت وجدت نفسها في سيارة غريبة ، لم تأخذ الكثير من الوقت حتى تتذكر أنها سيارة "فادي" الذي سمعت صوته يقول :

- "فرحة" انتي كويسة ، ردي عليا طيب

استجمعت قواها ونطقت أخيراً :

- أنا تمام ، مين دول وكان عايزين مني إيه
- شوية عيال فافي شكلهم كانوا متقلين في الشرب بـس متقلقـيش أنـا وريتهم شغلهم

نظرت إليه بامتنان وقالت :

- ميرسي جداً يا أستاذ "فادي" أنا مش عارفة من غيرك كنت عملت إيه ، جميلك ده فوق دماغي
- طب مش لازم تردي الجميل ولا إيه

نظرت إليه غير متفهمة ما يقصده من تلك الكلمة فقال لها :

- مالك يا بنتي فيه إيه ، هو أنا هاكلك ، أنا كل اللي بطلبه منك نتعـرف أكتر على بعض ، صدقيني مفـيش في نيتـي حاجـة وحشـة ليكـي ، وبعدين يا ستي لو حسيتي إن في نيتـي حاجـة وحشـة متخلنـيش أشوف وشك تاني

ابتسمت ابتسامة رقيقة ثم قالت :

- ممكن أسأل سؤال بسيط في الأول

قال بفرح :

- ميت سؤال ، ask وخلصيني

ضحكت من طريقته وقالت :

- اشمعنا أنا ، انت قدامك كتير ، كتير أوي ، أغنى مني بكتير وأحلى مني ، ظروفهم أحسن مني ، اشمعنا أنا

تنهد تنهيدة تدل على عدم الارتياح ثم قال :

- هتصدقيني يعني ؟

أومأت برأسها بالموافقة فقال :

- معرفش

نظرت إليه بدهشة ثم قالت :

- ازاي يعني ؟

اتكأ بظره على كرسي القيادة وهو يمسك عجلة القيادة بيده ونظر أمامه وقال دون أن ينظر إليها ثم قال :

- فيه حاجات كتير بتحصل في حياتنا منعرفش سببها إيه ، أنا نفـــسي سألت السؤال ده لنفسي أكتر من مـــرة ، بـــس ملقـــتش إجابـــة ليـــه ، صدقيني أنا من أول مرة شفتك وأنا متلخبط ، معرفش حصـــل إيـــه معايا

ثم نظر إليها وقال :

- حبيتك ، ده السبب الوحيد اللي كنت بقوله لنفسي

سكت وسكتت هي الأخرى ، لا تدري ماذا تقول له ؟ هل تخبره أيضـــاً أنهـــا أحبته ولكنها خائفة وإن قالت له خائفة وسألها مما تخاف بما ستجيبه؟ دامت لحظات الصمت أكثر من خمس دقائق قطعها هو قائلاً :

- ساكتة ليه ؟

- أقول إيه
- قولي أي حاجة ، قولي انك مصدقاني
- مصدقاك بس ....
- بس إيه ؟؟؟
- خايفة !
- من إيه ؟؟؟
- معرفش

ضرب عجلة القيادة بيده غضباً فقالت :

- مالك ؟
- مبقتش عارف أعمل إيه عشان ترضي عليا ، تصدقي أنـا عمـري مـا كنت بتخيل إني في يوم من الأيام هبقى كده ، أنا اللي كنت بشاور بس على أجمل واحدة كانت تطير من الفرحـة بـس عشـان شـاورتلها ، تيجي انتي وتعملي فيا كل ده ، انتي سحرتيلي ولا إيه ، اوعي تكـوني عاملالي عمل أحسن نموي يقف

ضحكت بصوت عالي لطريقته في الكلام فقال :

- الصلاة ع النبي ، طب ما انتي بتعرفي تضحكي أهو ، امـال مركبالنـا الوش الخشب على طول ليه
- غصب عني والله ، لازم تعذرني ، أنا عيشت حيـاة صـعبة أوي ، أنـا واحدة كان أبوها كل حاجة في حياتها ، فجأة بابا مات ، فجأة بقيـت في سني الصغير ده مسئولة عن أم واخوات ، تفتكـر واحـدة عاشـت عيشتي دي ، تعرف يعنـي إيـه حـب ، تعـرف أصـلاً ازاي تحـب ، سامحني أنا متلخبطة مش عارفة مالي
- افهم من كده إنك لتالت مرة بترفضي طلبي
- لا ....

ثم سكتت لا تدري ماذا تقول ؟ فقال بعدما أدار محرك سيارته :

- أنا هروحك البيت
- لا .... أنا هروح لوحدي ، وبعدين ميـنفعش حـد يشـوفك معايـا في الوقت المتأخر ده

وفتحت باب السيارة ولكن أوقفها قائلاً :

- بس أنا خايف الولاد دول يتعرضولك تاني

تنهدت بقلة حيلة فقال لها :

- بصي أنا هوصلك لمكان قريب من حارتكم

أومأت بالموافقة ، فانطلق بها ، طيلة الطريق كان لا يُسمع إلا صوت محرك السيارة ، ولكن كان بداخل "فرحة" بركان ثائر على وشك الانفجار .

كان "فادي" ما بين الحين والحين يلقي نظرة لائمة على "فرحة" التي ألقت برأسها على كرسي السيارة وأغمضت عينيها حتى تمنع بركانها الثـائر مـن الخروج ، حتى لا تفضحها عيناها .

نظرت إليه فإلتفت إليها ، ابتسمت له فابتسم لها ، قالت ولكن دون أن يسمع منها كلمة واحدة :

- بحبك .. من أول لحظة شفتك فيها وأنا بحبك ، دخلت قلبي وقفلـت عليك ، كل يوم بتزيد حبة جوايا ، بس أنا خايفة ، خايفة منك أحسـن أكون مجرد لعبة في حياتك وهتزهق منها وترميها وتكسـرها زي مـا عملت مع غيرها قبل كده

ثم استفاقت من شرودها وقالت :

- بس كفاية هنا يا "فادي"

ضغط على مكبس الفرامل قائلاً :

- تعرفي إني دي أول مرة تناديني باسمي من غير أستاذ

ابتسمت "فرحة" مرة أخرى ونزلت من السيارة وأشارت له بيدها فقال لها :

- هشوفك تاني

أومأت بالموافقة وانصرفت .

****

٢٠

الجواز هيّلِمه

دخل "عزيز" حجرة نومه كعادته بعد منتصف الليل بعد سهرة طويلة مـع أحد شركاؤه فاستقبلته "نسرين" قائلة :

- كل ده بره ، اتأخرت ليه كده

قال لها بإرهاق بدا على نبرات صوته :

- أصل بعد العَشا قعدنا نتكلم أنا و"جلال فاضل" في كذا موضوع كده ، منهم موضوع يخص "فادي" ، هو فين صحيح ؟؟؟

ذمَّت "نسرين" شفتيها وقالت :

- "فادي" ! هو بيدخل البيت قبل ٣ الفجر ، وكـل مـا أسـأله يقـولي بذاكر مع أصحابي ، وأنا مش بالعة حكاية المذاكرة دي

- ربنا يوفقه ، خلاص هانت فاضل سنة ، عايزه يتخرج عشـان يجـي يشتغل معايا في الشركة ، أنا كبرت وتعبت ومحتاجـه معايـا عشـان يريحني

جلست بجواره على السرير :

- ده كل اللي قدرت عليه ، بدل ما تسأله إنت بتسهر فين ولا بتعمل إيه ، وبعدين أنا مش مصدقة حتة بيذاكر مع صحابه دي

استند بظهره على السرير وقال :

- ومش مصدقة ليه ، مهو مـن سـنين وهـو بيـذاكر معـاهم واحنـا عارفينهم
- أنا خايفة على الواد ، مش يمكن يكونوا بيشربوا حاجة كده ولا كده

نظر إليها بدهشة ثم قال :

- كده ولا كده زي إيه
- مخدرات مثلاً ، خمرة

ضحك "عزيز" وقال :

- لو خمرة مش مشكلة ما أنا طول عمري بشرب خمرة ، وأنا مفتكرش إنهم بيشربوا مخدرات كان بان عليه ، وبعدين أنا مـش عـايز أزنَّـق عليه عشان ما يتعقدش
- أنا مقولتش تزنَّق عليـه ، أنـا بقـول تعـرف مـين صـحابه دولـم ، وبيسهروا فين ، وبيعملوا إيه حتى من غير ما تقوله

قال "عزيز" بنفاذ صبر وإرهاق شديد :

- عايزاني أراقبه يعني ، إيه جو الأفلام القديمة اللي انتي عايشة فيه ده ، مينفعش أعمل كده ، الواد لو عرف حاجة زي دي هيزعل

ضربت كفاً بكف وقالت :

- والله هتضيع الواد باستهتارك ده

- تفي من بقك يا شيخة ضياع إيه ، وبعدين خلاص دي آخـر سـنة في الجامعة وبعدين هينشغل معايا ، و في الشغل هينسى الحاجات دي
- ربنا يستر ، مقولتليش موضوع إيه اللي كنت بتتكلم فيه مع "جلال" بخصوص "فادي"
- شفتي نستيني الموضوع المهم ، أنا بفكر أخطبله البـت "عـلا" بـت "جلال" ، البت كويسة وزميلته في الجامعة ، وبعدين هـو يعرفهـا ، وعلى طول مع بعض ، وكمان الجوازة دي هتقـوي العلاقـات بينـي وبين "جلال" في الشغل
- والله فكرة حلوة أوي ، مفيش حاجة هتلمه غير الجواز ، كانت تايهة عني فين الفكرة دي ، بس استنى ، هنجوز الواد وهو لسه بيدرس
- وماله يعني ، امال هنستنى لما يتخرج ويكوِّن نفسه مثلاً
- طب هتكلمه امتا في الموضوع ده
- أول ما أشوفه هكلمه

ضحكت "نسرين" بعفوية وقالت :

- يبقى السنة اللي جاية يعيد علينا وعليك الايام بخير

مسح "عزيز" على شعره ثم قال بإرهاق :

- يا "نسرين" أنا تعبان وعايز أنام ، لما تشـوفيه انتـي ابقـي كلميـه ، حرام عليكي أنا عايز أنام

ومدد جسده على الفراش وأغمض عينيه فقالت بعدما تمصمصت :

- أهو ده اللي انت فالح فيه

ابتسم "عزيز" وأدار وجهه الناحية الأخرى بعدما فهم ما ترنو إليه "نسرين" وقال :

- نامي يا "نسرين" نامي يا ماما ، نامي ربنا يهديكي

تأففت "نسرين" وتمددت بجواره

*****

اضطر "فادي" آسفاً لمقابلة "مايسة" التي أزعجته باتصالاتها المتكررة تطلب منه في كل مرة مقابلته ولكن كان يتهرب منها ، بعدما قضى معه مصـلحتها فليس له الآن حاجة عندها .

كانت "مايسة" تقريباً تتصل به كل يوم حتى ضاق ذرعاً بها فأراد أن يقابلها لكي يضع حداً لتلك الإزعاجات التي تسببها له

حضرت قبل ميعادهما بنصف ساعة وجلست تنتظـره وأتـى هـو متـأخراً بنصف ساعة ، وضع مفاتيح سيارته وهاتفه عـلى المنضـدة وقـال قبـل أن يجلس:

- نعم يا "مايسة" عايزة إيه ، إيه الموضوع المهم اللي مينفعش يتأجـل ده

نظرت إليه بطرف عينها وقالت :

- طب اقعد حتى خد نفسك مـن السـكة ، مـش كفايـة بقـالي سـاعة ملطوعة هنا ومستنياك

جلس بنفاذ صبر قائلاً :

- أديني اتنيلت قعدت أهو
- فيه إيه مالك ، متغير ليه معايا

نظر إليها بدهشة قائلاً :

- متغير ليه ؟! هو أنا لا سمح الله وعدتك بحاجة وخليـت بيكـي وأنـا مش واخد بالي
- مكانش ده أسلوبك معايا يا "فيدو"
- "فيدو" ... آه .... بص يا كتكوتة ، أنا كنت عايزك في مصلحة وانتـي قضتيها على أكمل وجه ، وعملتي اللي عليكـي وزيـادة ، وأفتكـر أنـا

برضه وفيت بوعدي وعملت اللي قولتلك عليه والفلـوس الـلي اتفقنـا عليها خدتي أضعافها ولا إيه ، أنا كده عدّاني العيب ولا إيه ؟

وقف "فادي" مستعداً للانصراف فقالت "مايسة" مهددة :

- الكلام لسه مخلصش يا ... أستاذ "فادي"
- كلام إيه اللي مخلصش ، انتي شاربة حاجة
- ممكن تقعد وتسمع كلامي للآخر

جلس "فادي" بنفاذ صبر وقال :

- اللهم طولك يا روح ، ارغي
- اهدا بس عشان الكلام اللي هقوله محتاج روقان بال وأعصاب هادية
- ممكن تخشي في الموضوع على طول
- انت خلقك ضيق ليه كده النهارده
- يادي النيلة عليا
- خلاص خلاص ... متتعصبش ... بصراحة كده أنـا مستخـــسراك في البت "فرحة" دي وعايزة ينوبني م الحب جانب

ضحك "فادي" بقهقهة ثم قال :

- مش فاهم ، تقصدي إيه
- أنا ساعدتك في إنك توصل ليها ، مينفعش أطلع من المولد بلا حمص

عاد "فادي" لضحكاته مرة أخرى وقال :

- كل الحمص اللي خدتيه ده مش مكفيكي ، انتي إيه مش بتشبعي

ابتسمت "مايسة" بمياعة ثم قالت :

- أصل الحمص بتاعك حلو ، ميتشبعش منه
- يعني من الآخر كده عايزة فلوس تاني صح ؟
- كلك نظر يا سيد الناس

ضحك "فادي" ولكن هذه المرة بصوت عالي ثم قال :

- انسي يا بيضة مفيش فلوس تاني ، انتي خدتي أكتر من الــلي اتفقنــا عليه
- البحر يحب الزيادة يا ..... بيه
- انسي ، انتي خدتي أكتر من وقتك على فكرة أنا مش فاضيلك

ثم وقف وانصرف دون أن يسمع منها أي شيء ولكنها وقفت وقالت بصوت يسمعه :

- أنا ممكن أهدلك كل خطتك بكلمة مني على فكرة

نظر إليها باشمئزاز وانصرف فقالت له أيضاً :

- مش بهزر ولا بقول كلام وخلاص ، انت لسه متعرفنيش

ضاق ذرعاً بطريقتها المستفزة فعاد إليها مبتسماً ثم قال :

- أعلى ما ف خيلك اركبيه ، يا ... قطة ، بس خلي بالك اللي يلعب في الدح ميقولش أح

ثم ألقى إليها قُبلة في الهواء وابتسم مرة أخرى وانصرف .

نظرت إليه بحنق ثم قالت :

- ماشي يا "فادي" يا أنا يا الست "فرحة" بتاعتك

*****

٢١

أيام عسل .. لم تدوم

استيقظت "فرحة" من نومها بصعوبة ، كانت تشـعر بـأن كـل منطقـة في جسدها تؤلمها لا تدري لماذا ؟

كانت تقاوم حواجبها حتى تفتحها ، وبالكادت استطاعت ذلك ثـم شـعرت بباب الحجرة يُفتح ونورها يُضاء ، أغمضت عينها باشمئزاز حين عاكسها نور المصباح لم يأخذ عقلها الكثير من الوقت حتى تستنتج أن والدتها هي من فتح الباب وأشعل المصباح قالت بعدما فردت يديها في تمطع :

- صباح الخير يا ماما

قالت الأم بعدما جلست بجوارها :

- صباح الخير مين ، قولي مساء الخير ، احنا بعد الضهر يا حبيبتي

انتبهت "فرحة" لكلمة والدتها الأخيرة بفزع وقالت :

- ليه يا ماما سيبتيني نايمة ده كله

- أنا لقيتك تعبانة ، لما جيت أصحيكي قولت أسـيبك تريحـي شـويا ، انتي يا كبد أمك من الجامعة للشغل ، حرام يعني لو ريحتي يوم

ألقت "فرحة" بظهرها على السرير في إرهاق وقالت :

- يا ماما كان عندي محاضرة مهمة الصبح ، وضاعت عليا ، يالاه مـش مشكلة ، المهم انتي عاملة إيه يا ست الكـل ، والله وحشـاني القعـدة معاكي
- والله وانتي أكتر يا نور عيني
- أهي فرصة نقعد مع بعض شويا قبل ما أروح الشغل ، أحسن حاجة إنك برضه مفتحتيش الدكان النهارده ، عشان تريحي انتي كمان

ابتسمت الأم وقالت :

- ومين قاللك الدكان متفتحش

نظرت إلى والدتها في دهشة فأكملت والدتها كلامها :

- اخواتك الاتنين النهارده كانوا غايبين من المدرسـة بيقولـوا خلصـوا المناهج ، وقالوا هيقعدوا في الدكان شويا عبال ما أنا أحضـرلك لقمـة كويسة تِرُمي بيها عضمك

نهضت "فرحة" مفزوعة ثم قالت :

- يا ماما اخواتي لسه صغيرين ، واحدة في ثانوية عامة وواحدة في تالتة اعدادي يعني شهادة ، أنا هقوم أروحلهم ، لازم يرجعوا البيت عشان يذاكروا

أمسكت الأم يديها وقالت :

- يا حبيبتي هما خدوا الكتب معاهم وهيذاكروا هناك ، متشغليش بالك انتي ، أنا هقوم أجهزلك الأكل

قبّلت الأم ابنتها وكذلك فعلت "فرحة" وانصرفت الأم لتعد الطعام .

نهضت "فرحة" واتجهت إلى دورة المياه وبينما هـي بالـداخل رن هاتفهـا المحمول فعلا صوت والدتها قائلاً :

- تيلفونك بيرن يا "فرحة"
- حاضر يا ماما طالعة أهو

انتهت الرنة وما لبست أن اعقبتها رنة أخرى فدخلت الأم الحجرة وأحضـرت الهاتف وانتظرتها حتى تخرج ، خرجت "فرحـة" مسـرعة مـن الحمـام وأمسكت هاتفها ونظرت فيه فابتسمت .

كان رقم "فادي" هو المتصل فهي تعرفه جيداً ، حوَّلته إلى الوضع الصـامت فتسائلت الأم بتلقائية :

- مين بيرن يا بتي ، ما تردي أحسن تكون حاجة مهمة

ردت بسرعة :

- لا دي ... دي واحدة صاحبتي ، أكيد بتسأل أنا مرحتش ليه الجامعـة النهارده

ودخلت الحجرة وأغلقتها خلفها ، نظرت الأم إليها في دهشة ودخلت مطبخها تكمل ما دخلت لفعله .

أما "فرحة" دخلت حجرتها لِتُجيب على هذا المتصل الزنَّان ، وقبل أن تتحدث بشيء جائها الصوت عالياً :

- فينك يا بنتي ، برن عليكي من بدري

قالت بصوت هامس :

- معلش كنت في الحمام

سألها بدهشة :

- انتي موطية صوتك ليه ، في حد معاكي

قالت بنفس نبرة الهمس :

- أه ، أصلي في البيت وماما موجودة

- طب أنا عايز أشوفك

وفجأة فتحت والدتها الباب قائلة :

- الأكل جاهز يا "فرحة"

تدراكت "فرحة" الأمر وقالت :

- خلاص يا حبيبتي هقابلك بالليل في الشغل

قال لها بهمس :

- أينعم حبيبتي مؤنث ، بس أنا راضي

ابتسمت وقالت له :

- امشي ياااه ... باااي

أغلقت الهاتف وتنهدت بارتياح وقد تذكرت وجود والدتها فتنحنحت بخجل فقالت لها والدتها :

- مين يا بنتي اللي بتكلمك دي
- دي واحدة صاحبتي ، فين بقى الأكل

وخرجت من الحجرة قبل أن تصطادها والدتها بسؤال آخر قد لا تستطيع الإجابة عليه

******

كانت أيام "عسل" عاشتها "فرحة" مع "فادي" ، تلاشت كل الخلافات بينهما ، أصبحا تقريباً يتقابلان يومياً بالإضافة إلى المكالمات الطويلة التي تدوم لساعات متتالية في طريقها للذهاب أو العودة من عملها .

كانت "فرحة" سعيدة بذلك أيّما سعادة ، شعرت بقلبها يدق بشدة ، غرقت في هيامها ، كان "فادي" في كل يوم يفاجأها ويمتلك جزءاً أكبر في قلبها ، شعرت بأنَّ أيامها أخيراً قد عقدت النية على أن تسعدها بعد طول شقائها ، كانت كثيراً تضرب يدها أو تعض يدها مخافةً أن تكون في حلم جميل ، تريد أن تستيقظ من ذلك الحلم .

كان كل من حولها يلاحظ على وجهها التغيير ، فالحب يكسو الوجه بالفرحة والسعادة ، كزرعة صغيرة كانت تعاني من قلة المياه حتى جفت وأوشكت على الموت ، لكن عندما نسقيها تعود إليها نضارتها ، وتدب فيها الحياة مرة أخرى .

كانت "مايسة" صديقتها في المطعم أكثر من لاحظ ذلك عليها ، أكثر من كان يراقبهما في جميع لقاءاتهما بحنق وغيظ فاقا جميع الحدود ، كانت تحسدها على ما هي فيه ، كانت تسأل نفسها ما الذي في "فرحة" أكثر منها حتى يفضلها "فادي" عليها ؟ تريد أن تنتقم منها بأي شكل أو صورة ، كانت تفكر في الطريقة التي تنتقم منها ومنه ذلك الذي ضحك عليها وألقي إليها بالفتات من النقود حتى نال منها ما يريد ثم ألقاها كما تُلقي الكلاب .

سكتت "مايسة" لم تطارد "فادي" ثانية حتى ظنَّ أنها سلَّمت بالأمر الواقع وابتلعت لسانها ولكنها كانت تراقب وتخطط وتفكر ماذا ستفعل ؟ علمت الكثير والكثير ، عرفت "علا" التي تحب "فادي" وهو لا يحبها فقط يعتبرها أخته ، علمت من هي شلته المفضلة وأين يذهبون ؟وأين يسهرون ؟ ، كانت تخطط لشيء هي نفسها لا تعلم ماهيته ، ولكن أكملت خطتها .

******

٢٢

الصدمة

جلس "تامر" وبصحبته "علاء" و"علا" و"هنـا" كعـادتهم في كـل ليلـة فتسائل "تامر" بحيرة :

- الواد "فادي" بقاله فترة متغير وحاله مش عاجبني

على ذكر اسم "فادي" انتبهت "علا" وكأنها ضربت بسكين تالمة في مشاعرها فقالت :

- براحته هو حر

وعلى غير عادتها شاركتهم "هنا" في الحوار قائلة :

- تلاقيه مشغول مع حبيبة القلب الجديدة

سكين أخرى تلقتها "علا" من صديقة عمرها فردتت كلمتها قائلة :

- حبيبة القلب .... مين دي ؟

ردت "هنا" بخبث :

- واحدة كده ، رايح جاي معاها بقاله فترة ، بـس واحـدة مـن بتـوع الحواري ، معرفش عاجبه فيها إيه ؟ أنا مكنتش عايزة أقولك عشـان متدايقيش

رد "تامر" وهو ينظر إلى "علا" :

- آه والله ، إيه حكاية البنت دي اللي ظهـرت في حياتـه فجـأة يكـونش بيحبها

قالت "هنا" بعد ابتسامة ساخرة :

- بيحبها !!!... لا أكيد لا ، تلاقيها نمرة جديـدة هياخـد وقتـه معاهـا ويرميها زي غيرها

لاحظت "علا" أن "علاء" يتابع الحديث في صمت فسألته :

- مالك ساكت ليه

أخرج "علاء" علبة سجائر وأشعل واحدة وبعد أن نفخ دخانها قال :

- أقول إيه ؟

تابعت "علا" استجوابها :

- تعرف مين هي البنت اللي ماشي معاها "فادي" ؟

أومأ "علاء" بالرفض ولكن "علا" لم تصدقه فتابعت :

- معقولة دي ، انت متعرفش

سحب "علاء" آخر نفس من سيجارته وألقاها في الأرض ودهسها بقدمه ثـم قال :

- أنا مبعرفش حاجة ، لما تشوفوه ابقوا إسالوه هو ، هي ليلة نكـد مـن أولها

همَّ "علاء" بالانصراف فأوقفه "تامر" قائلاً :

- اهدا بس يا كتكتوت ، احنا بس خايفين عليه ، عايزين نعرف هو بس ناوي على إيه

- هو أنا ولي أمره ، أنا مالي أنا هو بيعمل إيه ، وبعدين لما تشوفوه ابقوا إسألوه
- اهدا بس واقعد ، رن عليه كده شوفه فين

أخرج "علاء" هاتفه وطلب رقم "فادي" وجاءه الرد سريعاً فرد قائلاً :

- خلاص احنا جوه ، تعالي بسرعة

أغلق الهاتف في وسط تساؤلات من الجميع فقال :

- هو داخل علينا دلوقتي ، ابقوا اسألوه لما يجي

وما هي إلا ثواني حتى ظهر شبح "فادي" من بعيد وهو يلوح لهم فـاقترب منهم مُتحياً :

- هاي

رد الجميع التحية ما عدا "علا" التي غادرت المكان بسرعة بعد أن ألقت نظرة غريبة على "فادي" – لم يفهم معناها طبعاً – فتسائل :

- مالها دي ؟

لم يصله رد من أحدٍ منهم فكرَّرَ السؤال :

- فيه إيه ، مالكم .... ساكتين ليه كده ، ومالها دي ضاربة بوز ليه كده

قالت "هنا" :

- أصلها عرفت عن موضوع البنت اللي انت ماشي معاها اليومين دول
- طب وهي مالها ومال الموضوع ده

وقف "تامر" واقترب منه قائلاً :

- متستعبطش يا "فادي" انت عارف إنها بتحبك
- هو أنا وعدتها بحاجة وخليت بيها لا سـمح الله ، ولا كنـت عشـمتها بحاجة ، احنا متفقين من الأول إننا صحاب وبس ، مليش دعـوة إذا كانت هي حست بحاجة غير كده

تدخلت "هنا" قائلة :

- طب سيبنا من "علا" دلوقتي ، مين البت اللي بتمشي معاها دي

ظهرت علامات الغضب على وجهه وقال :

- انتوا عرفتوا منين البنت دي

ضحكت "هنا" بصوت عالي وقالت :

- عرفنا منين !! انت نايم على ودانك يا عم ، ده مفيش حد في الجامعة إلا وعارف حكايتك انت والمحروسة إياها ، انت تصوم تصوم وتفطر على دي ، سيرتك على كل لسان ، الناس كلها بتقول إن البنت دي لفتك كده ، ووقعتك في حبها ، بقى تسيب "علا" بنت الحسب والنسب ومعاك بقالها فترة ومستحملاك من زمان وتروح لواحدة زي دي ، صحيح رجالة عنيكم فارغة

وغادرت "هنا" المكان قائلة :

- سلام يا بتاع "فرحة"

ضحك "فادي" فاقترب منه "علاء" قائلاً :

- الموضوع كده خد أكبر من حقه ، كفاية البنت دي اللي جابتلنا الكلام ، انت حبيتها بجد ولا إيه

تدخل "تامر" في الحوار قائلاً :

- ما تفهموني يا جدعان فيه إيه ، من امتا واحنا بنخبي على بعض

قال "فادي" :

- متشغلش بالك يا "تامر" ده موضوع تافه كده

وقف "تامر" قائلاً :

- خلاص أسيبكم عشان تكملوا حكايتكم مع بعض مدام مش عايزين تحكولي

أمسك "علاء" به من يده وأجلسه قائلاً :

- يا عم اقعد ، بلاش شغل العيال الصغيرين ده ، احنـا مـش عـايزين نقولك عشان الموضوع تافه بالنسبالك ، وهتعملنا فيه صاحب القـيم والمبادئ ، وانت عارف احنا مفيناش دماغ لكلامك ده

قال "تامر":

- طب وهي إيه حكايتها البنت دي

رد "علاء" قائلاً :

- اقعد بس وانت تفهم كل حاجة

ثم اتجه بالحديث إلى "فادي" قائلاً :

- بص يا "فيدو" ، البنت دي خدت أكتر من حقها كفاياها بقى كـده ، ولو على البنات أنا هجيبلك بنت النهارده ملهاش حل

وقف "فادي" غاضباً :

- لا .... أنا مينفعش أبقى عايز حاجة وماخدهاش ، وع العموم فاضل ع الحلو تكة ، البنت جاية معايا أوي ، وبقت معايـا زي السـكينة في الحلاوة

قال "تامر" متسائلاً :

- مين البنت دي وإيه حكايتها ، وهي مهمة أوي كده

تجاهل "فادي" كلامه وقال :

- أنا عايزك يا واد "علاء" تفكرلي في حاجة كده أخليهـا تيجـي الشـقة بيها ، البت استوت على الآخر ، وأنـا بصـــراحة جيبـت آخـري مـن الموضوع ده وزهقت

قال "علاء" بخبث بعد ضحكة مستفزة :

- إيه خايف تحبها بجد ولا إيه
- يا عم اتنيل أحب إيه وبتاع إيه ، دي واحدة كل همها حب ورومانسية وكلام فاضي من ده ، وأنا مجاريها بس لحد ما أعمل اللي في دماغي

رن هاتف "فادي" فأجاب بسرعة :

- حبيبة قلبي اللي واحشاني ..... أيوه بقى ... ما انتي بتعرفي تقـولي كلام حلو امال كان مالك .... لا أنا في مشوار كده وهروح ... حـاضر هكلمك لما أروح ... باي يا بيبي

أغلق "فادي" الهاتف في وسط نظرات الدهشة منهما فقال "علاء" :

- "فيدو" بنفسه بيقول بيبي ، انت كده تتحسد ، طب ما دام الحكايـة فيها بيبي ، طب ما كده يبقى الطرح استوى وآن الأوان نقطفه
- اهدى بس الموضوع ده عايز تكتيك من نوع تـاني ، بـس الموضـوع يستوي في دماغي وهقولك هنعمل إيه
- بقيت تخطط لوحدك يا صاحبي وده عيب
- لا والله .... يا واد ده أنا الأستاذ ... بس أنا كنت سايبكم تاكلوا عيش

كان "تامر" يتابع حديثهما في صمت وتركيز علَّه يفهـم شـيئاً ولكـن دون جدوى ، كان يشعر بأن الأمر خطير وأن صديقيه لا ينويان الخير وأن هناك ضحية لا يعلم من هي؟ أو أين مكانها ؟ أو ما ينويان فعله فيها ، كان جالساً أمامهما يفكر ماذا يفعل ؟ أو كيف سيصل إليها ، شعر بمسئولية تجاه هذه الفتاة لا يلعم لماذا ؟ ولكنه قرر أن يحاول أن ينقذها منهما ربما يستطيع !

وقف بغتةً وقال :

- أنا همشي يا جماعة أنا زهقت

رد "علاء" :

- مش هتروح معانا الشقة
- لا مش رايح ، مليش نفس

وانطلق "تامر" تاركاً المكان وخلفه العديد من التساؤلات التي لا إجابة لها ، أخرج هاتفه وطلب رقم ما وتكلَّم :

- أيوه يا "علا" انتي فين ، عايز أقابلك ضروري .... لا مينفعش يتأجل لبكرة .... اتصرفي يا "علا" قولي أي حاجة قولي رايحة لصاحبتك .... ماشي هستناكي في الكافيه اللي قعدنا فيه المرة الـلي فاتـت ... أوك ... باي

ركب سيارته بسرعة وانطلق حيث المكان الذي اتفق عليه في مكالمته ، وصـل المكان وجلس فيه وما هي إلا ربع ساعة حتى لحقت به "علا" وجلست أمامه وعلامات الدهشة تكسو وجهها ثم قالت :

- أديني جيت أهو يا سيدي ، مالك فيك إيه

اعتدل في جلسته واستجمع كلماته ثم قال :

- أنا مش مرتاح لي بيحصل ده
- إيه هو اللي بيحصل بالظبط
- البنت اللي بيتكلموا عليها دي ، انتي تعرفيها
- لأ ... وأنا مالي بالموضوع ده من أساسه

نظر إليها نظرة عدم تصديق فقالت مؤكدة :

- آه وأنا مالي .... هو حر يعمل اللي هو عايزه
- هو حر لما يكون الموضوع يخصه ، لكـن الموضـوع يخـص واحـدة مظلومـة ، أيـنعم احنـا منعرفهـاش ولا عمرنـا شـفناها بـس لازم نساعدها ، "فادي" مش ناوي على نية كويسة للبت دي ، يا "علا" أنا اللي صعبان عليا البنـت الـلي بيتكلمـوا عليهـا دي ، شـكلها غلبانـة ومتستاهلش

ضحكت "علا" قائلة :

- مين اللي بيتكلم ده ، غريبة اوي ، انت مش معاهم في كل حاجة كـانوا بيعملوها ، انت فاكر إني معرفش حاجة عن البلاوي اللي بتعملوهـا

مع بعض ولا ناسي إني عارفة موضوع الشقة الـلي بتروحوهـا دي ، اللي كل يوم بتجيبوا فيها واحدة شمال زيكم

- قولتلك قبل كده ميت مرة أنا بطلت أروح الشقة دي ، ومش هروحها تاني ، أنا زهقت من كل اللي كنا فيـه ، أنـا اتغـيرت يـا "عـلا" والله اتغيرت ، عشان خاطرك انتي
- قول كده بقى ، قولي انت جايبني على ملا وشي عشـان تكلمنـي عـن نفسك

نهضت "علا" تنوي الانصراف فأوقفها قائلاً :

- أبداً والله أنا جايلك بخصوص "فادي"
- وأنا مالي ومال سي "فادي" بتاعك ده

كانت النادلة قد اقتربت تسألهما عما يطلبون ، ولكن النادلة عندما سـمعت اسم "فادي" تسمرت في مكانها – لقد كانت "فرحة" – وقفت لا تدري ماذا تقول ؟ فلاحظ "تامر" وجودها فقال لها :

- نعم ؟؟ فيه حاجة ، انتي واقفة ليه كده

استجمعت قواها ثم قالت :

- أنا آسفة يا فندم ، بس أنا كنت جاية أشـوف طلبـاتكم إيـه لقيـتكم بتزعقوا فمعرفتش أتكلم
- هاتي اتنين لمون بسرعة
- تحت أمرك يا فندم

انصرفت "فرحة " بسرعة ، كانت تود أن تترك أذنيها معهما تسمعهما مـاذا يقولان ؟ أحقاً ما سمعته أذنيها ، إنهما يتحدثان عن "فادي" هل ينويان لـه الشر ؟ وهل "فادي" الذي يقصدون هو "فادي" حبيبها أم شخص غيره ؟ كانت المسكينة لا تعلم أن الشر هو ما ينتويه "فادي" لها .

بسرعة البرق أحضرت الليمون وسارت بخطا بطيئة علها تسمع شـيئاً مـن حوراهما اقتربت ثم اقتربت قليلاً واستطاعت فسمعت "تامر" يقول :

- يا "علا" أنا والله كلمتك عشان حسيت إنك زيي مش ممكن هتقـبلي إن فيه حد مظلوم ممكن يتأذي من غير ذنب
- وأنا مالي أنا يا "تامر" ، أنا مليش دعوة ، أرجوك أنا فيا اللي مكفيني ، ومش ناقصة وجع دماغ ، إيه المطلوب مني
- أنا عايزك تساعديني نوصل للبنت اللي بيعرفها "فادي" دي ونحذرها منه ، "فادي" دماغه فيهـا حاجـة مـش كويسـة للبنـت دي ، وأنـا حاسس ان البنت غلبانة ومش حمل هـزار "فـادي" ولا اسـتهتاره ، النهارده بعد ما مشيتوا كان بيقول لـ"علاء" إنه بيجاريها بس لحـد ما ياخد اللي هو عايزه

انتبه الاثنان على صوت صينية ترتطم بالأرض ، لم تتمالك "فرحة" نفسـها عندما سمعت ما يقال ، مَن يريد بها السوء ؟ ، كيف تصدق ذلك ، و"فادي" كل يوم كان يثبت لها أنه تغير للأفضل ، ليس هذا الشخص الذي يتحـدثون عنه ، ولكنهم أصدقائه هم أدرى به منها ، والأكيد أن ما يقولونه هو الأصدق ، ولكن لماذا يفعل معها كل ذلك ؟ على الرغم من كل ما شـعرت بـه في الأيـام السابقة كان في داخلها شعور مخيف منه ، كانت دائماً تحدث نفسها أن الذي هي فيه ما هي إلا أحلام لكنها لم تكن تتوقع أنها ستنتهي بكوابيس .

تركت الموقف برمته وذهبت إلى حجرتها وقدماها لا تحملها ، لم تسـتطع أن تمنع دموعها هذه المرة من النزول بحرارة ، كانت لا تعرف لماذا تبكي؟ هي لم تعرف الموضوع الذي كانوا يتحدثون عنه ، كانت تحاول أن تقنع نفسها أن الموضوع لا يخصها ، ربما مع فتاة أخرى غيرها ، ربما شخص آخر ، لكن لا ... هي سمعت بأذنيها الكلام ، من غيرها تصاحب "فادي" ؟ من غيرها تسير معه في الجامعة ؟ من غيرها تهاتفه طيلة اليوم حتى تخلد إلى سريرها ، حتى

تغط في نومها ؟ من غيرها التي سمحت لقلبها أن يحلم حلماً ليس من حقه ؟ من غيرها التي كانت تحلم بأن تحيا حياةً غير حياتها وظروفاً غير ظروفها ؟ من غيرها التي تخلَّت عن وصية والدها وسلَّمت قلبها ليد شـــخص معـــروف باستهتاره وجبروته ؟ من غيرها التي سمحت له أن يقتحم حياتها ويُـدّنِس طهارتها ؟ .

دخلت عليها "مايسة" لتفهم منها ما حدث ، فمسحت دموعها بسرعة وبمجرد أن رأتها ، ثم ألقت بنفسها في حضنها وأخذت تبكي بطريقة هيستيرية ، ربتت "مايسة" على كتفها بحب ، لا تدري ماذا تفعل ؟ ولكنها شعرت بأن "فرحة" بحاجة لمن يربت على كتفها ، بحاجة لحضن ينتشلها مما هي فيه ، كانت لا تعلم ما هي فيه ، ولكنها أنوثتها أخبرتها أنها بحاجة إليها ليس كزميلتها بل كأمها ، قالت لها :

- متخافيش يا "فرحة" أنا جمبك ومش هسيبك ، متخافيش يا حبيبتي ... متخافيش

ردت "فرحة" بكلمات لم تتبينها "مايسة"من شدة بكائها وشهقاتها المتوالية :

- أنا عايزة بابا ، عايزة بابا ... انت فين يا بابا ... فييين

حضنتها "مايسة" مرة أخرى ، لأول مرة تشعر بحب أخوي نحوها ، شعرت أنها مسئولة منها ثم قالت لها بحب :

- اهدي يا ماما ، اهدي بس ، واحكيلي اللي حصل وأنا هساعدك ودينـــي وما أعبد اللي ما جيبتلك حقك لأحلق شعري

زادت شهقات "فرحة" مرة أخرى وقالت :

- طلع خاين يا "مايسة" بيلعب بيا ، كان بيتسلى بعد ما طلعني سابع سما ، نزل بيا سابع أرض ، هو أنا ليه بيحصل فيا كـل ده ، اشـمعنا أنا اخترني من بين كل البنات

ربتت "مايسة" على كتفها بقلة حيلة وقالت :

- تعالي لما ناخد إذن من المدير وأروحك ، اقعدي هنا أنا هـروح للمـدير أستأذن منه وأرجعلك بسرعة

انطلقت "مايسة" بعدما أجلستها على أقرب مقعد ، وذهبت إلى المدير وأقنعته أن ما حدث سببه نوبة صداع ودوخة أصابت "فرحة" وهي في عملها أدت إلى سقوط ما تحمله ، أذن لهما المدير بالخروج .

أوصلتها "مايسة" منزلها وطرقت باب المنزل ففتحت لهما الوالـدة وعنـدما رأت منظر ابنتها وفلذة كبدها صرخت بعلو صوتها ولكن "مايسة" طمأنتها وقصت لها نفس القصة التي قصتها على مديرها وابتلعتها الأم كما ابتلعهـا المدير سابقاً .

أدخلتها الحجرة وأرقدتها على سريرها ، وغطتها وطمأنت والدتها مرة أخرى واستأذنت في الخروج لأن الوقت قد تأخر ، شكرتها الأم على صنيعها وودعتها على باب الشقة ، وعادت إلى حجرة "فرحة" بقلب يملؤه الحـزن والخضـة ، وعندما وصلت إليها وجدتها تنظر إلى سقف الحجـرة دون أن يتحـرك لهـا ساكن فجلست بجوارها ومررت يدها بين خصلات شعرها وبعد ثواني مـن الصمت قالت :

- إيه اللي صابك يا بنتي ، عين وصابتك ، خلاص انـت مـش هتروحـي الشغل ده تاني ، من النهارده كفاية عليكي جامعتك ، وإذا كان عـلى مصاريف البيت واخواتك أنا هتصرف

نظرت إليها "فرحة" ولم تتكلم وعمَّ الصمت مرة أخرى ، ولم يقطعه إلا رنين هاتفها ، نظرت إلى الشاشة فوجدت المتصل "فادي" ارتعشت يدها لم تدري ماذا تفعل ؟ هل تجيبه وتواجهها بكل ما سمعته ؟ ولكن ماذا سيكون رده ؟ هل سّيُكّذِّب كل ما قيل ؟ هل تتركه يرن ولا ترد عليه ؟ كان الحل الأخير هو الأقرب لعقلها ، من اليوم قررت أن تقطع كل علاقاتها به ، حتى ولـو كـان

مظلوماً ، يكفي كل ما حدث ، هي تعرف من البداية أن هذا الحب ليس متكافئاً من جميع الجهات ، لا هي أهلاً له ولا هو أهلاً لها ، هو صاحب الحسب والنسب - ابن الأغنياء - الذي عاش حياته مرفهاً ، كيف له أن يتزوج من بنت البائعة ، من اليتميمة الفقيرة التي لا تملك من حطام الدنيا هي ووالدتها وأخوتها إلا قوت يومها ، وإن كان هو يريدها ويحبها وفعلاً يريد أن يتزوجها هل أهله سيوافقونه على ذلك ؟ هل سيسمحون له أن يخيب رجاء الأسرة ، كانت النهاية محتومة ، كما في معظم الأفلام والمسلسلات ، لم تكن أن تتوقع يوماً أن تكون هي بطلة قصة من تلك القصص المشهورة والمكررة في الأفلام والمسلسلات ، ولكن النهاية لن تكون في صالحها في أي حال من الأحوال ، لن تكون سعيدة بالمرة ، الجرح الآن بسيط في أوله ، سيندمل بسرعة ، ما هي إلا أيام وستنسى ما حدث برمته ، أيام ولن سيكون لـ"فادي" وجوداً في حياتها حتى إن كانت تحبه ، لكن العقل يقول لابد أن يموت هذا الحب ، والأجدر في القول أن هذا الحب كان لا ينبغي أن يوجد من الأساس ، ولكنها غلطة وستتصلح قريباً .

علا صوت رنين الهاتف مرة أخرى فنظرت إلى الهاتف فوجدته هو مرة أخرى ، ضغطت على زر الإغلاق وأغلقت الهاتف وألقت به جانبها .

كانت الأم تراقبها وتراقب تلك الأفكار التي تدور في رأسها ولكنها لا تفهم منها شيئاً ، فقط كانت تشعر أن ابنتها الغالية وأول فرحة قلبها في خطر ، خطر يدق على قلبها بشدة ، لم تعرف كيف تتصرف ولا ماذا تفعل أو ماذا تقول لها ؟ لا تعرف كيف تواسيها ؟ أو بالأحرى كيف تواسيها على أي شيء لا تعلم ماهيته ؟

تنهدت "فرحة" تنهيدة تحمل كل ما في الدنيا من ألم وحزن ، ليس سهلاً على أي فتاة أن تُجرح على يد أول مَن دق له قلبها ، ليس سهلاً عليها أن تنسى حباً انتشلها من دوامة أحزانها ، أن تنسى وقتاً مرَّ عليها جعلها تشعر بأن

حياتها ما زال فيها الكثير ، كيف من بين يوم وليلة ينقلب الحـال ، ويكـون الشخص الذي فتحت له قلبها وامتلكه والذي كان أحب إليها من نفسها الآن أكثر شخص تكرهه ، لماذا قرر أن يلعب بها تلك اللعبة التي كسـرت قلبها ، قلبها الذي لم يعرف الحب إلا عندما رأته عيناها ، قلبها الذي سـمح لـه أن يدخله ويعبث به كيف يشاء ، ولكنها لابد أن تكون أقوى من ذلك ، لابـد أن تنهض وتواجه حياتها وتطرد منها كل من يعرقلها ، لن تسامح نفسها عـلى أنها تخلت عن وصية أبيها ، من الآن لن تفكر إلا في أخوتها التـي أصـبحت عائلهم الوحيد بعد وفاة والدها .

غطت في نوم عميق وكأنها تهرب من ذلك الواقع المر الأليم ، لم تشعر وهـي تفتح عينها أن اليوم الثاني قد أوشك على الرحيل ، نظرت إلى ساعة الحـائط فوجدتها الخامسة والنصف مساءاً ، ظنت للوهلة الأولى أنها الخامسة والنصف صباحاً ولكن الفجعة عندما أخبرتها والدتها أن المغرب أوشـك عـلى الآذان ، نهضت مفزوعة من سريرها فأقعدتها والدتها قائلة :

- اقعدي يا بتي أنا مرضتش أصحيكي ، قولت أسيبك تريحـي شـويا ، يعني هو الشغل هيطير ، وبعدين لـو تسـمعي كلامـي متروحـيش الشغل ده تاني ، انتي ضعفانة وعايزة اهتمام

تنهدت "فرحة" وقالت :

- يا ماما بتقولي إيه بس ، طب واخواتي دول أعمل فـيهم إيـه ، انتـي نسيتي وصية المرحوم بابا
- لا منستش يا بتي منستش ، بس أنا مش عاجبني حالك بقالـك فـترة كده ، وحاسة إنك متغيرة ، وكل ده وانتي مش بتحكيلي حاجـة ، وده غلط ، لو مكنتيش هتحكيلي أنا هتحكي لمين ؟ ، وبعدين أنا المفروض إني أزعل منك عشان انتي بتخبي عليا

نظرت إليها "فرحة" بدهشة فأكملت الأم :

- متستغربيش ، مش الست أم كلثوم قالت ، اللي يحب يبان ف عنيــه ، وانتي بان عليكي وعرفت من أول يوم ، بس قولــت أســيبك تجربــي عشان كنت واثقة فيكي وكنت واثقة إنك مش هتعملي حاجــة غلــط ، يعز عليا يا بتي أول مرة قلبك يحب يتكسر بالشكل ده

كانت الأم تتكلم و"فرحة" لا تفعل شيئاً سوى أنها تندهش ، كيــف عرفــت والدتها بكل القصة بهذه الطريقة ؟ كيف كانت تشعر بهــا بهــذا الطريقــة الغريبة ؟ كيف شعرت بها ولماذا لم تتحــدث معهــا في ذلــك ؟ لاحظــت الأم شرودها فقالت لها :

- بصي يا بتي ، مش صح إننا نجرب كــل حاجــة حاجــة ، بيقولــوا في الأمثال مين خاف سلم ، مش صح إننا ندخل بسدرنا في موضوع مش عارفين أخرته إيه ... مش كل واحد قالنا كلمة حلوة يبقى معجب بينا ونفتحله قلبنا

قالت "فرحة" :

- يا ماما الموضوع كله ...

قاطعتها الام قائلة :

- مش عايزة أعرف الموضوع إيه ، كل اللي بطلبه منــك ، إنــك تاخــدي بالك من نفسك ، ومتفتحتيش ده .....

وأشارت بيدها على قلبها وقالت :

- متفتحيش ده غير للي يستاهله ، وبالحلال ، الحــب الــلي بنشــوفه في الأفلام والمسلسلات ده ، نتفرج عليه ماشي ، نعجب بيه مــاشي ، لكــن نعيشه لا ، أبوكي لو كان عايش وعرف اللي حصــل ده كــان هيزعــل منك أوي .

دون أن تدري وجدت "فرحة" عينيها تجودا بدموع غزيرة مسحتها الأم بحب فقالت "فرحة" :

- حقك عليا يا ست الكل

احتضنتها والدتها بشدة وقالت :

- أنا هقوم أحضرلك الأكل

انصرفت الأم تاركة خلفها بركان ثائر داخل الحجرة .

تذكرت هاتفها المغلق فبحثت عنه ووجدته أخيراً ثم فتحته لتجد وابلاً من الرسائل النصية والمكالمات الفائتة التي لم ترد عليها ، كان من بينها هذه المكالمات مكالمات منه ، تنهدت بحزن وقبل أن تنتهي من تنهيدتها وجدته يرن مجدداً ، فانتظرت حتى انتهت الرنة ووضعت رقمه في قائمة المحظورين حتى لا يزعجها مرة أخرى ، وبعد قليل جاءتها مكالمة أخرى من صديقتها "مايسة" فأجابت بسرعة :

- أيوه يا "مايسة"
- عاملة إيه دلوقتي
- أنا لسه صاحية معرفش ازاي
- ألف سلامة عليكي ، المهم ، البيه جه من شويا وسأل عليكي ، قولتله إنك مش جاية النهارده

انخلع قلب "فرحة" عند سماعها تلك الكلمات فقالت لها :

- لو سأل عليا تاني قوليله مش موجودة ، قوليله كمان مش عايزة تشوفك أو تعرفك تاني
- مينفعش كده لازم تقابليه وتقوليله كده بنفسك ، وأنا هقعد معاكي أفهمك تقولي إيه بالظبط
- ماشي يا حبيبتي ، أنا مش عارفة أقولك إيه ، ربنا يخليكي ليا
- متقوليش كده يا عبيطة ، انتي زي أختي ولازم أخاف عليكي ، هسيبك أنا عشان المدير بينده عليا
- ماشي يا قمر ، أشوفك على خير

نهضت "فرحة" من سريرها وتناولت بعض لقيمات فقط لـترضي والـدتها ولتُنهي نقاش حتماً هي ستخسره هذه المرة ، وجلست في حجرتها وفتحت أحد كتبها ولكنها فشلت ، فشلت في أن تذاكر ، فشلت في أن تنـسي ، هـي ليسـت جهاز بأزرار حتى تستطيع في يوم وليلة أن تتغير وتنسى ما حدث ، بدون أن تدري وجدت دموعها تنزل بغزارة ، قلبها يصرخ غير مصدقاً ما حدث ولكن عقلها يسترجع كلمات صديقيه عنها ، وأنه لا ينوي لها الخير ، قلبها يـصرخ بأنه يحبه ، يريده ، يحتاجه ، هو شريانه الخامس الذي سيموت من دونـه ، سيعيش بلا حياة ، لمن ينبض بعد ذلك إلا لم يكن لـ "فـادي" أول بختهـا ، وأول من تحرك له وشعر به .

المدة التي عَرَفَته فيها كانت صغيرة ولكن استطاع بأفعاله أن يمتلـك قلبهـا وحياتها وكل ما فيها ، استطاع أن يحتل قلبها وكأنه اشتراه بعقـد ملكيـة ، ورفض أن يخرج من أملاكه التي امتلكها بوضع اليد .

كانت تعلم أن نسيانه سيكون صعباً ولكنها مصرة أن تنساه حتى وإن كان ما سمعته في المطعم مجرد أوهام أو كلام ليس له أي أساس من الصحة ، ولكن ربما يكون صحيحًا ولو بنسبة واحد بالمائة فالأنسب الآن لها هو إنهاء هـذا الحوار .

اتخذت القرار ولا رجعة فيه ، ستنسى "فادي" وكأنه لم يوجد من الأساس ، نعم ستنساه وتنسى تلك الأيام ، الأيام التي شعرت فيها بأنوثتها شعرت فيها بأنها من البشر ، ومن حقها أن تفرح ، ومن حق قلبها أن يدق ، ومن حقه أن يقول أنه يحب ، تلك الأيام التي كانت تعرف بأنها لن تدوم طويلاً ولكن لـم تكن تعرف أنه ستنتهي بهذه السرعة وأنها ستنتهي بجرح سـتحمله طيلـة حياتها ، ولكنه سيندمل يوماً ما ، و لن يكون له أثـر ، هكـذا كانـت تقـول لنفسها .

تعمَّدت أن تغيب فترة عن العمل بحجة أنها متعبة وتحتاج لقليل من الراحة ، كانت تتصل بـ"مايسة" لتخبرها آخر الأخبار ، فأخبرتها أنه يأتي يومياً يسأل عليها وأنها لم تقول له شيئاً غير أنها متعبة ولن تأتي هذه الأيام .

مكثت "فرحة" في منزلها أربعة أيام ، وبعدها قررت أنها ستذهب وتكمل حياتها ، ولكن كان أقصى ما تخافه المواجهة ، إذا واجهته ماذا ستقول له ؟ هل تواجهه بما سمعته أم ستخبره أن قصتهما انتهت وبدون أن تبدي أي أسباب ، استحسنت الرأي الأخير فهي في غنى عن حوارات ستدخلها إن واجهته ، فالحل الأمثل (قطمه أحسن من نحته) كما يقولون في الأمثال .

في اليوم الخامس ذهبت إلى الجامعة وحمدت الله أن اليوم قد مرَّ بسلام ولكن في آخره قابلتها صديقتها "أسماء" و"سها" وأخبراها أن "فادي" قد سألهما عليها وطلب منها عنوانها ولكنهما لم يعرفاه فحمدت الله أنهما لم يدلاه عليها وودعتهما إلى لقاء.

ذهبت إلى منزلها تضرب الأخماس في الأسداس خائفة ، فهو لن يتركها في حالها ولا ينوي ذلك ، إصراره وسؤاله عليها المتكرر ، كل ذلك يشوش على تفكيرها ، كانت تسأل عقلها لماذا لم يمل "فادي" من السؤال عليها ، لو كان يتسلى كما سمعت لكان أولى به أن يمل ، أن يفقد الأمل بها ، ولكن الموضوع قد انتهى بالنسبة لها ، حتى ولو أنه حقاً يريدها أو يحبها ، ولكن الأصول تقول أن يدخل المنزل من بابه ، لو حقاً يريدها يتقدم لخطبتها رسمياً وانتهى .

حان وقت ذهابها المطعم كانت تشعر بأنها ستقابله هناك ، ولكنها تشجعت وعزمت على تنفيذ ما انتوته ، دخلت المطعم متلفتة ، قابلتها "مايسة" بعبارات الترحيب والحمد لله على السلامة وأيضا زميلاتها ومديرها واستبدلت ملابسها وبدأت في عملها وما هي إلا وقت يسير حتى وجدته يدخل من باب

المطعم ، تعمدت أن تتجاهله ودخلت غرفة المطبخ ، وجلـس هـو عـلى أحـد الأماكن القريبة من المطبخ .

دخلت "فرحة" المطبخ وهي تتصبب عرقاً فسألتها "مايسة"

- مالك يا بت في إيه ، تعبتي تاني ولا إيه

قالت وهي ترتعش :

- بره يا "مايسة" ، "فادي" بره
- طب وفيها إيه ، خليكي انتي أنا هطلعله

وخرجت "مايسة" لتوها لتقابل "فادي" تحدثت معه بصفة رسمية وقالت :

- اؤمر يا فندم

نظر إليها بطرف عينه ثم قال :

- ابعتيلي "فرحة"
- اؤمر يا فندم ، أنا و"فرحة" واحد ، هي مش فاضية دلـوقتي ، أقـدر أخدم حضرتك ف إيه

احمَّرَ وجهه وهو يقول :

- بقولك ابعتيلي "فرحة" بسرعة

انخلعت "مايسة" لطريقته فقالت :

- حاضر ، حاضر

كانت "فرحة" تراقب الموضوع من بعيد ، لتعرف ما سيجري وعندما عادت إليها "مايسة" سألتها باهتمام :

- قاللك إيه
- عايز يتكلم معاكي

انتفض قلبها بشدة ثم قالت :

- ماشي هتكلم معاه ، ويا أنا يا هو

همَّت بالانصراف فأوقفتها "مايسة" قائلة :

- اهدي ، كل حاجة بالعقل ، بلاش تهور

أومأت "فرحة" ثم قالت :

- متقلقيش

ذهبت إليه في خطا متثاقلة ، ووقفت أمامه ، وسألته بهدوء :

- اؤمر يا فندم

نظر إليها مندهشاً ثم قال :

- مالك يا "فرحة" إيه اللي حصل لده كله

تجاهلت كلاماته وقربت إليه (المنيو) وقالت :

- حضرتك مقولتش برضه عايز إيه

نظر إليها باستعطاف مصطنع ثم قال :

- عايزك انتي يا فرحة ، احنا كنا كويسن مع بعض ، إيه اللي جد

أوقفت دمعة نزلت بيدها وقالت :

- اللي عايزني يبقى بالحلال ، ورسمي وقدام الناس كلها

ظهرت على وجهه علامات الغضب وقال :

- لا بقى انتي اتجننتي ، فيه إيه ؟
- أرجوك يا أستاذ "فادي" ده مكان شغل ممكن متعليش صوتك
- انتي بتعملي ليه كده

لم ترد "فرحة" فقد كانت لا تدري ماذا تقول ؟ ولكنها تشجعت وقالت :

- أنا قولت كل اللي عندي ، أرجوك يا أستاذ "فادي" كفاية لحـد هنـا ، مفيش حل تاني ، أنا لا سمح الله مش بجبرك على حاجة ، بس لو زي ما بتقول عايزني فعلا يبقى زي ما قولت ، وأرجوك معنـديش كـلام تاني أقوله ، أرجوك سيبني في حالي

أخذت (المينو) من أمامه وقالت :

- واضح يا فندم إن اللي طلبته مش عندنا ، أنصـــحك تشـــوفلك مكـــان تاني هتلاقيه فيه كل اللي انت عايزه

وتركته بعدما أشعلت النار في صدره ، ليس حباً بل غلاً ، شعر بأنَّ تعبه الأيام السابقة ذهب هباءاً ، بعدما كان قاب قوسين أو أكثر من تنفيذ خطته .

ترك المطعم وهو يغلي ، اتصل بـــ"علاء" أن يلحق به بسرعة فنفذ الأمر ومـــا هي إلا بضع دقائق حتى وصل إليه "علاء" متسائلاً :

- إيه يا يسطا ، جايبني على ملا وشي كده

قال "فادي" وهو يقرض أظافره :

- بنت الكلب ضحكت عليا

ضحك "علاء" بشدة ثم لاحظ غضب صديقه فقال :

- ازاي ، احكيلي إيه اللي حصل
- فهمتني إنها بتحبني ، وبعدما ما فكرت إني وقعت في حبها ودبـــت في دباديبها ، قال إيه بتقولي لو عايزني يبقـــى بـــالحلال ، جيـــت ألعـــب عليها لعبت عليا بنت الأبالسة

لم يستطع "علاء" هذه المرة يكتم ضحكته ، ثم قال :

- وناوي تعمل إيه يا شبح
- مدام مش راضية تيجي بكيفها يبقى تيجي غصب عنها

اعتدل "علاء" في جلسته لخطورة ما سمعه فقال :

- لا اهدى يا معلم ، وواحدة واحدة كده فهمني ناوي على إيه

تنهد "فادي" ثم قال :

- هخطفها

ضحك "علاء" مرة أخرى قائلاً :

- لا حلوة ... حلوة النكتة دي
- أنا بتكلم بجد ، أنا هخطفها وأخد منها اللي أنا عايزه

- اهدى يا صاحبي ، احنا من امتا بنعمل حاجة زي كده ، وبعدين كده هتوسع مننا ، وممكن يبقى فيها سين وجيم
- انت ناسي أنا ابن مين ، متقلقش ، ثم أنا هرتبلها ترتيب ميخرش الميه ، أهم حاجة انت معايا
- معاك طبعا يسطا انت عارف ، بس كل حاجة بتمنها

نظر إليه باستغراب فأكمل "علاء" مصححاً :

- لا متفهمش غلط ، أنا عايز أدوق ولا انت هتاكـل حتـة الجـاتوه دي لوحدك

ضحك "فادي" بهيسترية من طريقة كلامه ثم قال :

- وماله تدوق يا صاحبي ، وأي حد نفسه يدوق ندوَّقـه ، "تـامر"لـو فاضي وعايز يدوق يجي ، عم "أبو أشرف" البواب لـو عـايز يجيـب "أشرف" ويشاركوا وماله ، "محسن" لو عايز يجي يجي
- لا يا عم "محسن" دايما بيجي متأخر

ضحك الاثنين بطريقة هيسترية

******

٢٣

مؤامرة قذرة

شعرت "فرحة" ببعض الراحة خصوصاً بعد هذا الحوار التي دار بينها وبينه ، أنهت يومها بنصف عقل ، حمدت الله أن انتهى يومها وودعـت "مايســة" وانصرفت عائدة إلى منزلها

في نفس الطريق وجدت سيارة تسير خلفها ببطء ، أسرعت في خطاها ولكـن السيارة سبقتها ووقفت أمامها وخرج منها شابان ونظرا إليها فقال أحدهما :

- إيه فاكرانا ولا نسيتينا

تذكرت أخيراً أنهما هما نفس الشابان اللذان اعترضا طريقها قبل ذلك وأنقذها منهما "فادي" لكن لم تكن تتوقع أن يظهرا مرة أخرى ، لم تنطـق بـــشيء فاقترب منها أحدهم قائلاً :

- طب هوريكي حاجة تفكرك بينا

فتح باب السيارة الخلفي فخرج منه "فادي" وهو يبتسم ، تنقلت ببصــرها بينهما ، لم تكن تصدق ما تراه ، أيعقل هذا ؟ ، "فادي" على صــلة بهــاذين

الشابين ، وهو الذي استأجرهما في المرة الأولى لكـي يعترضـا طريقهـا ، يـا لسخرية القدر ، الآن تَكَشَّفَت كل الحقائق ووضح كل شيء ، كل ما حدث لها خطة محكمة وضعها "فادي" ونفذها واستطاع أن يوقعها في شباكه ولكـن الحديث الذي دار بين أصدقائه هو الذي كشف لها خطته الخبيثة قالت له :

- أنا دلوقتي فهمت كل حاجة

هزَّ رأسه نافياً ثم قال :

- لأ لسه مش فاهمة
- طب ليه ؟؟؟ واشمعنا أنا ؟؟ أنا عملتلك إيه عشان تعمل فيا كده ؟
- عشان أنا عايز كده ، ولمـا أعـوز حاجـة ميـنفعش مـا أخـدهاش ، مينفعش ما تحصلش ، "فادي عزيز" لما يقول عايز مينفعش حاجـة في الدنيا كلها تقف قصاده
- أنا مش مصدقة اللي بسمعه ، انت جنس ملتك إيـه ، دخلـت حيـاتي ولخبطتها ، كل ده عشان بتلعب لعبة حقيرة زيك ، انـت أكيـد مـش بني آدم
- بس إيه رأيك فيها ، لعبة حلوة صح ؟؟
- لعبة قذرة من إنسان قذر جبان

ترك السيارة وهو يضحك بصوت عالي واقترب منها قائلاً :

- تعرفي إني في حياتي محدش شتمني غـيرك ، بـس أنـا اسـتحملت ، أصلهم بيقولوا لأجل الورد يتسقي العليق ولا إيه يا قمر

وضع يده على خدها فأبعدتها بسرعة وهي ترجع خطوتين للخلف ، وعلامات الرعب تكسو وجهها ثم قالت :

- انت عايز مني إيه

بحركة من فمه تدل على النفي وبابتسامة خبيثة قال لها :

- اخص عليكي ، بيقولوا عليكي ذكية ،شغلي دماغك شويا ، أنا عايزك انتي ، عايزك انتي وبس

أخرج لسانه يلعق به شفتيه في شهوة بطريقة أخافتها فتمالكت وقالت :

- ابعد عني ، حرام عليك ، مش كفاية اللي حصللي من تحت راسك

ضحك مرة أخرى قائلاً :

- لأ .... مش كفاية ... أنا بس اللي أقول كفاية ، أنا لسه مشبعتش منك ، اللعبة لسه مخلصتش ، أنا اللي شغلتها وأنا بس اللي أقول امتا تخلص ، ولا إيه ... تعالي معايا وهديكي اللي انتي عايزاه من جنيه لألف ، خلي بالك أنا أحلى واحدة عندي مش بدفعلها غير ورقة بميتين ، بس انتي تستاهلي برضه ، عشان انتي تعبتيني شويا

اقترب منها وحاول أن يمسك يدها فصرخت :

- أبعد عني وإلا هَصَوَّت وألم عليك الناس كلها
- هتيجي بالذوق ولا تيجي بالعافية ، خلينا حلوين كده ومتتعبناش عشان لسه ليلتنا طويلة

وفجأة ظهر صوت من الخلف يقول :

- فيه إيه يا واد انت وهو ياد ... ليه الوقفة دي

نظرت للخلف فوجدت شاباً يحمل مسدساً بيده ، لم تتبين ملامحه من شدة الظلام فهرعت إليه قائلة :

- إلحقني يا بيه ، عايزين يخطفوني

أمسك بها الشاب وجعلها خلف ظهره واتجه إليهم قائلاً :

- مش عيب عليكم يا شباب اللي انتوا بتعملوه ده

اتجه إليه "فادي" مهدداً :

- ملكش دعوة انت يا بابا ، عشان منزعلكش
- تزعل مين ياض ، ده أنا أدفنك هنا

شعرت "فرحة" ببعض الطمأنينة بوجود هذا الشاب ، على الرغم من صوته الذي بدا مألوفاً لها ولكن لم تتذكر أين سمعت ذلك الصوت الذي تكلم قائلاً :

- أي حد هيقرب منها هيبقى آخر يوم في عمره وأنا قولـت أهـو ، وقـد أعذر من أنذر
- طب ما تسيبها وتاخد عرقها
- أخد عرقها ، انتوا ازاي تقولوا كده
- طب هقولك حاجة حلوة ، تعالى معانا وخد نصيبك
- هتروحوا فين
- الشقة بتاعتنا ، شقة مجهزة من كله ، حشيش تلاقي ، خمرة تلاقي ، ستات هناخد المزة دي معانا
- انتوا ازاي بتتكلموا كده ، فين النخوة فين الرجولة ، فـين الشـقة دي يسطا

احتضنه "فادي" قائلاً :

- أيوه كده يا لول ، اتأخرت ليه كده يسطا

رد عليه بغمزة :

- عبال ما وضّبت الشقة يا كبير

كانت تمثيلية أخرى من "علاء" و"فادي" على "فرحة" أخرست لسانها عن النطق ، خلعت حذائها استعداداً للجري ولكن باغتها "فادي" بأن أمسكها من شعرها وأخرج من جيبه زجاجة صغيرة ورش بها على أنفها فغابت "فرحة" عن الوعي فحملها الأربعة وأدخلاها السيارة وانطلقت بها إلى الشقة .

لم تعرف كم من الوقت مرَّ عليها حين فتحت عينها ؟ وما هي إلا ثواني حتى انتبه عقلها وبدأت عينها تدور في المكان حتى تستوعب أين هي ، نظرت يمينها ويسارها ، تذكرت ما حدث لها قبل أن تغيب عن الوعي ، نظرت إلى جسدها

فوجدت نفسها عارية تمام تحت غطاء خفيف فـصرخت ألماً لا تعرف مـاذا حدث لها ؟ وعلي صوت صريخها دخل "فادي" قائلاً :

- إيه ست البنات ، كل ده نوم ، احنا خللنا بره ، وبعدين الرجالـة بـره مِتشَوِقين

جلس بجانبها فغطت نفسها بالملاءة وهي ترتعش رعباً وفزعاً ثم اقترب منها أكثر قائلاً :

- خايفة من إيه ، احنا لسه عملنا حاجة ، أنا بصـــراحة كنـت حـايش الرجالة عنك بالعافية ، بصراحة قولت أسيبك لما تصحي الأول عشان تشهدي معانا اللحظة التاريخية دي ، لحظة عبور خط البلوبيـف ... بلوبيف إيه بس ، والله مش فاكر اسمه إيه ، بس فيه عبور هيحصـل النهارده

كانت كل كلمة من كلماته تزيدها رعباً وفزعاً وانكماشاً في نفسها كانت تنظر إلى السماء ، تدعو ربها ولكن صوتها لا يجرؤ أن يخرج ، بدأت ترتعش أكثر وكأنها لامست سلك عاري من الكهرباء فاقترب منها أكثر ثم قال لها :

- اهدي بس يا كتكوتة ، أنا سمعت حد بيقول ، لـو معـرفتش تقـاوم يبقى تستمتع ، وانتـي كـده كـده هتتـاكلي النهـارده ، فاسـتمتعي أحسنلك ، ها يا أمورة جاهزة نبدأ المباراة ، ولا محتاجة تسخني الأول ، لو عايزة تسخني خدي وقتك احنا مش ناقصين يجيلك شد عضـل في نص الماتش ، واحنا محتاجينك احنا داخلين على كاس عـالم ، هـا جاهزة

لم ترد بأي شيء غير أن رعشتها زادت فأكمل :

- تمام ... السكوت علامة الرضا يبقى هنبدأ

ثم وضع اثنان من أصابعه في فمه وأطلق صفارة ، أتـى عـلى أثرهـا بـاقي الشباب ودخلوا وهما يصفقون ويضحكون وتبدوا عليهما آثار السكر وهـو يغنونون :

- ما تزوقيني يا ماما قوام يا ماما يـا مامـا ، ده عريـــسي هياخـدني بالسلامة يا ماما

ثم توجه أحدهم إلى جهاز التسجيل ووضع أحد الاقراص المرنة فيـه وعـلا صوت المزيكا ثم بدأ الجميع يرقص عليها فقال "علاء" :

- إيه يا كتكوتة مش هتشاركينا الرقصة دي

رد عليه "فادي" بسخرية :

- حتى عشان تبقى رقصة الوداع

ضحك الجميع وعلا صوت المغني : (وبحب الناس الرايقة اللي بتضحك عـلى طول ، أما العالم المدايقة أنا لأا مليش في دول)

يقولون من حسن الصنيع ألا نُرِي الحيوان الذبيح السكين التي سنذبحه بها حتى لا نزعجه ، وهؤلاء الحيوانات كانوا يرقصون ويهللون فـوق ذبيحـتهم وضحيتهم ، كانوا يدورون حولها ويقتربون منها ، منهم من يملسها بيده ثم يضع يده في فمه بشهوة ومنهم مَن يتمايل حتى يقبلها في يدها وكانت مع كل شخص يقترب منها تنتفض رعباً ، عقلها مُغَيَّب تماماً لا تدري أين هـو ، لا كلام يوصف شعورها الآن ، هي بالضبط كالمحكوم عليه بالإعدام ، وقد أتوا له بشيخ حتى يلقنه الشهادة ، أي شهادة هذه سيقدر أن ينطقها مَن يعلم أنه مجرد دقائق وستخرج روحه ، كذلك كانت "فرحة" تنتظر حتفها ، كانـت تتمنى أن تخرج روحها قبل أن ترى بنفسها أن جسدها العاري سيصير ملك لأربعة من الحيوانات البشرية .

انتهت الأغنية وانتهوا من رقصهم فجلسوا في دائرة حولها ، كانت شبه غائبة عن الوعي فقط تسمع أحدهم يقول :

- أنا عايز حتة من السدر

وآخر يقول :

- لا أنا بحب الورك أوي

وتسمع قهقهات عالية شريرة ، فجأة وجدت نفسها وكأنها تُقَطَع بسكين تالمة ، لم تشعر بشئ غير أن أحدهم يقبلها في كل أنحاء جسدها والآخر يمسك بها من قدمها والآخر يقبلها في فمها ، غابت عن الوعي ، غابت عـن الإدراك ، مـا فائدته الإدارك في تلك اللحظات ، ماذا تريد أن تدرك ، هل تريد أن تدرك أنها الآن تفقد عذريتها على يد هؤلاء الشباب ، تدرك أن حظها أوقعها في أيديهم ، أم تدرك أن الشخص الوحيد الذي امتلك قلبها هو أول من يفعل هذا ويستلذ وهو يتقاسم جسدها مع غيره ، هل تدرك أنها ربما لن تخرج من هذا المكان أبداً ، وإن خرجت أين ستذهب ، هل ستذهب إلى والدتها ، وإن حدث ماذا سـتقول لها ؟ ماذا ستقول لكل من يعرفها ، من سيصدقها ؟ من سيتعاطف معها ؟ كل هذه الأفكار تدور في رأسها ، كانت فكرة المقاومة مستبعدة تماماً ، تقاوم من وتقاوم كيف ؟

استسلمت تماماً لم يعد بها أي نفس لتقاوم ، تناوب الأربعة إغتصابها حتى قضوا وطرهم منها ، وتركوها تلملم ما تبقى من أشلائها ، بحثت عن ثيابها وهي تقوم وتقع ، تتمالك وتتحامل ثم تقع حتى ارتدت ثيابها واتجهت نحو الباب وعندما رأوها ضحكوا جميعا بانتصار ، وذهب إليها "فادي" قائلاً :

- صباحية مباركة يا عروسة

وأخرج من جيبه رزمة من النقود قائلاً :

- أنا قولتلك تعالي معايا وهديكي ألف جنيه ، بس احنا كنا أربعة عشان كده دول أربع تلاف جنيه ، شوفتي عدل أكتر من كده

ووضع لها النقود فوق رأسها كأنه يرمي بها فوق رقاصة ، حاولت أن تبحث في مآقيها عن دمعة تذرفها فلم تجد ، اتجهت نحو الباب فأوقفها قائلاً :

- استني يا ماما

نظرت إليه باستعطاف تستجدي منه بعض الرحمة ، يكفي كل ما فعله .

أخرج نفس الزجاجة ورشها مرة أخرى وحملها إلى السيارة وكذلك الأخرين معه وتركوها في المكان الذي اختطفوها منه .

****

٢٤

بلاغ رسمي

في منزل "فرحة" كانت الأم مع ابنتيها يجوبون الشقة ذهاباً وإياباً من الشباك إلى البلكونة ينتظرون قدوم الغائبة التي لم تعتـد أن تتـأخر إلى مثـل هـذه الساعة المتأخرة من الليل ، هاتفها مغلق ، وصديقتها "مايسة" قد أخبرتهم أن "فرحة" غادرت العمل في ميعادها .

كل هذه الشواهد كفيلة أن تخبر الجميع أن هناك أمراً ما حدث ليس بالجيد ، كانت الأم تضرب الأخماس في الأسداس ، لا تدري مـاذا تفعـل ؟ هـل تُبلـغ الشرطة ؟ هل تنزل لتبحث عنها في الأقسام والمستشـفيات ؟ لا تـدري مـاذا تفعل ؟ الدقائق تمر كالسنين وثلاثتهم في نارهم المتوهجـة ، وبعـد السـاعة الرابعة فجراً ، سمعوا خبطاً بالباب أسرعو إليـه ، وفتحـوا البـاب فوجـدوا "فرحة" بالخارج وبمجرد أن رأوها سقطت مغشياً عليها .

صرخت الأم من فجيعتها وحملت الأختان أختهما إلى حجرتها .

جلسوا على رأسها ، حاولوا إفاقتها بشتى الطرق ولكن فشلوا ، رشوا على وجهها الماء ، وضعوا على أنفها العطر ، حتى أنهم أتوا ببصلة وقربوها من أنفها ، كل الطرق بلا فائدة ، فلم يجدوا حلاً إلا أن يطلبوا سيارة الإسعاف وما هي إلا دقائق حتى وصلت الإسعاف وحمل رجالها "فرحة" على نقالة ، ونقلوها بسرعة إلى المستشفى ، وعلى صوت سيارة الإسعاف استيقظ "ربيع" جارهم وصديق والدهم المقرب وذهب معهم إلى المستشفى .

ظل الجميع أمام غرفة العمليات يترقبون خروج أي أحد من الداخل يطمئنهم عليها ، ولكن طال انتظارهم ، مرت الساعة والاثنان والثلاثة ولكن بلا جدوى ، وبعد أن أفرغوا ما في جعبتهم من الصبر فُتح الباب أخيراً ، وخرج منها طبيب يبدو عليه الإنهاك فهرع إليه الجميع سائلين فقال قبل أن يسأل أحدهم :

- الحمد لله كان فيه نزيف وقدرنا نوقفه ، بس فيه سؤال مهم

نظر الجميع إلى بعضهم ولم يرد أحد فقال الطبيب :

- هي الحالة كانت ليلة دُخلتها امبارح

نظر الجميع إلى بعضهم مرة أخرى ، ولم يجيب أحد فَتَفَهَّمَ الطبيب الأمر قائلاً :

- آه كده فهمت ، الحالة اللي جوه يا جماعة تعرضت لحالة اغتصاب حيوانية ، أدت إلى تَهَتُّك في المهبل والفرج ، وجدار الرحم ، أنا آسف مضطر أبلغ الشرطة .

لم تكن الام تصدق ما سمعته ، كل ما فعلته هي أن وضعت يدها على رأسها وجلست على الارض ، وهي تصرخ قائلة :

- كان مستخبيلنا فين ده يا ربي ، دي هي دي البنت اللي حيلتي ، اللهم لا اعتراض ، اللهم لا اعتراض

اقترب "ربيع" منها قائلاً :

- وحدي ربنا يا أم "فرحة" ، انتي ادعي بس ربنـا تقـوم بالسـلامة ، ادعيلها ، هي محتاجة دعوتك دلوقتي

نظرت الأم إلى أعلى وقالت بصوت عالي ربما يكون سمعه كل من في المستشفى :

- ياااااااارب

ثم اتكأت على الحائط وقالت :

- طب والفضيحة يا عم "ربيع" ، نرفع وشـنا في النـاس ازاي ، طـول عمرنا بنمشي جمب الحيط ولا أذينا حد ولا عملنا حاجة وحشة في حد ، ليه يحصل كل ده فينا ، ليه بس يارب ليه ، "فرحة" متستاهلش كل ده يارب

اقتربت الأختان واحتضنتا والدتهما بشدة وبدأوا في نوبة من البكاء .

بعد قليل جاء الطبيب مرة أخرى ليمر على الحالة وبعدما خرج ذهب الجميع فقالت الأم :

- هي عاملة إيه دلوقتي
- الحالة شبه مستقرة ، بس ادعوا الـ ٢٤ ساعة اللي جايين يعدوا عـلى خير ، كنت عايزك يا حجة انتي والحج في المكتب ضروري

أذعن الاثنان للأمر وتحركا خلف الطبيب ودخلا مكتبه وجلسا أمامه وبعـد قليل من الصمت المرعب قال الطبيب :

- مش عارف يا جماعة أبدا الموضوع منين ، بس الموضوع مش سهل

قال "ربيع" بأسى :

- قول يا ولدي ، هيسخطوك يا قرد هيعملوا إيه فيك ؟ قول يا ولدي

رجع الطبيب بظهره إلى الوراء وقال :

- أولاً الطريقة الوحشية اللي تم بيها الاعتداء على "فرحة" أدت إلى تهتك في جدار الرحم مما خلانا نضطر نشيله خالص ، يعني "فرحة" مش هينفع تخلف عيال بعد كده

صرخت الأم :

- يا كبد أمك يا بتي

تجاهل الطبيب حالة الأم وأكمل :

- الموضوع بلا شك هيأثر نفسيا عليها ، من كل الجهات

تسائل "ربيع" قائلاً :

- ازاي يا دكتور
- يعني ممكن نلاقيها فاقدة النطق مثلا ، مش عايز أسـبق الأحـداث ، بس الموضوع مش مطمئن بالمرة وده ثانياً ، ثالثاً وده الأهم أنا هبلـغ الشرطة عشان نجيب حقها بس لازم انتوا تقنعوها إنها تتكلم ، تقول مين الحيوان اللي عمل فيها كده ، أكيد هي تعرفه

قالت الأم بحزن شديد :

- يا ولدي أبوس أيدك احنا مش حمل الفضيحة والعار
- العار والفضيحة بجد إننا نسكت عـلى حيـوان زي ده ، ومياخـدش جزاؤه ، العار والفضيحة لما احنـا صـحاب الحـق نسـكت ونسـيب الاشكال دي من غير عقاب ، صدقوني لو اتكلمتـوا الـلي عمـل كـده ممكن يتعدم ويبقى عبرة ومثل لكل واحد مفكر إن بنات الناس لعبة
- اللي تشوفوا صح يا ولدي اعمله
- وهو كذلك ، أنا هبلغ بالحالة بس يارب "فرحة" تفوق عشان تعـرف تتكلم وتقول مين اللي عمل فيها كده ، أهم حاجة إنكم تقنعوها

انصرفت الأم و"ربيع" من عند الطبيب وعادوا إلى حيث تجلس الأختان أمام حجرة "فرحة" وعندما رأوا والدتهما هرعوا إليها يسألوها عن حال أخـتهم فطمأنتهم كاذبة .

*****

مرَّ يومين و"فرحة" لا حراك ولا جديد ، نفسٌ يدخل وآخر يخرج باستخدام الأجهزة وقلب يدق بمساعدة الأجهزة ، ووالدتها لم تفارقها لحظة ولم يغمض لها جفن وهي تدعو وتصلي وتبتهل حتى يُنجي الله ابنتها وفلذة كبدها بكل ما عرفت من أدعية ومن آيات قرآنية ومن ابتهالات وكأن باب السماء قـد كـان مفتوحاً في وقتها فتحرَّكت يد "فرحة" وفتحت عينهـا لتجـد والـدتها عـلى سجادتها وهي ساجدة وصوتها المختلط بدموعها يعلو ويهز أركان الحجرة بالدعاء والابتهال ، قالت "فرحة" بصوت واهن خرج منها بالكاد :

- ماما

اعتدلت الأم من جلستها لا تدري أهو حقاً صوت ابنتها أم أنها تتهيأ ذلك ولكن سرعان ما امتزجت دموعها بفرحتها عندما وجـدت "فرحـة" تنظـر إليهـا باحتياج فهرعت الأم إلى ابنتها وانهالت عليها بوابل من القبلات حتى غسلت وجه ابنتها بدموعها ثم قالت لها :

- حمد لله على سلامتك يا بنتي

حاولت "فرحة" أن تفتح فمها لترد ولكنها تذكرت ما حدث لهـا فأشـاحت وجهها خجلاً من والدتها ، لم تستطع أن تنظر في عينها ، فَهِمَت الأم ما بهـا فقالت :

- مش ذنبك يا بنتي ، عارفة إنه مش ذنبك ، ده ذنبي أنا وغلطتي أنا

نظرت "فرحة" إلى والدتها وعينها تنكر ما سمعته أذناها فأردفت الأم :

- أيوه غلطتي لما وافقتك عـلى إنـك تشـتغلي في وقـت متـأخر زي ده ، غلطتي أنا لما وافقتك على إنك تهلكـي نفسـك في الجامعـة والشـغل

وخليتك تتعاملي من ناس زي دول ، الغلط عندي أنا ، ســامحيني يــا بنتي أنا اللي عملت فيكي كده بشكل مش مباشر ، يا ريتني كنت مت ولا تصيبك حاجة زي دي

كانت مع كل كلمة تنزل دمعة من عين الاثنين تصدقها ، فيض من المشاعر ، خليط من مشاعر الحب والأسف والاعتذار والشوق والحنين ، قالت "فرحة" بعد أن قبَّلت يد والدتها :

- متقوليش كده يا ست الكل ، ألف بعد الشر عليكي

ودخل بعدها الطبيب بعدما سمع صوت الانذار وأمسك بيدها ونظر في ساعته يحسب نبضها وهو يقول :

- ألف حمد لله ع السلامة يا آنسة "فرحة" ، أنا لو منك أعمــل للحجــة دي تمثال ، أنا عمري ما شفت حد بيحب حد أوي كده .

ردت الأم بامتنان :

- دي حتة من قلبي يا دكتور

تحرّك الطبيب نحو بعض الأجهزة ليوقفها وهو يقول :

- أنا هكلم "سيف" باشا عشان يجي ياخد منك كلمتين

ردت "فرحة" بصوت واهن :

- "سيف" باشا مين ؟
- ده الظابط اللي ماسك القضية بتاعتك ، أنا بلغت بحالتك

انخلع قلب "فرحة" وقالت :

- بلغت بحالتي ، يعني إيه ؟
- يعني فيه محضر رسمي اتعمل بالحالة ، مكانش ينفع نســكت عــن حاجة زي دي ، وأنا اللي قولت إنك انتي متعلمة وهتتفهمي الموضوع ده أكتر من الحجة ، إذا كانت الحجة وافقت

ثم اقترب الطبيب منها قائلاً :

- آنسة "فرحة" لو كل واحد ليه حق سكت عليه ، هنبقـى عايشـين في غابة ، البلد دي فيها قانون ولازم يمشي ع الكل ، لازم تقـاومي لآخـر نفس فيكي ، لازم الكلب اللي عمل فيكي كده ياخد جزائه

لم تتمالك "فرحة" ولم تستطع أن تمنع دموعها ثم صرخت :

- أنهُ كلب فيهم يا دكتور ، عارف إحسـاس لمـا تبقـى فريسـة لأربـع حيوانات متوحشة وكل واحد فيهم بينهش في حتة منك ، إنـك تبقـى مش عارف تصرخ لأن محدش هيسـمعك ، لمـا يكـون الـلي قـدامك مستمتع بصوت أنينك ووجعك

تفهم الطبيب الأمر ثم قال :

- عشان كده لازم تمشي في الاجراءت القانوينة ولازم ياخـدوا جـزاءهم بالقانون
- تفتكر القانون هيعرف يجيب حقي
- طبعا وليه لأ ، القانون لازم ياخد مجراه

ابتسمت "فرحة" ابتسامة ساخرة ثم قالت :

- حضرتك عارف إن القانون مش هيجيب حاجة ، القانون مجراه فوق رقابنا احنا ، عمره ما هيقف جنبنا احنا ، هيقف جمبهم هما ، عشان هما الأقوى بقلوسهم ونفوذهم
- أنا مش مصدق اللي بسمعه منك ده ، ده كان زمان ، دلوقتي الوضـع اتغير
- ولا اتغير ولا حاجة يا دكتـور ، متهيألـك ، بلـدنا دي طـول عمرهـا هتفضل كده ومش هتتغير

وقف الطبيب واستأذن بالانصراف قائلاً :

- ع العموم أنا بلّغت إنك فوقتي وهما في الطريق عشان يسمعوا أقوالك ، بس ابقي فكري في الكلام اللي قولتلك عليه ، فكري عشـان خـاطر

أمك واخواتك ، فكري عشان خاطر كل واحدة معرضة إنها تبقى مكانك ، لو كل واحد ليه حق سكت عليه هندي للحيوانات دي فرصة إنها تفرد عضلاتها أكتر ، أرجوكي يا آنسة "فرحة" فكري تاني في الموضوع

ثم انصرف تاركاً لها أفكارها المُشَوَّشَة وحيرتها ، كانت لا تعلم ماذا تفعل؟ هل تخبر الضابط الذي سيسألها عن اسمه ؟ ، هل سيصدقونها ؟وإن صدقوها هل سيثبت الاتهام عليه ؟ ، أم أن والده سيخرجه منها بنفوذه وأمواله ، كان عقلها مشلولاً عن التفكير فانتشلتها والدتها من حالتها تلك قائلة :

- ناوية على إيه يا بنتي
- مش عارفة يا ماما ... مش عارفة

فـُتح باب الحجرة ودخلت أختيها مسرعتان واحتضنتاها مرددين عبارات الحمد لله ع السلامة ، وأيضاً دخل "ربيع" جارهم قائلاً :

- ألف حمد لله ع السلامة يا "فرحة" يا بنتي الدنيا كانت مضلمة من غيرك

ردت "فرحة" بامتنان :

- الله يسلمك يا عم "ربيع" ماما حكيتلي على اللي عملته معانا مش عارفة والله أشكرك ازاي
- تشكريني إيه يا بنتي بس ، أنا مهما عملت مش هَـوَّفِي نص جمايل المرحوم أبوكي ، أبوكي مكانش صاحبي بس ، كان أخويا وأكتر كمان ، وربنا يقدرني وأرد نص اللي عمله معايا

استأذن الحاج "ربيع" بالانصراف حتى يتابع مشاغله ، فأذن له الجميع شاكرين ممتنين .

ثم قالت الأم موجهة حديثها لابنتها الأصغر من "فرحة" :

- عملتي اللي قولتلك عليه يا بنتي

ردت الفتاة :

- عملت يا ماما ، بس كل البضاعة الـلي في المحـل مـش مكلمـة ٥٠٠٠ جنيه ، يعني عايزين ١٥ ألف جنيه كمان

ردت الأخت الثانية :

- أنا كنت محوشة ٥٠٠ جنيه في الحصالة بتاعتي

قالت الأم بعد تنهيدة طويلة :

- يدبرها المولى إن شاء الله

كان من السهل على "فرحة" أن تفهم أنهم يتحدثون عن مصاريف علاجها ، شعرت بأنها أصبحت عبئاً ثقيلاً وهماً كبيراً على أنفسهم فلم تتحـدث فقـط ظلت تنظر إلى السقف .

بعد دقائق من الصمت لم يقطعه إلا بعض طرقات على الباب تلاها انفراج فيه ليطل منها الطبيب بابتسامة قائلاً :

- معلش يا آنسة يا "فرحة" ، حضرة الضابط جاي كمان شويا عشان يستجوبك ، فكرتي في اللي قولتلك عليه

لم ترد "فرحة" فقالت الأم :

- بقولك إيه يا ابني ، هي "فرحة" هتخرج امتا من هنا

رد الطبيب :

- يومين تلاتة ، تستقر حالتها وتقدر تمشي بعدها على طول

قالت الأم بعدما وقفت واقتربت من الطبيب :

- أنا عارفة يا دكتور إن مينفعش "فرحة" تخرج غير لما نسـدد بـاقي مصاريف المستشفى

قاطعها الطبيب :

- مصاريف إيه ؟ ... مش انتوا دفعتوا بـاقي المصـاريف ، المستشـفى بلغتني إن المصاريف كلها ادفعت

رد الجميع باستفهام :

- اتدفعت !!!

وقالت الأم :

- مين اللي دفع المصاريف

وهنا دخل شاب من الباب قائلاً :

- أنا اللي دفعت المصاريف كلها

كان من السهل على "فرحة" أن تتذكر وجهه ، هو صاحب القنبلة التي فجرت حياتها وحوّلتها إلى جحيم وأوصلتها إلى ما هي فيه الآن ، هو ذلك الشاب الذي لا تعلم هل تشكره أم تعاقبه على فعلته ، ذلك الشاب الـذي كـان في المطعـم يتحدث عنها وعن "فادي" وما ينويه تجاهها .

إلتفت الجميع إليه فاقترب قائلاً :

- محدش فيكم يعرفني ومحدش شافني قبل كده ،غير الآنسة "فرحة" معرفش ذاكرتها هتسعفها إنهـا تفتكرنـي ولا لأ ، أنـا عرفـت الـلي حصل وناوي أقف جمبها لحد ما تاخد حقها من "فادي"

كان مجرد نطق اسمه ليس بالسهل على "فرحة"

علت الدهشة وجوه الجميع فلم يستطع أياً منهم أن ينطق فأكمل الشاب:

- أنا اسمي "تامر" صاحب "فادي" الأنتيم ، بس أنا زهقت منـه ومـن شكله ، أنا بعترف إني غلطت كتير بس متوصلش لي عملـه ده ، أنـا معاكي يا "فرحة" للآخر لحد ما تاخدي حقك منه

أراد الطبيب أن يطرق على الحديد وهو ساخن فقال :

- الله ينور عليك يا أستاذ "تامر" أنا عمال أقـنعهم بكـده وهمـا مـش راضيين ، عايزين يسكتوا على حقهم

اقترب "تامر" من "فرحة" قائلاً :

- لا مش صح أبداً ، لازم تقاومي لحد آخر نفس فيكي ، مش هقولك إن الموضوع سهل ، بس لازم تحاولي

بُرهة من الصمت قطعتها "فرحة" قائلة :

- ممكن أسألك سؤال بسيط

أومأ "تامر" فأردفت "فرحة" :

- انت إيه مصلحتك في كده ، وازاي بتقول إنك صاحبه وجاي تحرضني عليه ، وانت تعرفني منين عشان تدفعلي فلوس المستشفى

تنهد "تامر" لا يدري ما يقوله ولكنه استجمع شتات تفكيره ثم قال :

- أنا مهما قولت أكيد مش هتصدقي ، أنا حد بسيط على قدي زيـــي زي "فادي" بس مش بالظبط ، اتربيت على إن كل طلباتي مجابة وعمري ما كان ناقصني حاجة ، أبويا من وأنا صغير في الامـــارات وبيبعتلنـــا الفلوس اللي نطلبها ، كان طبيعي واحد زيي طلع من غـــير أب ومـــع وجود أم مستهترة كل هَمَّها الخـــروج والنـــوادي إنـــي ابقـــى كـــده ، اتعرفت على "فادي" لقيت كل حاجة معاه حلوة ، وأحلى حاجة فيـــه إني لما أبويا بطل يبعتلنا فلوس لقيته هو بيعمل معايا كل حاجة ، هو اللي عوَّضني عن الحرمان اللي شفته من أبويا ، كنا كـــل يـــوم نســـهر ونشرب ونحشش ونجيب بنات أشـــكال وألـــوان ، بـــس أنـــا زهقـــت ، زهقت من حياتي ، قولت لازم أتغير ولما حاولت أتغير هما منعـــوني ، بس قاومت لحد الآخر وفعلا قطعت كل علاقتي بيهم ، ولو فاكرة يـــا "فرحة" كلامي مع "علا" أني كنت بقول أني عايز أنقذك منه ، والله والله ما كنت أعرف إنك انتي ومعرفتش غير بعدين بالصدفة

تساءلت "فرحة" :

- مين "علا" دي ؟

ودت لو أنها لسانها لم ينطق هذا السؤال ، لم تكن تدري هذه غيرة أم حقد أم فضول ، رد "تامر" :

- واحدة من الشلة ... بتحب "فادي" بس هو مش بيحبهـا ، "فـادي" عمره ما حب ولا عنده قلب عشان يحب

بعد انتهاء تلك الكلمات سمع الجميع طرق بالباب فقال الطبيب :

- ادخل

دخل من الباب شاب طويل يرتدي ملابـساً ميرية ويبدو من النـسر والنجمة التي على كتفه أنه مقدم ثم قال :

- السلام عليكم ، ازيك يا آنسة "فرحة" ، الدكتور "علي" بلغنـي إنـك فوقتي وتقدري تجاوبيني على شوية أسئلة

أومأت "فرحة" بالموافقة وبدأ المقدم في طرح بعض الأسئلة الروتينة كالإسم والسن ... إلخ ، وبعدها طلب من الجميع أن يخرجوا خـارج الغرفـة فنفـذ الجميع ما عدا الأم التي أصرت على البقاء فأذن لها المقدم ثم توجه بالحديث إلى "فرحة" قائلاً :

- احكيلي بقى اللي حصل وياريت بالتفصيل الممل

بدأت "فرحة" تسرد ما حدث من بداية أن إلتقى نظرها بنظره في أول مرة ، سردت له ما قال لها وما قالت له ، كم مرة تقابلا ؟ وأين تقـابلا ؟ ، كانـت تسرد الأحداث ومع كل فصل دمعة تصدق كلامها وتثبته ، وكان المقدم يسجل كل كلمة من حديثها ، ويحثها على أن تحكي إلى أن سألها عن اسم الشخص الذي فعل كل ذلك فعندما نطقت اسمه قال لها مستغرباً :

- "فادي عزيز" ابن "عزيز بيه الدمرداش"
- آه هو بعينه ، شايفة حماسك قل يا حضرة الضابط
- لا لا ... كملي ... كملي

أنهى الضابط محضره وأغلقه ثم استأذن وانصرف

****

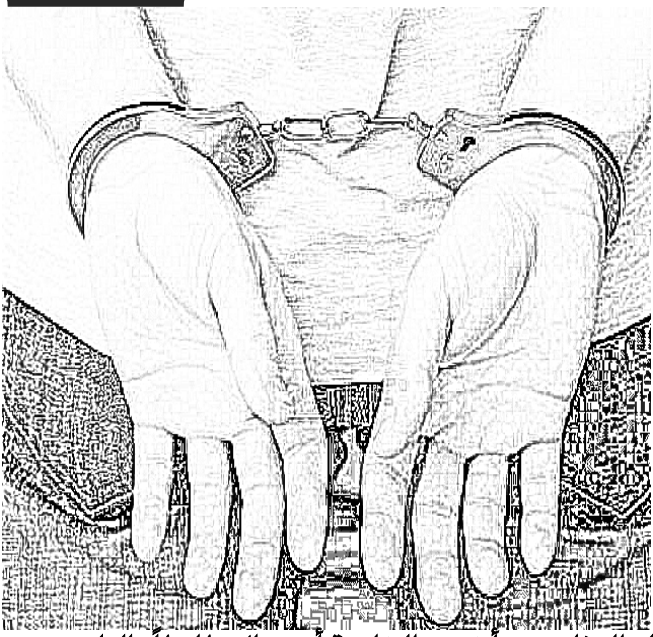

٢٥

أمر ضبط وإحضار

كان "عزيز" يتناولى طعام الغذاء حين أخبرته الخادمة أن هناك ظابطاً بالباب يطلب مقابلته ، ألقى ما في فمه من طعام وذهب إليه قائلاً :

- اؤمر

بكل هدوء قال المقدم"حسن" :

- معايا أمر ضبط وإحضار للمتهم "فادي عزيز"
- انت أكيد غلطان في العنوان يا حضرت
- لا يا فندم العنوان صحيح والاسم صحيح ، "فادي" مـتهم في قضـية هتك عرض

نزل الحديث كالصاعقة على عقل "عزيز" لم يدر ما يقوله .

كان "فادي" يهبط الدرج حين رأى والده يتحدث مـع الضـابط فجـرى إلى غرفته وحين لمحه الضابط أمر العساكر أن يلحقوا به فقال الوالد محذراً :

- أنا مش هسكت على اللي بيحصل ده ، انت تجاوزت كل حدودك

- يا فندم حدود إيه ونيلة إيه ، أنا معايـا أمـر بضـبط وإحضـار مـن النيابة وحضرتك تقدر تتطلع عليه

أخذ "عزيز" الورقة ونظر فيها وهو غير مصدق ما يقرأه وانتبه على صـوت "فادي" وهو يصرخ :

- سيبوني ، أنا معلمتش حاجة ، إلحقني يا بابا ، يا باااابا

وجد العساكر تمسك به من يديه وهو يحاول أن يفلت منهم ولكن بلا جدوى ، انطلق إليه والده وبدأ يمسح على وجهه وشعره بحنان حتى يبعث الطمأنينة في قلبه قائلاً :

- روح معاهم يا "فادي" ومتقلقش هتصـل بالمحـامي وأجـي وراك ، متقلقش ، انت مش واثق من بابا

استسلم "فادي" للعساكر وهم يسحبانه وكأنه شخص محكوم عليه بالإعدام وفي طريقه لتنفيذ الحكم .

خرج العساكر ومعهم "فادي" ، واتصل "عزيز" بأكثر من محامي وطلـب منهم اللحاق به إلى قسم الشرطة

هناك في قسم الشرطة حين واجه المقدم "فادي" بفعلته لـم يقـل شـيئاًولم يتحدث بشيء فقال له :

- بص يا "فادي" يا إما هتقول مين كان معاك يا إمـا هتشـيل الليلـة لوحدك ، خد بالك يا بطل دي أقلها ٢٥ سنة وممكن إعدام

عندما سمع كلمة إعدام انتفض "فادي" وقال :

- مش هتكلم غير لما يجي بابا

وعلى صوته دخل عسكري بعدما طرق الباب قائلاً :

- فيه حد بره بيقول إنه المحامي بتاع المتهم وعاوز يدخل يا فندم

أشار إليه المقدم بالموافقة فدخل رجل يبدو عليه علامات الثقة بالنفس وكان شعره متشحاً بالبياض دليلاً على سنواته التي تعدت حاجز الستين قائلاً :

- "رشدي زهران" حاضر مع المتهم

رد المقدم "حسن" باتسامة باهتة :

- غني عن التعريف يا أستاذ "رشدي" ، اتفضل

جلس المحامي أمامه وقال :

- أولاً أنا بطعن في اجراءات الضبط والإحضار ...

قاطعه حسن قائلاً :

- يا أستاذ "رشدي" الدخلة دي مش هتنفع ، مفيش حاجة تمت غلط ، بالإضافة لشهادة الشهود اللي منهم صاحبه ، الوصف الدقيق للشقة اللي متأجرة باسمه ، البواب اللي قال إن الشقة كل يوم بتيجي فيها واحدة ، تقدر حضرتك تتطلع على المحضر بنفسك

أمسك المحامي بعض الوريقات التي قدّمها المقدم له وقرأها بتأني وردَّها مرة ثانية إليه فقال المقدم موجهاً الحديث ل"فادي" :

- ها يا "فادي" هتقول مين التلاتة اللي كانوا معاك ولا ناوي تبقى بطل للنهاية وتشيل الليلة لوحدك

تبادل "فادي" النظر مع المحامي وواصل سكوته فقال المقدم للعسكري بعد أن استدعاه من الخارج :

- خد المتهم على الحجز

وبالفعل أُخذ "فادي" وألقي في الحجز وهو ينتفض ، قابل وجوهاً كان فقط يسمع عنها ويراها في أفلام السينما ، المكان بالنسبة له قذر ، رائحة لا يطيقها ، وما هي إلا دقائق حتى استطاع والده ومحاميه بدفع رشوة لبعض الشِوَش في القسم لنقل "فادي" إلى زنزانة بمفرده وبالفعل بعدما غادر المقدم "حسن" القسم ، تم إخراج "فادي" ليبيت في حجرة الضابط نفسه ، ولكنه كان مرعوباً ، لا يدري ماذا حل به ؟ كان يلعن تلك اللحظة التي رأى فيها تلك الفتاة العنيدة ، ولكنه كان يُطمئن نفسه بأن والده سيستطيع كعادته أن

يخرجه من ذلك المأذق ، كما أخرجه قبل ذلك من كل مأزق ولكن الأمر هـذه المرة مختلف ، جلس على الكنبة محاولاً أن ينام ولكنه فشل .

****

في مكتبه كان "عزيز" يجلس مع محاميه يدرسان الموقف فقال المحامي :

- للأسف يا "عزيز" بيه الموضوع مـش سـهل ، الأدلـة كلهـا ضـده ، وشهادة صاحبه عليه ، والشقة اللي فعلا متأجرة باسمه

خبط "عزيز" المكتب بيده قائلاً :

- يعني إيه يا "رشدي" ، أكيد فيه حل ، "فادي" مش هيتحبس .. مش هيتحبس انت فاهم ، اتصرف يا "رشدي" اتصرف ، أنا ممكن أعمـل أي حاجة ، أدفع أي مبلغ ، ممكن أهربه بره مصر
- اهدا بس يا "عزيز" أكيد ليها حل ، أنا بس عـايز الـلي كـانوا معـاه يختفوا خالص مش عاوزهم يظهروا ، وعايزك تِفَهِّـم "فـادي" إنـه مينطقش بأي كلمة غير الي قولتله عليه

****

انقضت الليلة الأولى على "فادي" وهو على الكنبة داخل حجرة المقدم بصعوبة ، لم يذق للنوم طعماً إلا بعض لحظات استطاع أن يقتطفها من بستان الليل الطويل ، وكانت نفسه كلما راح في النوم تذكره بالورطـة التـي هـو فيهـا وتوقظه ، ليلعن حظه في هذه الدنيا ، حتى في المرة الوحيدة التي استطاع فيها أن يستغرق في النوم وجد الشاويش يوقظه لأن المقدم في طريقـه إلى مكتبـه ولابد أن يترك المكان حالاً .

تم ترحيل "فادي" في عربة الترحيلات إلى النيابـة وخلفـه والـده بسـيارته وبصحبته المحامي

مَثُلَ "فادي" أمام وكيل النيابة وبعدما سأله الاسئلة التقليدية قال له :

- أنا شايف المحضر متقفل وتمام ، حابب تضـيف حاجـة يـا أسـتاذ "فادي"

وقبل أن يلتفت "فادي" تكلم "رشدي" المحامي قائلاً :

- أنا بطلب من حضرتك إن مُوَكِلي يخرج بكفالة
- للأسف يا أستاذ "رشدي" مش هينفع

ثم اتجه وكيل النيابة إلى كاتبه قائلاً :

- يحبس المتهم أربعة أيام على ذمة التحقيق ، على أن يراعى التجديد في الميعاد

كانت صاعقة أخرى له أن يُحْبَس ويظل في هذا المكان الكئيب.

في اليوم التالي حضرت "فرحة" إلى مقر النيابة لتتعرف على المتهم في طابور العرض كإجراء روتيني ، كانت جالسة أمام المكتب حين دخل عسكري قائلاً :

- طابور العرض جاهز يا فندم

صرف وكيل النيابة العسكري بإشارة من يده ، وتوجه إلى "فرحة" قائلاً :

- بصي يا آنسة "فرحة" دلوقتي هنوريكي بعض المتهمين المشتبه فيهم وكل ما عليكي إنك تشاوري على اللي قام بالاعتداء عليكـي وتقوليلنـا هو ده

ارتبكت "فرحة" قليلاً ثم أومأت برأسها موافقة ، وانطلقت بصـحبة وكيـل النيابة إلى حجرة مجاورة ، وجدت فيها ما يقارب مـن عـشرة أشـخاص ، أشكالهم مريبة ، معظهم ذوو وجوهٍ مشوهة ، ترك فيها الزمان علامة أو أكثر ، ثياباً مقطعة وبالية وقديمة ، ظلت تطيل النظر في وجه كل واحد علَّها تجد مبتغاها ، ولكن بلا فائدة حتى وصلت إلى آخر العرض حيث وجدتـه وهـو منكسٌ رأسه أرضاً ، يدعو ويبتهل ألا تتعرف عليه ، ولكن كيـف لا تتعـرف عليه وهو صاحب الوجه الذي كانت تعشقه ، الوجه الذي قص الشـريط عن قلبها ، وافتتحه ووضعه على طريق الحب ، الوجه الذي كان يعدها أن يستمر

معها للأبد ، كان يحلف لها أنه يحبها وأنه لم يحب أحداً غيرها ، هـو نفـس الوجه الذي أنهى حياتها بسبب شهوة ومتعة لم تزد عن خمس دقائق ، خمس دقائق سلبت منها أعز ما تملك ، عندما رأته تذكرت كـل شيء ، مـرَّ أمامهـا شريط الذكريات بحلوِه ومُرِه ، فصرخت صرخة حملت فيها كل معاني الألم والعذاب والمعاناة وضربته بكفها على وجهه ، فثار وغضب ولكنها كانت أقوى هذه المرة ، خربشته في وجهه حتى ترك كل أصبع من أصابعها علامـة مـن الدماء في وجهه

خلَّصه العسكري من يدها بالكاد وأجلسها على كـرسي ، وأنفاسـها تلاحـق بعضها كأنها في سباق ، قدَّم لها المقدم كوباً من المياه فشربت منه شفطتان ، ووضعته أمامها وبعدما صرف المشتبه فيهم قال لها :

- متقلقيش ، حقك هيرجعلك تالت ومتلت

تنهدت بارتياح وهي ما زالت تنتفض بشدة .

****

في مكتبه كان "عزيز" يدخن السيجارة الأخيرة في علبتـه الخامسـة وأمامـه "رشدى" المحامي محاولاً تهدئته قائلاً :

- حرام عليك يا "عزيز" كل دي سجاير ، اهدى وكفاية

نفخ "عزيز" دخان السيجارة بغيظ ثم قال :

- الواد اللي حيلتي هيضيع يا "رشدي" ومش عارف أعمل حاجة ، أنا "عزيز" بيه بكل نفوذي وسلطتي وعلاقاتي مش عارف أعمله حاجة
- أنا فكرت في حاجة كده ، بس مش عارف هتوافق عليها ولا لأ
- قول يا "رشدي" وخلصني
- أنا شايف إن مفيش حل غير التصالح الودي ، يعني تروح للبنت دي وترميلها قرشين وتتنازل عن القضية
- تفتكر ممكن يوافقوا

- أهي محاولة ، ممكن تنجح وممكن تفشل ، في كل الحالات لازم نجرب ، مش هنخسر حاجة

تحرك الاثنين إلى منزل "فرحة" في حارتهم البسيطة ، لأول مرة في حياته تطأ قدميه مثل هذا المكان ، لم يفكر في كل هذا غير أن هذا المشوار لصـالح ابنـه الوحيد .

دلف إلى مدخل العمارة وصعد الدرج بصعوبة ورن جرس الباب وانتظر قليلاً حتى فتحت الباب سيدة عجوز في وسط تساؤلاً معتاداً متوقعاً ،عرَّفها بنفسه وطلب منها أن يجلس بعض الدقائق مع "فرحة" ، أدخلته الأم وأجلسـته في حجرة الصالون وانطلقت لتخبر "فرحة" بضيوفها .

جلس "عزيز" ومحاميه في مكان لم يكن يتوقع في يوم من الأيام أن يجلسا فيه ، كنبة قديمة أكل عليها الزمان وشرب حتى خرج حشوها خارجها ليعلن عن تمرده ويطالب بإنهاء خدمته ، جدران ملئية بالآيات القرآنية التي لا شك أنه يقرأها لأول مرة ، بافتراض أنه عرف طريقة قراءتها أساساً .

لم تدعهم "فرحة" ينتظرون كثيراً ، دخلت وعلى وجهها ابتسامة انتصار فقد توقعت السبب الذي قدم من أجله فقالت :

- مش تقول يا بيه إنك جاي ، كنت فرشنا الأرض رملة ولا حاجة ، والله لو نعرف كنا جيبنا فرقة حسب الله

لم يطمئن "عزيز" لطريقة كلامها فقال لها بعد تنهيدة طويلة :

- بصي يا بنتي ، أنا عارف إن كل كلامي ملوش فايدة ، بس أنا جيت لما سمعت عنك إنك بنت عاقلة وبتعرفي توزني الأمور كويس
- طلباتك يا "عزبز" بيه

نظر عزيز إلى محاميه وأكمل :

- احنا جايين نخلص الموضوع وِدي ، أحسـن مـن المحـاكم والجـرس والفضايح ، وأنا مستعد للتعـويض الـلي تطلبيـه مـن جنيـه لحـد مليووون

جلست "فرحة" مقابلة له وهي تلعب في ذقنها بيدها لتُّوحي لهم أنها تفكر في الأمر مما بعث بعض الراحة والطمأنينة في صدورهم ثم قالت بعد تفكير لـم يدم طويلاً :

- لو انت مكاني يا "عزيز" بيه تطلب كام

تهللت أساريره وقال :

- شيك على بياض لو عايزة
- والله فرصة ، أنا لازم أستغلها كـويس ، بـس أنـا هحكيلـك حدوتـة صغيرة أوي عشان لما أقولك المبلغ متستكترهوش
- يا ستي مش هستكتروا ، المبلغ اللي هتطلبيه موافق عليه
- اسمع بس ، ولو سمحت متقاطعنيش
- اتفضلي
- كان فيه زمان أسرة صغيرة بسيطة أوي مكونة خمس أفـراد ، تـلات بنات وأبوهم وأمهم ، كانوا كل حاجة في حياة بعض ، أسرة من خمس أركان كل ركن فيهم ليه دوره المهم في حياة التانين ، في يوم من الأيام ربنا أراد إن ركن فيهم يقع ، أجله بقى مش هنعترض ، بس الركن ده رمى الحمل على بنته الكبيرة ، قالها يا بنتي أنا سايب ورايـا راجـل ، عايزك تبقى سند لاخواتك تبقي أخوهم وأبوهم ، عايزك تبقي مكاني ، وبالفعل نفذت وصية أبوها ، عاشت بعد موته زي الجبل عمره مـا يهزه ريح ، لحد ما جه الشاطر "حسن" قالها إنه عايزها وبيحبهـا ، مصدقتهوش ، فضل يحلف بكل الأيمان ويثبتلها بكل الطرق إنه مـن أول ما شافها ومش شايف غيرها ، صدقته ومشيت وراه بالرغم مـن

تحذير كل الناس ليها ، بالرغم من تحذير عقلها ليها ، لكن لأول مرة قلبها يهزم عقلها ، وقالت فيها إيه لو نجرب يمكـن الحـظ والسـعد يكون مكتوبلها في حبه ، لحد ما عرفت واتأكدت إنـه بيتسـلى بيهـا ، كانت فكراه بني آدم آخره إنه يتسلى ، بِعـدت عنـه وقـررت تطـوي الصفحة دي ، لكن هو منسيش ومرضيش باللي حصل ، قـرر ياخـد حقه بالعافية ، جاب تلاتة صِيَّع مـن صـحابه وخطفوهـا في مكـان غريب و..... (بكاء) تفتكر يا "عزيز" بيه البنت دي عشـان ترجـع تعيش حياتها بعد اللي حكيتهولك يلزمها قد إيه

- يا بنتي مانا قولتلك هدفع اللي هتقولي عليه
- الموضوع مش فلوس يا بيه ، مش فلوس
- امال موضوع إيه ، إيه اللي يريحك وأنا هعمله
- متأكد يا بيه
- طبعاً طبعاً ، أنا جاي النهارده عشان كده
- تمام ، اللي يريحني يا "عزيز" بيه إنه يتشنق يتحبس ، ياخد جـزاؤه وأشفي غليلي منه

ظهرت علامات الغضب على وجه "عزبز" وأراد أن يرد ولكن المحامي أوقفه قائلاً :

- يا بنتي انتي مش هتستفادي حاجة بحبسـه ولا بشـنقه ، لكـن لـو سمعتي الكلام وخدتي الفلوس من "عزيز" بيه ، هتستفادي كتـير ، تشتروا بيت غير الخرابة اللي ساكنين فيها دي ، تعيشي حياة مرتاحـة انتي واخواتك ، فكري بعقلك يا بنتي واختاري الصالح لكل الأطراف
- تفتكر لو بنتك مكاني يا بيه ، هـترضي تاخـد الفلـوس ، ويـا تـرى هتنسيها اللي حصل ، عارف يعني إيه تبقـى بنـت لوحـدها عريانـة وسط أربع حيوانات وكل واحد فيهم ماسك حتة في جسمها ، عـارف

يعني إيه لما تيجي تـصرخ تلاقي صوتها مش قادر يطلـع ، عـارف يعني إيه تتمنى الموت ، لأنه هيكون أرحم من اللي هي فيـه ، عـارف يعني إيه بنت يحصل فيها كده من أكـتر حـد حبتـه ومـن أول حـد فتحتله قلبها في حياتها

تنهد "عزيز" قائلاً :

- يا بنتي أنا عارف كل اللي بتقوليه ده ومقدره ، ولو كان عنـدي بنـت وحصل فيها كده مكنتش هسكت ، بس أنا بتكلم عن أمر واقع حصل ، اللي حصل ده "فادي" مش غلطان فيه ، الغلطان فيه أنا ، أنا دلعته زيادة عن اللزوم ، خليته يحس إن كل شيء مُباح ، معرفتوش يعنـي إيه عيب وغلط ، أرجوكي يا بنتي ، اديني فرصـة أربيـه مـن الأول ، أفهمه الدنيا ماشية ازاي ، "فادي" ابني الحيلة الـلي اسـتنيته ياما يجيلي ، أنا معنديش حاجة أغلى منه ، وممكن أدفـع نـص مـا أملـك عشان ميمسهوش حاجة وحشة ، أرجوكي يا بنتـي قـدَّري مـوقفي ولوعتي عليه
- وأنا مين قدّر موقفي ، مين قدّر لوعة أمي عليـا وأنـا راجعـة في وش الفجر ومغمى عليا ، مين قدّر لوعـة أمـي وأخـواتي وأنـا مرميـة في المستشفى بين الحياة والموت ، مين قدّر دمـوعهم وهمـا حاسـين إن عمود البيت على وشك أنه يقع فوق دماغهم ، متتعبش نفسك يا بيه ، مفيش فايدة ، مفيش حاجة هتريحني غير لما أشوفه محبوس ومذلول وأحرق قلبك عليه زي ما حرق قلبي على شبابي اللي ضيَّعه ، زي مـا حرق قلب ماما على بنتها

وقف "عزيز" قائلاً :

- يعني ده آخر كلام عندك

- للأسف يا بيه معندناش شاي ، كنـا عملنالـك واجـب الضـيافة ، ولا صحيح أكيد حضرتك مش بتشرب المشروبات بتاعتنا دي

كان الشرار يتطاير من عين "عزيز" حتى كاد أن يحرقها وترك المنزل بسرعة وهو يغلي .

"فرحة" شعرت بقوتها ، شعرت بالإنتصار حين ترجاها في أن تتنـازل عـن القضية ورفضت ، ذهبت إلى البلكونـة لـترى "عزيـز" وصـاحبه يركبـان سيارتهما ويتحركان في غيظ بدا من طريقة حركة السيارة .

كانت تعلم أن "عزيز" الذي بداخل السيارة يتوعد بالانتقام إن حـدث شيء لابنه ولكنه لا يهم ، المهم أن تنتقم من ذلك الذي دمَّر حياتها وقلبها رأساً على عقب .

مرت أيام التحقيقات بصعوبة على "فادي" كان يعامل معاملة جيدة نوعاً ما ، لم يكن يُحبس مع المسجونين ، كان طعامه مختلف عن كل أمثاله ، طعام حرص والده أن يحضره له يومياً ، وكان العساكر يدخلونه له بعدما يأكلون منه ما تناله أيديهم ، وهو كان يكتفي ببعض لقيمات يقمن صلبه ، لم يكـن للطعام طعماً ولا للحياة طعماً ، كان يشعر أنه في كابوس وينتظـر نهايتـه بفارغ الصبر ، كابوس طال كثيراً ولكن نهايته ستأتي ، لطالما أنقذه والده من مواقف مثل هذه ، كان يطمئن نفسه بأن والده حتماً سيتصرف في الأمر ، وكما قال له المحامي - المسألة تحتاج لبعض الوقت - ولكن هذا الوقت المطلـوب طال أكثر مما كان يتوقع ، طيلة حياته لم يوضع في موقف مثـل هـذا ، لـم يتغرب عن بيته وأهله ، لم يبت ليلة واحدة بعيداً عن والده ، لم ينتابه شعوراً بالخوف والقلق مثل ما هو فيه الآن .

مرت الأيام ببطء سلحفاة مشلولة ، ولا جديد غير أن النيابة قد جددت حبسه خمسة عشر يوماً أخر على ذمة التحقيقات ، مجرد أن يأتي له الخـاطر أنـه سيظل في الهذا المكان لمدة خمسة عشر يوماً أخر كفيلاً بأن يقذف الرعـب في

قلبه على الرغم من أنه لا يبيت مع المساجين ولا يأكل من أكلهـم ، لأول مـرة يشعر بنعمة الحرية التي كان يعيش فيها ، أن يخرج كما يحلو له ويسهر كما يحلو له .

عندما أخبره العسكري أن هناك زيارة له ، تحرك من فوره ليرى الذي يزروه ، كان يتوقع أنه والده أو أضعف الإيمان أنه المحامي ، لابد أن يكون هناك جديد ، أسرع خلف العسكري الذي يقوده ويربط بينهما سوار حديدي حتى دخل المكتب وفك عنه أساوره وفوجئ عندما دخل المكتب أن هناك آنسة في انتظاره ، كانت هذه الآنسة هي "علا" التي قالت لتوها عندما دخل المكتب :

- ازيك يا "فادي" عامل إيه

أحس بخيبة الأمل عندما رآها ، ليس لرؤية شخصها ولكن لآماله التي كـان يبنيها في أن من يزوره قد يكون معه الخلاص فقال بيأس :

- ازيك يا "علا" ، أنا تمام .... لا أنا مش تمام ... مش تمام

قالت مُؤَنبة :

- شوفت آخرة العط إيه يا "فادي" ياما قولتلك

أحس بشيء يشبه الشماتة في حديثها فقال لها :

- وحياة أبوكي أنا مش ناقص ، لو ده اللي جاية عشانه ، يبقـى خـدي بعضك وامشي

نهضت "علا" مسرعة وهي تقول :

- اخص عليك يا "فادي" ، أنا برضه أعمل كده ، انت متعرفش انت إيه بالنسبة ليا

واحتضنته ، ولأول مرة يشعر بقلبها الذي كان ينبض بشدة ، ما أكثر المرات التي اعترفت فيها "علا" بحبها له ولكن لم يكن يشعر بها كما يشعر بها الآن ، أحس بصدق مشاعرها وحبها الشديد ، أبعدها عنه فقالت له :

- ان شاء الله يا "فادي" هتخرج من هنا بالسلامة ، أزمة وهتعدي

قال بيأس :

- تفتكري يا "علا"
- ومفتكرش ليه
- شوفتي "تامر" الكلب يعمل فيا إيه ، اللي كان عامل نفسه صـاحبي وخايف عليا يعترف ويشهد عليا ، آه لو أشوفه ، بس أخرج مـن هنـا وأنا أوريه النجوم في عز الضهر
- خلاص يا "فادي" اللي حصل حصل ، وهو أكيد ليه ظروفه ، انـــسى اللي حصل كله ، لما تخرج من هنا ابدأ حياة جديدة ، وارمـي المـاضي بكل اللي كان فيه ، الحياة فيها حاجات أحلى بكتـير مـن الـلي كنـت بتعمله انت وصحابك

ضاق ذرعاً بنصائحها التي دائماً يضيق بها فقال لها :

- جرى إيه يا "علا" أنا مش ناقصك ، هو انتي مبتزهقيش من الكـلام في الموضوع ده
- أنا خايفة على مصلحتك
- عارف انك خايفة على زفت مصلحتي ، لو خايفة على مصلحتي بجـد خرجيني من هنا ، غير كده يبقى مسمعش صوتك تاني

جلست لتوها لا تدري ماذا تقول ؟ كانت تظن أن ظروفه وما حدث له قد غيرَّه قليلاً ولكن يبدو أنه ازداد عناداً وأنه إن خرج من ذلك المكان سيصبح ألعن مما كان عليه فقالت بيأس :

- يا خسارة يا "فادي" ، كنت فاكرة ان اللي حصل ده غَـيَّرك ، وخـلاك إنسان تاني ، بس واضح إن اللي فيك فيك مهما حصل ، مش هتتغـير طول عمرك

نظر إليها بطرف عينه ولم ينطق ، فحملت حقيبتها التي كانت وضعتها على الكرسي وانصرفت غاضبة وهي تلعن اللحظة التي فكرت فيها أن تزوره .

أما عنه فجلس على الكرسي حتى جاءه العسكري وأخذه من حيث جاء به .

******

كان المحامي يجلس مع "عزيز" في مكتبه وبين أيديهم بعض الأوراق فقـال "عزيز" :

- متأكد يا "رشدي" إن الموضوع ده هيجيب نتيجة
- طبعاً بس أهم حاجة ، كل اللي قولنا عليه يتنفذ ، فين الواد اللي قولـت عليه إنه جاي
- في السكة ، أنا لسه مكلم باباه حالاً ، وقاللي إنه في السكة ، بـس أنـا لحد دلوقتي مش قادر أفهم اللي ناوي عليه بالظبط
- فيه إيه يا "عزيز" انت بتتكلم مع تلميذ ولا إيه ، أنا كنت بس برتـب الموضوع في دماغي عشان ألعبها صح ، بس ده هيكلفنـا كتـير ، أنـا بقولك عشان تبقى عامل حسابك
- اللي انت عايزه يا "رشدي" ده ابني الوحيد ، هدفع اللي انت عايزه

ابتسم "رشدي" وهو يضع خنصره في فمه قائلاً :

- طول عمرك صاحب كرم يا "عزيز"
- وانت طول عمرك مش بتشبع خالص يا "رشدي"

ضحك الاثنان ثم قال "رشدي" :

- طب ما فيش حاجة نحلي بيها بقنا دلوقتي ولا إيه
- متستعجلش يا راجل ، وربنا لو الواد طلع منها ، أخلي بقـك يزغـرت من كتر الحلاوة

****

٢٦

خلف القضبان

تم تحديد ميعاد لأول جلسة لمناقشة قضيته في القضاء وبالفعل حضر الجميع الجلسة وبدأ القاضي الجلسة بديباجته المعتادة وأذن لوكيل النيابة بـالكلام فانطلق من توه وكيل النيابة يقرأ ما كان يسهر طول الليل يُعِدّ لقوله :

- سيادة القاضي ، حضرات المستشارين ، نحن الآن أمام قضية انتشرت في الأونة الأخيرة كثيراً وكثيراً ، مرتكبي مثل هذه الجرائم ليس لـديهم أي ضمائر يقظة ، إن هذا المجرم الماثل أمـام حضـــراتكم ظـن أنـه سينجو بفعلته بنفوذه وسلطة والده ، قد قام وبصـحبة ثلاثـة مـن شياطين الإنس بخطف المدعيـة وهتـك عرضـها غـير مبـالين بـأي اعتبارات دينية أو أخلاقية ، ومع شـهادة الشـهود وتعـرف المجنـي عليها على المتهم في طابور العرض ، أطالب بتوقيع أقصى العقوبة على المتهم وذلك ليكون ردعاً لكل من تسول له نفسه أن يرتكب مثل هذه الجريمة ، إن صدري قد اكتفى بهذا الحد وإنـي أسـمع الآن صـوت

العدل يجريه الله على لسان حضـــراتكم لـيحكم عـلى المـتهم بأشـد العقوبات الممكنة حتى يكون عبرةً لمن يعتبر ، شكراً سيادة القاضي

جلس وكيل النيابة بعدما قال ما أثلج صدره ، ثم نظر القاضي إلى الأوراق التي أمامه ثم قال :

- بعد الإطلاع على محضر التحقيقات ، محامي المدعية يحب يقـول أي حاجة

وقف محامي كانت وكلته "فرحة" قائلاً :

- لا ... شكراً يا سيادة القاضي

أومأ القاضي وقال :

- محامي الدفاع تحب تضيف حاجة

وقف " رشدي " في ثقة بعد نظره لـ "عزيز" يفهم معناها كلاهما ، تحـرك خطوتين إلى الأمام تجاه منصة القضاة وقال :

- بعد إذن حضرة القاضي ، الرجاء من هيئة المحكمة الموقرة أن تفسـح لي صدرها لإلقاء مرافعتي

أشار له القاضي بالمواصلة :

- شكراً سيادة القاضي ، نحن الآن أمام جريمة بشعة بكـل المقـاييس ولكن أركانها ليست كاملة ، بكل الأسى والحزن أقدر شـعور المجنـي عليها ، من منا يرضى بمثل هذه الجرائم البشعة ، من منا يرضيه أنـا ابنته أو أخته يحدث لها ما حدث ، من منا سـينام قريـر العـين وفي مجتمعنا ذئاب بشـرية تستحل أعـراض النـاس وتهتـك عرضـهم ، ولكني ألتصق مع النيابة في كل دليل قدمته ضد موكلي

تحرك المحامي ناحية وكيل النيابة خطوتين موجهاً كلامه له :

- أتفق مع سيادتك أن الذي فعل هذه الفعلة الشـنيعة في هـذه الفتـاة البريئة الطاهرة لابد أن ينال أشد العقاب ، لا بد أن يُعدم

كانت هذه الكلمة بمثابة صاعقة على مسامع "فادي" الذي كان يجلس مترقباً في قفص الاتهام ، شعر أنه هو المقصود من هذه الكلمة ، وضع يده على رقبته حين أكمل المحامي :

- ولكن يا سيادة القاضي العقاب لابد أن يكون لمن يستحقه ، منذ أكثر من ثلاثة أسابيع جاء المقدم علي "حسن حسين" ، إلى منزل موكلي ومعه أمر الضبط والإحضار لموكلي وتمت أحداث القضية بكل شفافية ، ولا أنكر أن الشرطة قد عانت الكثير في جمع كل الأدلة على موكلي ولكني اليوم جئت أقدم الدليل الواضح والبيِّن على برائته ، فهل تسمح ليها هيئة المحكمة الموقرة باستجواب المجني عليها

أذن له القاضي بعدما طلب من "فرحة" أن تنهض وتقف أمام المحامي فنفذت بسرعة فاقترب منها المحامي قائلاً :

- ازيك يا أستاذة "فرحة" قلبي عندك والله ، ليه بلغتي ، أو بمعنى أصح مخفتيش من الفضيحة ، أو حتى من كلام الناس

خبط القاضي على المنصة قائلاً للمحامي :

- وجه أسئلتك لو كانت مفيدة بس يا أستاذ

رفع المحامي يده معتذراً ثم قال موجهاً حديثه لـ "فرحة" :

- تعرفي "فادي" من امتا يا أستاذة "فرحة"

ردت بتردد :

- تلات شهور تقريباً
- عظيم جداً ، تلات شهور ، إيه طبيعة العلاقة اللي كانت بينك وبينه

نظرت "فرحة" بذهول لم تتوقع مثل هذا السؤال ، لم تدر ماذا تقول ؟ هل تخبره أنها كانت حبيبته وهل ذلك مفيداً في مثل هذا الموقف ولكنها تشجعت وقالت :

- قابلته في الجامعة وفضلنا أصدقاء لمدة قليلة

ضجت القاعة بالهمهمة فأسكتها القاضي بخبطة من مطرقته عـلى المنصـة قائلاً للمحامي :

- ممكن توضح يا أستاذ الغرض من مثل هذه الأسئلة

قال المحامي :

- حالاً يا سيادة القاضي ستعرف ما أقصد ، هـا هـي المجنـي عليهـا تعترف أن بينها وبين موكلي علاقة ، أطلقت عليها اسم صداقة ، وأنـا أشك في هذه الكلمة ، فالعلاقة بين المجني عليها وموكلي تعـدت هـذه الكلمة بكثير ، كانت علاقة حب وغرام متبادل بين الطرفين

قاطعته "فرحة" بحدة :

- أه كان حبيبي ، حرام اللي زيي تحب وتتحب
- لا طبعا يا بنتي ، الحب دي حاجة حلوة طبعـاً ، ده أحـلى حاجـة في حياتنا هي الحب ، هو فيه حاجة بتودينا في داهية غير الحب

ضحك من في القاعة على طريقة المحامي في حديثه ثم قال حتـى لا يغضـب القاضي مرة أخرى :

- كملي يا "فرحة" وإيه اللي حصل بعد كده
- قولتله لو بتحبني صـح ، يبقـى تتجـوزني ، وإلا مـش هقابلـك ولا هكلمك تاني
- وقاللك إيه بقى ساعتها
- مقالش ، طبعاً عشان نيته وحشة ، حب ينتقم مني فعمل اللي عمله
- قصدك اعتدى عليكي هو وتلاتة من صحابه

كأنه وضع حفنة من الملح على جرحها فأخفضت رأسها في غضب ولـم تـرد فتوجه المحامي إلى القاضي قائلاً :

- أنا اكتفيت يا سيادة القاضي بهذا القدر من الأسئلة

صرف القاضي "فرحة" فجلست في مكانها .

المحامي أخرج ورقة من حقيبته وتوجه إلى المنصة قائلاً :

- أرجو من عدالة المحكمة أن تفسح لي صدرها حتى أبين لهـم حقيقـة الأمر الذي غاب عن الكثير

بإشارة من يده أذن له القاضي فأكمل المحامي :

- رأيتم يا سادة الاعتراف الكامل من الآنسة "فرحة" بالعلاقة الغرامية التي كانت تجمعها بموكلي ، النيابة قد استندت في أدلتهـا أن المجنـي عليها قد وصفت الشقة محل الحادث وصفاً دقيقاً ، نحن لا ننكـر أن المجني عليها قد ذهبت إلى الشقة وأكثر من مرة ولكـن لـيس غصـباً عنها ، إنما بكامل إرادتها ، لا ننكر أن موكلي قد قام بممارسة علاقـة جنسية كاملة مع المجني عليها

عندما قال ذلك ضجت القاعة بالهمهمة وكذلك "فادي" لم يدري ما يقصده المحامي فأكمل المحامي :

- هل هناك سيدي الرئيس قانون يحرم على الزوج أن يمـارس علاقـة جنسية مع زوجته

تقدم المحامي خطوتين وقدم إلى القاضي الورقة التي يحملها بيده ، فحملهـا القاضي ونظر فيها بينما شرح المحامي ما تحويه الورقة قائلاً :

- بين أيدي حضراتكم عقد جواز عُرفي بتوقيـع المجنـي عليهـا وعليهـا شهادة اثنان من الشهود وهم معنا هنا في القاعة وعـلى اسـتعداد أن يشهدوا بذلك

بعدما نظر القاضي إلى ورقة الزواج استدعى الشهود وبعدما أقسما أن يقولا الحق أقروا بصحة العقد فاستدعى القاضي "فرحة" وسألها عـن توقيعهـا فقالت :

- أيوه أنا امضتي كده بس مش أنا اللي ماضية ، الورقة دي مزورة

وهنا وقف محامي "فرحة" وقال :

- أنا أطعن في هذا العقد بالتزوير

فقال القاضي :

- تُعرض الوثيقة على خبير الخطوط للتأكد من صـحة توقيـع المجنـي عليها وتؤجل القضية إلى جلسة الحادي عشـر من الشهر القـادم ... رفعت الجلسة .

انتهت الجلسة والكل غير مصدق بالمفاجأة التي فجَّرها "رشدي" المحـامي ، كانت "فرحة" غير مصدقة ما تسمعه انطلقت من فورها لوالدتها تحتضنها وتقول لها :

- محصلش يا ماما محصلش ، الورقة دي مزورة
- مصدقاكي يا بنتي ، مصدقاكي ، حسبي الله ونعم الوكيـل ، حسـبي الله ونعم الوكيل

رفعت "فرحة" بصرها إلى القفص لتراه ، كان ينظـر إليهـا بنظـرة تشـبه الشماتة نظرة تحمل معنى الإنتصار في المعركة الحتمية ، ما أسوأ ذلك الشعور حين تظن أنك انتصرت ، ثم تكتشف أن عدوك بطرق خبيثة ودنيئة قد قلـب الطاولة عليك وانتصر .

****

٢٧

ماتت الفرحة

ذهبت "فرحة" إلى منزلها في وسط دعوات من والـدتها في محـاولات فاشـلة لطمأنتها ، كانت تعلم أنهم سيثبتون صـحة توقيعهـا بالكـذب والتزويـر ، سيدفعون الكثير حتى لا يحبس ابنهم المدلل .

دخلت حجرتها وطلبت من والدتها ألا توقظها فهي بحاجة أن تنـام قلـيلاً ، حاولت الأم أن تقنعها أن تتناول طعاماً ولكنها رفضت بشدة ودخلت حجرتها وأغلقت الباب بالمفتاح واستسلمت لدموعها كالعادة

ألقت بجسدها على سريرها وهي تسترجع شريـط ذكرياتهـا ، ثـم نهضـت وفتحت درجها وأخرجت ألبوم من الصور معظم صورها مع والدها ، أخرجت أحدث الصور وضمتها إلى صدرها وقالت محدثة والدها :

- شوفت يا بابا إيه اللي حصلي من بعدك ، لـو كنـت موجـود مكـانش حاجة حصلت من ده كله ، ليه سيبتني يا بابا ، مقدرتش على الحمـل اللي انت سيبتهولي ، نَخِّيت قدام أول مطب قابلني ، أنا بعترف يا بابا إني غلطت ، غلطت لما فكرت إني من حقي أحـب وأتحـب ، وغلطـت

أكتر لما سلمت قلبي لحيوان معندهوش قلب ، يا ريتك موجود عشان تقولي أعمل إيه ، أول مرة أبقى مش عارفة أعمل إيه ، فينـك عشـان تقولي أنا صح ولا غلط ، أنا صح عشان طالبت بحقي ولا غلط عشان فضحت نفسي ، هيبقى موقفي إيه لو فعلاً قدر يثبت إني مراتـه وإن الورقة اللي معاه دي صحيحة ، هيبقى منظري إيه قدام الناس مـش بعيد يتهموني إني بت شمال ، كل اللي حازز في نفسي سمعتك يا بابـا اللي مكانش حد يقدر يقول عليها كلمة ، دلوقتي كلاب السكك هتقول وتعيد ، هيقولوا بت عم "جلال" المحترم اللي عمره مـا فـوَّت فـرض اتجوزت عرفي وجابتله العار بعد مات ، سامحني يا بابـا ، سـامحني والله غصب عني .

وبعدها طلبت النوم بالكاد حتى حنَّ قلبـه أخـيراً وجاءهـا متقطعـاً مليئـاً بالكوابيس ، واحداً تلو الآخر ، ولكنها نامت حالمةً بغدٍ بيد الله ، طالبة وراجية أن يكون في صالحها .

جاء ميعاد الجلسة الثانية وحضر تقريباً نفس الأشخاص الذين حضـروا في الجلسة السابقة ولكن المشاعر مختلفة ، مشاعر بالأمل يشوبه القلق من ناحية "فادي" ومشاعر باليأس التي اعترت وجه "فرحة" حين دخل القاضي ووقف الجميع احتراماً له وبعدما أشار للجميع بالجلوس ونادي الحاجب على القضية وما هي لحظات حتى فضَّ القاضي الظرف الذي فيه رد خبير الخطوط ثم قال :

- بعد الإطلاع على رأي خبير الخطوط تأكد لدينا صحة العقد المُبرم بين المتهم والمجني عليه مما ينفي ثبوت أي جنايـة عليـه وأمـا بالنسـبة لتقرير الطبيب الشرعي الذي يفيد أن المجني عليها قد تعرضت لحالة اغتصاب ، فعلى أدلة البحث الجنائي إعادة النظر في التحقيقات بشكل كامل ، والبحث عن الجاني الحقيقي وقد قررت المحكمة الآتي :

أولاً إلقاء القبض على المجني عليها بتهمة البلاغ الكاذب والإضرار بسمعة المواطنون الشرفاء ،

ثانياً : براءة المتهم "فادي عزيز" من تهمة الإعتداء على المجني عليها وتكليف المجني عليها جميع أتعاب المحاماة رفعت الجلسة

ألقى القاضي بتلك الرصاصات المتتالية على مسامع الحضور وانصرف من توه وتحرك بعض العساكر وأمسكوا بـ "فرحة" تنفيذاً لأوامر القاضي .

لم تدرِ فرحة ماذا تفعل ؟ هل تصرخ ؟ لمن تصـرخ ؟ من سيسـمعها حـين تصرخ ؟ ما الذي حدث ؟ من يصدق ما حدث ؟ هي يُقبض عليها وهو يخرج براءة ! كيف ذلك وأي عدلٍ هذا ؟ وبعد ذلك لم ترَ غير أن كل ما حولهـا بـدأ يتكور في دوامات وكأن كل شيء بدأ ينتسخ في نسختين وقاعة المحكمة تدور بها وقدميها لا تحملانها ، تعطّلت جميع حواسها غير سمعها فقط استطاعت أن تسمع بعد الأشياء المتفرقة ، مثلاً صرخات من والدتها ، همهمات من بعض الناس بعضها في صالحها والكثير ضدها من أمثلة (كهن بنات ، إن كيدهن عظيم) .

تم نقلها إلى المستشفى مرة أخرى فاقدة الوعي ، ما بين دعوات من والـدتها بسلامتها وما بين استرجاع وحوقلة الحج "ربيع" على ما حدث .

ما هي إلا سويعات قليلة وخرج الطبيب يقول للجميع :

- شدوا حيلكم يا جماعة ، البقاء لله

وانطلق الطبيب مسرعاً لا يريد أن يعيش مثل هذا الموقف الذي طالما تكرر معه وطالما كَرِهَهُ .

انطلقت الوالدة من فورها إلى ابنتها واحتضنتها بشدة وهي تـصرخ وتولول عليها قائلة :

- قومي يا "فرحة" حقك عليا يا بتي ، أنا اللي غلطانة مكانش لازم مـن الأول ، قومي ، قومي يا "فرحة" حقك عليا يا بتي .... يا بتي ، يارب ،

لا يارب لا يارب لا يارب ، أنا مليش غيرها ، هي بتي وأمـــي وأختـــي وجوزي وأخويا ، يارب سيبهالي ، خدني أنا وســيبها هيــا ، اخواتهــا عايزنها يارب ، يارب ، بتي بتي بتي ....

كانت في كل كلمة تخبطها على وجهها علّها تفوق ، عقلها لم يتقبل أبداً فكرة أن "فرحة" قد غادرت هذا العالم الظالم بكل ما فيه الذي انقلبت فيه الموازيين ، المجني عليه يُزج به في السجن والظالم يُحكم له بالبراءة .

تمت إجراءات الدفن في وسط صراخات متتالية من والدة "فرحة" واخوتهــا وبعض جيرانها المقربين ، ولكن الفئة الأكثر كانت تصدق ما قيل وما يقال عن "فرحة" صدَّق الجميع ما قيل في المحاكمة ، الجميع اتهمها بأنها كانت تسير على حل شعرها وأنها دائما كانت تعــود في منتصــف الليــل ، الجميــع ردد الإشاعات بل وأضاف إليها ما يحلو له ، أصبح أهل الحارة ليس لهم حديثاً أو شغلاً غير "فرحة" البنت التي أودت بسمعة والدها وتاريخه المشرف وسيرته العطرة التراب ، "فرحة" التي تزوجت بدون علم أهلهــا ، واتهمــت زوجهــا بالباطل أنه اغتصبها بعدما رفض أن يعلن زواجهما ، "فرحة" التي إشتَمَّتْ نفسها بعد وفاة والدها الطيب ، وفعلت كل ما يحلو لها ، "فرحة" التي لــم تُبالي بتقاليد ولا بِعادات ولا بتعاليم دينها وانطلقت تسهر كل يوم في الملاهي الليلية ، "فرحة" التي لعبت على ابن الرجل الغني حتــى أوقعتــه في حبهــا وتزوجته طمعاً في مال أبيه ، "فرحة" التي (كانت في جرة وطلعــت لــبره) وكانت السيدات بعدما تنتهي من (اللت والعجن) في سيرتها لا تقولن إلا جملة واحدة (ياله ربنا يرحمها ويتولاها برحمته ويسامحها) .

ما الذي جنته "فرحة" طيلة حياتها حتى تنتهي حياتها بهذه الطريقة ، حتى تظل سيرتها على كل لسان بهذه الطريقة البشعة ، "فرحة" التي كان كل من يعرفها يحلف بأخلاقها وجمالها ، ما الذي حدث ؟ ما الذي تغير؟ كيف صدق العامة ما قيل بهذه السهولة

*****

٢٨

حفل زفاف

دخل "فادي" حجرته لأول مرة منذ شهر ، وألقى بجسده فوق سريره وهـو يشعر بملمسه الدافيء الحريري ، يحاول أن يجعل كل ذرة من جسده تلمس هذا الفراش ، يتقلب يميناً ويساراً على فراشه ، وهو يتأوه اشتياقاً له ، كـان يشتاق لمنزله لحجرته لحياته كلها .

دخلت والداته قائلة :

- نورت بيتك يا حبيبي

اعتدل وهو يسند ظهره على خلفية السرير قائلاً :

- وحشتيني يا ماما ، أنا مش متخيل إن الكابوس ده خلص خـلاص ، أنا مكنتش مصدق إني هطلع من المكان القذر اللي كنت فيه

سكتت الأم قليلاً ثم قال :

- عملت ليه كده يا "فادي"

أغمض عينيه قائلاً :

- أنا معملتش حاجة يا ماما

ابتسمت الأم قائلة :

- هو أنا الظابط هتضحك عليا ، أنا عارفة كل حاجة ، أنـا بـس عـايزة أقولك كلمتين ....

قاطعها "فادي" :

- عارفهم يا ماما ، وحياتك يا ماما أنا مش فايق لأي كـلام ، أنـا عـايز أقوم أخد دش وألحق أشوف الدنيا مـن تـاني وحشـوني أصـحابي وحشتني الحرية

ثم قام من فوره ودخل حمامه ، فضربت الأم كفاً على كف وانطلقت من فورها إلى "عزيز" زوجها فوجدته جالساً في مكتبه بارتياح فقالت له :

- كنت عايزاك في موضوع مهم أوي

تأفف "عزيز" ثم اعتدل في جلسته وقال :

- خير يا "نسرين" ، فيه إيه تاني
- "فادي"

انتفض "عزيز" قائلاً :

- ماله "فادي"
- مالهوش ، بس شكله ناوي يرجع تاني للسهر ، مفيش فايدة
- ليه بتقولي كده
- لسه بكلمه ، قفل الكلام معايا وقاللي عاوز ياخد دش عشـان يلحـق يخرج لصحابه

تأفف "عزيز" قائلاً :

- لسه ما حرمتش يا "فادي" وبعدين فيك يا بني ، ليه مُصـِر تحـط راسي في الأرض ، المرة دي جات سليمة محدش عارف المرة اللي جايـة هيحصل إيه

- اتصرف يا "عزيز" أنا مش عايزة أخسر ابني الوحيد
- خلاص أنا عرفت هعمل إيه ، هاخده معايا الشركة وهحطه تحت عنيا ، هشغله في الشركة والشغل ومش هخلي عنده وقت يفكر في أي حاجة من الحاجات اللي كان بيعملها دي
- وتجوزه ، أهم حاجة يتجوز ويتلم ، لما تكونله ست هيقعد جمبها ومفيش غير "علا" بت صاحبك ده ، وعلى فكرة البت عينها منه وبتحبه
- يا سلام ، عرفت ازاي يا أم العريف
- كانت كل يوم بتسألني عليه وراحت زارته مرة في السجن ، ده اللي خلاني أتأكد إنها بتموت فيها ، واللي زي كده هتحطه في عينيها وحبها ليه هيبقى أكبر من شهواته ونزواته

كانت الكلمات الأخيرتان بمثابة الرصاصة التي استقبلها "عزيز" فكررهما بحزن بالغ وقال :

- شهواته ونزواته ، أنا اللي غلطت من الأول ، مش قادر ألومه على حاجة ملوش ذنب فيها ، أنا اللي دلعته زيادة عن اللزوم ، علمته إن كله مباح وكله عادي ، فهمته إنه مفيش زيه في الدنيا وإن كل الناس عبيد عنده ، كل اللي عمله الواد أنا المسئول الأول والأخير عنه مش هوا

تنهدت الأم بعدما اتكأت بظهرها على الكرسي قائلة :

- هيفيد بإيه الكلام دلوقتي يا "عزيز" ياما قولتلك شد ع الواد شد ع الواد ، قعدت تقولي سيبيه يعيش شبابه ، أهو كان هيضيع شبابه أهو

ضرب "عزيز" مكتبه بيده ثم قال :

- خلاص ، أنا اللي فيا مكفيني ، كفاية أنا هتصرف

ثم انطلق لتوه خارج مكتبه ليرى "فادي" مرتدياً ملابسه مستعداً للخـروج فقال له مستفهماً :

- رايح فين ؟؟

تردد "فادي" قليلاً قبل أن يقول :

- خارج أسهر مع أصحابي شويا
- طب تعالى المكتب عايزك في موضوع مهم

تحرك "عزيز" إلى مكتبه بينما ظل "فادي" واقفاً يبحث عن طريقه ليهـرب كعادته منه ولكن والده إلتفت إليه قائلاً :

- تعالى ... ومتفكرش إنك هتهرب كالعادة

اضطر "فادي" آسفاً أن يذهب حيث ذهب والده ودخلا المكتب وجلسا الاثنان بالتقابل على الكرسيان اللذان يقبعان أمام المكتب وبعد لحظات من الصمت قال "عزيز"

- أكيد انت متوقع طبعاً أنا عايزك ف إيه

صمت "فادي" لا يدري ما يقول ؟ فأكمل والده :

- طبعاً انت عارف المشكلة اللي حطيت نفسك فيها وعارف أنـا عملـت إيه عشان أخرجك منها ، عارف إن المشكلة ديا لو مكـانتش اتحلـت كانت ممكن توصلك لحبل المشنقة ، تقدر تقولي ساعتها كنت هتعمل إيه

أراد "فادي" أن يتكلم فأشار إليه والده بالسكوت قائلاً :

- سيبني أكمل كلامي الأول ، منكرش إنك مش لوحدك اللي غلطـان في الموضوع ده ، أنا محمل نفسي الغلط معاك عشـان كـده أنـا قـررت أصلح الغلط ده ، من بكرة الصبح هتنزل معايا الـشركة وهتسـتلم شغلك ومكتبك اللي مجهزهولك من يوم ما اتولدت ، مكتب نائب مدير الشركة

وقف "فادي" مفزوعاً ثم قال :

- إيه ....
- إيه مستغرب ليه ، ولا عايز تفضل طول حياتـك تقضـيها صرمحـة طول عمرك
- لا يا بابا بس ...
- مفيش بس ، أنا لأول مرة هفرض عليك حاجة انت مش عايزها ، لأول مرة هجبرك على حاجة ومش هتبقى آخر مرة ، أنا ضيعت عمري كله ببنيلك مستقبلك ، بعملك الفلوس اللي ممكن تعيشك بـاقي عمـرك في نعيم انت وولادك وولاد ولادك ، مسـتقبلك الـلي جيـت انـت وبنـزوة معفنة كنت هتدمره وتدمر حياتك ، "فـادي" يـا ابنـي انـت ابنـي ووريثي الوحيد ، انت متخيل كل الفلوس والشـركات والأراضي دي كلها بتاعتك ، عشان كده لازم كل تصرفاتك تبقى محسوبة ومدروسة ، مينفعش تحط نفسم في موقف زي اللي حطيت نفسك فيـه ده ، يـا بني أنا أيامي خلاص قربت وانت اللي هتكمل بعدي
- بعد الشر علي حضرتك يا بابا
- فاهمني يابني ؟
- فاهم يا بابا فاهم
- برافوا عليكي يا حبيبي ، بص بقى المفاجأة التانية

نظر إليه ولم ينطق فأكمل "عزيز" :

- يوم الجمعة اللي جاية هتيجي معايا ، نزور عمك "جلال فاضل " انت عارفه طبعاً
- أيوه أعرفه ، بس اشمعنا
- هنخطبلك بنته ، عنده بنت حلوة كده ، ما انت تعرفها شـفتكم أكـتر من مرة مع بعض ، اسمها ...

- "علا"
- أيوه ما انت عارفها أهو ، إيه رأيك ؟؟؟
- يا بابا "علا" دي صاحبتي وعمري ما تخليت إنها تكون مراتي وعمري ..

قاطعه والده قائلاً :

- وعمرك ما هتلاقي واحدة زيها ، مال وجمال وكمان بتحبك ، وغير كده أبوها شريكي في معظم شغلي وتجارتي ، يعني الموضوع مفيهوش تفكير ، على فكرة الكلام ده مفيهوش مناقشة ، من النهارده انت تقول حاضر ونعم وبس

رد "فادي" بانكسار :

- حاضر يا بابا ... حاضر

*****

بدون ما يشعر وجد "فادي" نفسه يجلس في كوشة بجوار"علا" التي رفضت في البداية هذه الزيجة لأنها علمت أن "فادي" مُجْبَرٌ عليها وأنه لا يريدها ، نعم هي تحبه ولكن كرامتها أهم من قلبها ، كيف ستعيش مع شخص لا يريدها ؟ لا يراها إلا صديقة يلهو معها بعض السويعات ، صديقة تعلم كل شيء عن نزواته ، صديقة أرادت أن تعترف له بحبها فأحرجها أكثر من مرة ، وجدت نفسها هي الأخرى أمام ضغوط من والدها ووالدتها تقبل هذه الزيجة خضوعاً لمصلحة الأسرة ومصلحة عمل والدها .

جلس الاثنان بجوار بعضهما في الكوشة وعلى وجوههم ابتسامة ساخرة ، "علا" كانت في الموقف الذي تمنته طيلة حياته وبجوارها أول من دق له قلبها ، ولكن كلما تتذكر أنه مجبرٌ على ذلك تدوس على قلبها وتندب حظها.

هي الآن في المشهد الذي طالما تمنته وحلمت به ، ولكن لا تشعر بالفرحة التي كانت تتخيلها قبل ذلك .

انتهت مراسم الفرح المعتادة بعدما انصرف المدعووين شاكرين لـ "عزيـز" هذه الحفلة العامرة بكل شيء ما عدا شيئاً واحداً وهي أن العروسان كل منهما يشعر بأنه يضع قدمه في سجن لا مفر منه .

دخل الاثنان حجرتهما يقدمان قدماً ويؤخران الأخرى ، دخل "فادي" حمَّامه وبدَّل ملابسه وجلس على سريره وأمسك هاتفه وبـدا يقلـب فيـه بطريقـه عشوائية ، وفتح (الفيس بوك) وأخذ يدردش مـع بعـض أصـدقائه فتـارة يضحك وتارة يتغير وجهه للغضب ، و"علا" ما زالت بفستانها عـلى طـرف السرير لم تتحرك ولم تتكلم ، فقط كانت تحاول أن تقنع نفسها بما هي فيه حتى لاحظ هو ذلك فقال لها :

- مش هتغيري هدومك ولا إيه

ردت بتردد :

- هقوم أهو

ثم نهضت ودخلت الحمام ، ولم تستطع أن تمنع دموعها فطالما تخيلت ليلة زفافها ، تخيلت عريسها وهو يخلع عنها فستانها ، يحملها على يديه ، يقبلها في جبينها ، كل ذلك تخيلته ولكن لم يحدث منه شيئاً ، عريسها بعدما بـدل ثيابه ، فتح هاتفه وعاش حياته اليومية مع أصدقائه وكأن شيئاً لم يكن وكأن الليلة لم تكن ليلة زفافهما .

خرجت من الحمام وجلست بجواره على السـرير وفتحت مجلة وأخذت تقلب في أوراقها ولا شك أنها لم تقرأ شيئاً ولم تلاحظ شيئاً منها فقط كانت تبحث في جعبتها عن كلمة تقولها له ، على الرغم من كل الكلمات التي كانت تنوي أن تقولها لعريسها في ليلة زفافها ، وبعد عناء وجدت أخيراً طرف البداية فقالت :

- بالذمة مش دي حاجة تتضحك

نظر إليها بطرف عينيه ولم يرد فأكملت بعد ابتسامة ساخرة وذمةٍ بشفتيها :

- المفروض إن احنا اتنين ليلة دخلتهم النهارده وقاعـدين كـده كأننـا متجوزين من عشر سنين وزهقنا من بعض ، مش غريبة إنـي الـلي بقالي كتير بتمنى إنه يحصل وأول ما يحصل مبقاش فرحانه بيه

أشعل سيجارة بعدما وضع هاتفه جانباً ثم قال :

- انت بتلفي وتدوري على إيه ، بصي يا بت الناس أنا اتجوزتـك عشـان أبوكي وأبويا بس ، عشان هما ضغطوا عليا زي ما أنـا عـارف إنهـم أجبروكي على كده برضه ولا إيه

أغمضت عينيها وأخذت نفساً عميقاً كأنها تنوي أن تغطس في بحرٍ عميق ثم قالت :

- هو أمر واقع واتفرض علينا ، ليه منحاولش نستفيد منه ، انت عارف من زمان إني بحبك وإني عايزاك ، بس أنا مش حابة إنك تبقـى ليـا بالشكل ده ، مغصوب عليا
- بس الحقيقة أنا مغصوب عليكي ، ومتحلميش كتيير ف إني هتغـيّر عشان متتعبيش معايا كتكوتة

ثم أدار وجهه الناحية الأخرى وافتعل أنه راح في النوم ، وهي لم تمنع دموعها أن تنزل حتى بللت وجنتيها

******

(الله يستر على ولايانا)

كل منا عند موقف معين يظن أن حياته ستقف وأنه لن يستطيع أن يستمر في هذه الحياة لمدة يوم آخر ، خصوصاً عند فقد عزيز أو غـالي ، وتمـر الأيـام ونكتشف أننا لازلنا نعيش وأن هذا العزيز والغالي أضـحى مـاضي وذكـرى نتذكرها أحيانا وننساها الكثير من الأحيان ، ننخرط في مشاغل الدنيا وننغمس فيها مؤمنين بمبدأ (الحي أبقى من الميت) أو بمبـدأ (البكـا مـش هيفيـد) وغيرها من الأقاويل التي تَرَبَّيْنا عليها .

مرت أيام وأسابيع على رحيل "فرحة" وبدأ الكل ينساها ، خفَّ العامـة مـن الحديث عنها وعما حدث لها ، كعادتها البشر وخصوصاً في مجتمعنـا هـذا ، عندما يحدث أمرٌ جلل تجد الجميع يتحدث في هذا الموضـوع ، عنـدما تقـام مباراة مهمة لكرة القدم ، تجد الجميع وكأنهم أمهر المحللـون الرياضـيون وكأنهم ولدوا في ملعب لكرة القدم ، عندما يحدث أمر سياسي هام تجد الجميع محللاً سياسياً وتجد الجميع لديهم آرائهم والتي يظنون أنها الأسلم والأصلح وأنا ما دونها تُرَّاهات .

كذلك كانت قصة "فرحة" بعدما تناقلتها ألسنة الجميع ، بدأ الكل يمل منها ويغيرون المواضيع عندما تأتي سيرتها تارة بقول (الله يعافينا) وتارة بقول (الله يستر على ولايانا) ومن ذلك القبيل كثيراً ، الكل تناسى القصة ، تنـاسى "فرحة" نفسها وكأنها لم تعش بينهم يوماً ، وكـأن معظمهـم لـم يلقبهـا ب"ست الحزن والجمال" ، ألم يتمنى معظمهم ابنة مثلها قبل ذلك ؟ ، ولكن هو ذلك طبع البشر ينسون كل الجميل بعد أول موقف سيء يرونه منك .

حاولت والدة "فرحة" أن تفتح دكان البقالة مرة أخرى ولكن كسدت سوقه لأنه تمَّ فتح سوبر ماركت كبير بجواره ، فكان الكل يشتري منه ، فلم يتبقى

لهم إلى بعض الجنيهات التي يتقاضونها كـ"معاش" من الحكومة ، بعـض الجنيهات التي لا تكفي حتى متطلبات المنزل الأساسية .

*****

٢٩

عادت ريمة لعادتها القديمة

استسلم "فادي" لتفكير والده وبدأ يذهب معه الشـركة كل يوم وينصـرف معه في نهاية اليوم ، ساعات مملة رتيبة يقضيها في الشركة لا يفعل شيئاً غير أنه يأكل ويشـرب ويشاهد تلفاز قد أحضره إلى مكتبه كنوع من أنواع الترفيه ، هاتفه لا فائدة منه في مثل هذا الوقت خصوصاً أن معظم أصدقائه في هـذا الوقت نائمون بعد سهرة كان على وشك أن يُحرم منها ولكنـه اسـتطاع أن ينظم وقته ويرتب حياته ، يسهر ليله مع أصدقائه وفي الصـباح يـذهب إلى شركة والده يقوم بألاعمال التافهة التي كلَّفه بها وباقي وقتـه في النـوم ثـم يذهب إلى المنزل ويكمل نومه إلى أول الليل ثم يكرر ذلك يومياً في رتابة وملل ولكن هذا يرضي جميع الأطراف ما عدا طرفٌ واحد وهو "علا" زوجته التي كانت في تعيش في سجن بدون سجَّان ، اسمها حرم "فادي عزيز" زوجهـا الذي لا تراه إلا بعض دقائق فقط حين يرجع من الشركة مع والـده لتنـاول طعام الغذاء سوياً وهذا هو الوقت الذي تتجمع فيـه الأسرة كاملـة وبعـدها ينطلق "عزيز" لمتابعة باقي عمله وتنطلق زوجتـه إلى نواديهـا وأصـدقائها و"فادي" يذهب إلى نومه كعادته وهي لا تدري مـاذا تفعـل ؟ لا شيء يمـلأ

فراغها ، كانت تطلب منه أن يصطحبها معه في سهراته كما كان يحدث قبل زواجهما فكان يرفض ، وفي يوم قررت أن تذهب معـــه وتُصرُّ على رأيهـا ، فعندما استيقظ وجدها تلبس ثيابها ومستعدة للخروج فاقترب منها قائلاً :

- رايحة فين في وقت زي ده

اقتربت منه بدلع لم يعتاده منها :

- رايحة معاك ، عندك مانع ؟؟؟؟

نظر إليها بطرف عينه قائلاً :

- امشي يا ماما اقلعي هدومك وعدي ليلتك على خير

ثم دخل الحمام وأخذ حماماً سريعاً وارتدى ملابسه وهمَّ بالخروج فأوقفتـه قائلة :

- أنا قولت هخرج معاك ، ورجلي على رجلك ، أنا زهقـت مـن القعـدة لوحدي هنا ، مش لاقية حاجة أعملها ، انت يا إما بره يا إما في الشركة يا إما نايم ، وأنكل "عزيز" طول اليوم بره ، وتنط برضه طول اليوم بره ، وأنا قاعدة لوحدي أعمل إيه يعني

قال بسخرية :

- اعملي شاي واشربيه

همَّ بالانصراف مرة أخرى فأوقفته قائلة :

- يا "فادي" أنا مش قادرة أستحمل أكتر من كده ، وبعدين فيها إيه لما أخرج وأسهر معاك ، ما أنا طول عمري بسهر معاك
- لا يا ست هانم ، الموضوع يفرق دلوقتي ، انتي مرات "فادي عزيـز " وبتشيله اسمه ، يعني مينفعش تعملي غير اللي بقولك عليـه وبـس ، وأنا قولت كلامي ومش عايز مناقشة ، ولا انتي بتحبي ترغي كتير
- وأنا قولت رجلي على رجلك يعني رجلي على رجلـك ومـش هرجـع في كلامي ، أنا عايز أعرف انت خايف أسهر معاك ليه

ضحك "فادي" بشدة ثم قال :

- خايف ... أنا أخاف منك انتي ... انتي اتجننتي ولا إيه
- آه اتجننت يا "فادي" ، انت مدام مش عـاوز تاخـدني يبـق رجعـت تاني للشقة إياها وسهراتك المشبوهة ، عادت ريما لعادتها القديمة
- آه رجعت يا "علا" تحبي تيجي معايا عشان تسـاعدي البنـت الـلي جايبينها عشان متحسش بالوحدة

نظرت إليه ولم تستطع أن تمنع دموعها من النزول فقالت :

- هتفضل طول عمرك قذر وبتتلم على القذارة اللي زيك

أسكتها بصفعة على خدها جعلت حلقها الذي ترتديه يسقط أرضاً من فرط قوة الصفعة وغادر المكان دون أن يبالي بما فعل .

ذهبت "علا" إلى سريريها ومخدتها التي احتضنتها بشدة وهي تبكي بطريقة هستيرية ، لا تصدق ما بها والحال التي وصلت إليه ، كيـف يعاملهـا بهـذه الطريقة ؟ ولماذا ترضى هي بهذه العيشة ، فنهضت من فورها وجمعـت مـا طالته أيديها من ثياب ووضعته في حقيبتها وانطلقت إلى منزل أبيها ، حيـث كانت ملكة البيت وسيدته الأولى ، انطلقت بسيارتها ووصلت منزل أبيها وفي وسط تساؤلات من والدتها ووالدها بكلمة واحدة : (إيه اللي حصل) **لم تـرد وصعدت إلى حجرتها وأغلقت بابها عليها ، وانخرطت في البكـاء فضَّـلت أن تبكي في حجرتها وعلى سريرها الذي شهد لحظات ميلاد ذلك الحب الذي كان سبباً في ذلها وإهانتها وكسرة نفسها ، الحب الذي تمنته كثيراً وجرحها بـلا مبالاته وعِنده وفجوره ، ظنت أنها ستستطيع أن تغيره وتجعله كمـا تريـد ولكنها نسيت أن بعض الظن إثم .**

تمادى "فادي" فيما كان يفعله ، ورَكَنَها هي في آخر زاوية من زوايا حياته ، زاوية لا يراها فيها بعيداً عن ناظريه ، كانت لا تعلم أهو يقصد ذلك أم أنـه فعل ذلك بدون قصد ، هل تعمَّد أن يذلها لأنها كانت سبباً في فشل خطتـه ،

الخطة التي خطها لإيقاع "فرحة" في شباكه ، كل ما تعلمه أنه ستطلب مـن والدها أن يطلقها منه !!!! نعم ستطلب ذلك بالرغم من أنها لا تريده ولكن لا فائدة من وجودها مع شخص لا يراها إلا في آخر زاوية من زوايـا حياتـه ، شخص يراها فقط المرأة التي تحمل اسمه ، شخص لا يكلـف نفسـه حتـى الإبتسامة حين يقابلها .

مرَّت الليلة الأولى عليها بسلام بعدما فضّل والديها أن يتركاها حتـى تهـدأ ، وبالفعل في صبيحة اليوم التالي استيقظت "علا" بنشاط وقد أعـدت فطـاراً بسيطاً وجلست تأكله ، حتى أن أحد الخادمات عرضت عليها أن تُجَهِّزَ لهـا الطعام فأبت إلا أن تعده بنفسها .

جلست والدتها بجوارها في حالة من الدهشة وفي رأسها كثيراً من التسـائلات فقالت لها :

- نورتي بيتك يا بنتي ، بس ....

قاطعتها "علا" بنظرة خبيثة ثم قالت :

- بس إيه اللي خلاني أسيب بيت جوزي في وقت زي ده ، مـش هـو ده اللي عايزة تقوليه يا ماما

ألقت من يدها لقمة كانت تنوي أن تضعها في فمها و نهضت من على المائدة وتحركت ناحية كنبة وخلفها والدتها فقالت لها :

- يا بنتي ، احكيلي طيب ، إيه اللي حصل
- كالعادة يا ماما هتطلعيني غلطانة ، وهتقوليلي حـافظي عـلى بيتـك وجوزك ، وكل الرجالة كده ، فأنا بقولك وَفَّري على نفسك كلام انتـي قولتيه ميت مرة عشان المرة دي غير كل مـرة ، أنـا زهقـت وتعبـت وقرفت

تنهدت الأم دلالة عن عدم الارتياح وقالت بغضب :

- هو احنا مش هنخلص من الموال ده ، عارفة أبوكي كـان مسـتحلفلك لولا إني حوشته عنك ، بيقول إنك مش ناوية تجيبيها لبر

وعلى سيرة والدها وجداه يقف أمامهما قائلاً :

- خير يا "علا" ، مش كنا اتكلمنا قبل كده يا بنتي وفهمتك كل حاجة ، هنعيده تاني
- يا بابا مش قادرة أكمل ، بيعاملني وحش ، وحـش إيـه ... ده مـش بيعاملني أصلاً ، كأني كرسي أو كنبة محطوطة للـديكور في البيـت ، كل ما أبص ف عنيه أحس إنه مغصوب عليا ، واللي زاد وغطـا البيـه بيعترفي إنه بيعرف ستات تانية عليا ، وقالهالي بعضمة لسانه إنه لسه بيروح الشقة اللي كان بيروحها قبل الجواز

قال الاب غاضباً :

- انتي حمارة مبتفهميش ، قولتلك استحملي شويا ، عايزة تدمري كـل حاجة ، انتي تقومي ترجعي بيت جوزك وتعتذريله كمان

لم تدر ماذا تقول له ؟ هل هذا حقاً والدها ؟ والدها يرضى بكل سهولة إهانة كرامتها بهذه الطريقة ، يبيعها ثمناً لمصالح شخصية ، لا يبالي بإحساسها أو مشاعرها ، لم تجد في عالمها من يقف بجوارها ويساندها ويشعر بها .

بالفعل رضخت لرأي والدها ورجعت منكسرة الخاطر حيث سجنها ومحـل تعاستها وعندما رجعت وجدت "فادي" في انتظارها فلم يتحدث ولم يسأل لما تركت المنزل فقط نظر إليها نظرة انتصار وابتسامة ساخرة ، فانطلقت من فورها إلى حجرتها .

هذه المرة لم تبكِ ولم تندب حظها فقط جلست أمـام المـرآه تتأمـل وجههـا الشاحب ، فوجئت بما وجدت ، لقد وجدت وجه تاني غير وجهها ، وجه سيدة في الخمسين وليس فتاة في مقتبل عمرها ، فتاة قد كان كل من يراها يحلـف

بجمالها ، فتاة كان عُشاقها يرتمون تحت قدميها ، كان العشرات يتمنون منها نظرة أو حتى كلمة ، ظلت ترثي حالها وما وصلت إليه .

نهضت من أمام المرآه وجلست على سريرها وأمسكت هاتفها علَّها تجـد مـا يسليها ، فتحت حسابها على "الفيس بوك" وقد كانت أغلقته من فترة وبدأت تقلب في منشوراته بملل ، ولكن وجدت في ذلك الصبر والسلوان عما هي فيه .

*****

٣٠

تواصل إجتماعي

تعمّقت "علا" في عالم "الفيس بوك " فهو عالم جميل ، يجذب إليه الضالّين الذي لا يجدون من يصادقهم في الحقيقة فيجدوا فيه مبتغاهم ، بدأت تشترك في أكثر من مجموعة ، معظمها تحت عناوين مزيفة غرضها جذب الضائعين من أمثلة "كلام في الحب " أو "مشاعر حائرة" ومعظم هذه المجموعات على "الفيس بوك" يديرها شباب وغرضهم الأساسي التعرف على الفتيات من أجل إقامة علاقات إليكترونية مشبوهة نادراً ما تسفر عن علاقــة جــادة تنتهــي بزواج.

وجدت "علا" مبتغاها ، كانت تشعر بالسعادة عندما تكلم شاباً حتى يقع في حبها ويغرق في بحر هيامها حتى إذا وصل حبها في قلبه آخره كانت بــدون أسباب تحذفه من حسابها بخاصية "بلوك" حتى تشفي غليلها ، مِن مَن ؟ لا تدري ، لما تفعل ذلك أيضاً لا تدري ، ربما لمجرد التسلية وإضاعة الوقت .

أخيراً وجدت "علا" ما يؤنس وحدتها "الفيس بوك" وجـدت فيــه ضــالّتها باسمها المستعار "وردة البستان" ، كانت مشهورة بين شباب "الفيس بوك" بأنها سفَّاحة الرجال لأن كل من يقرب منها حتماً نهايته ليست سعيدة .

كان "فادي" يشك في أن في الأمر شيئاً ما خصوصاً أنها غيَّرت معاملتها معه ، أقصد لم تعد تناقشه كما في السابق ، لم تعد تؤنبه على سهراته وتأخره وكان ذلك بالنسبة له مريحاً إلى حد ما .

لم يناقشها في شيء وذلك ما أشعله نارها أكثر وأكثر ، لهذه الدرجة لا تفرق معه لهذه الدرجة من اللامبالاة بها وبمشاعرها ، أي رجلٍ هذا الذي لا يغــير على زوجته ، يراها مشغولة بهاتفها ليلاً ونهاراً ولا يسألها مع من تتحــدث ، وكأن جينات الغيرة هو لا يمتلكها ولا يعرف عنها شيئاً .

في واحدة من تلك الليالي بعد مناقشات طويلة مع أحد أصدقائها على "الفيس بوك" استطاع أن يقنعها بأن تخرج لتقابله في أحد الملاهي الليلة ووافقت على مضض وأقنعت نفسها بأنها ستخرج وتعود قبل أن يعود "فادي" ، وبالفعل خرجت مع ذلك الشاب ورقصت وشربت وفرحت وعادت ونامت وكأن شيئاً لم يكن ، وجاء "فادي" فتصنَّعت النوم ومرت الليلة بسلام .

شجَّعها ذلك على تكرار تلك الفعل اليوم التالي والتالي والتالي حتى أصــبحت تقريبا تخرج كل يوم وعندما تمل من أحدهم كانت بسهولة تجد غيره حتــى كوَّنت شبكة من العلاقات الشبابية ، كل يوم كانت تجلس في حيرة ، يا تــرى مع من ستخرج هذه الليلة ، من عليه الدور في أن تخرج معه ، كانــت كلمــا اختلت بنفسها يؤنبها ضميرها على تصرفاتها تلك ، ولكن كان تُسكته ببعض الحجج التي تختلقها لنفسها لتبرر تصرفاتها ، قدرها أن الشــخص الوحيــد الذي أحبته يفعل بها كذلك ، كان لابد أن تفعل هي كذلك والبادي أظلم.

بضعة أسابيع وهي على هذا الحال ، لا جديد ولكن تلك الليلة حدث ما كانت تخشاه أو تنتظره ربما ، رآها "فادي" ترقص مع أحدهم في أحــد الملاهــي

ويضحكان سوياً ، ويتمايلان وهو يضع كلتا يديه في وسطها ، فجـأة وجـد الدماء تغلي في رأسه ، لا يعلم أهي غيرة أم ماذا ؟ ، ولكن طباعه الشـــرقية تُحَتِّمَ عليه عند رؤية موقف مثل هذا أن يتصـــرف ، انطلـق إليهـا كطلقـة الرصاص التي خرجت من بندقية قناص محترف تعرف بالضبط هدفها ولن تخطئه .

عندما رأته قادمٌ إليها لم تدرِ ماذا تفعل ؟ فقط وضعت تلك يديها على وجهها وكأنها تواجه شبحاً لا محالة ملتهمها .

بقبضة من يده ضرب الرجل الذي كان يرقص معها ثم اقترب منهـا وبعـد ثواني من النظرات رأت فيها عينه وكأنهما تحولتا إلى جمرتين مـن جهـنم ، أمسك بذراعها وضغط عليه حتى أوشكت أظافره أن تقتحم جلـدها وتنفـذ منها وتسلم على بعضها .

شعرت بقسوة قبضته لها فصرخت فضربها بكفه ثم سحبها خلفه إلى السيارة وألقى بها داخلها وانطلق بسـرعة البرق إلى المنزل ، وعنـدما دلفـا البوابـة الخارجية أوقف السيارة ، فنزلت مسـرعة وجرت إلى غرفتها ، فـأغلق بـاب السيارة بعنف وانطلق خلفها كمن يُجهز نفسه لمعركة عنيفة مع ألدِّ أعداءه .

وصلت هي قبله إلى حجرتها وأغلقت الباب خلفها بالمفتاح وجاء هو خلفهـا مسرعاً حاول أن يفتح الباب فوجده مغلقاً فقال بصوت بدا منه الشر :

- افتحي

لم يأتيه رداً من الداخل فكرَّر كلمته مرتين أوثلاثة ، وبعدها سمع صوت تكات المفتاح تدور داخل الباب ففتح الباب فوجدها تجري حتى وصـلت إلى آخـر ركن في الغرفة وتبدو عليها علامات الخوف وظل ينظر إليها بقسوة وتنظـر إليه بخوف ، وكل منهما يبحث عما يقوله فقال هو بهدوء لا يعرف من أيـن أتى به ؟ :

- ممكن أعرف اللي حصل ده معناه إيه ومن امتا ؟

طريقته في الكلام طمأنتها قليلاً فقالت بتردد :

- أنا زهقت من القعدة ، وانت مش بترضى تخرجني معاك ، أعمل إيــه يعني

وجد نفسه يسألها قائلاً :

- مين الزفت اللي كنت بترقصي معاه ده ، وازاي يحط إيده على وســطك كده

لم تستطع أن تمنع ابتسامة وجدت طريقها إلى شفتيها ، فقد شعرت بالفرحة حين شعرت في نبرة كلماته ببعض الغيرة عليها ، اقتربت منه واحتضنته وقالت بحب :

- انت بتغير عليا

انتابته بعض القشعريرة حين لامست يديها خده وشفتيه وقال كمن يصحح خطأً :

- لا مش مسألة غيرة ، بس منظري إيه قدام الناس لما يشوفوا مراتي أنا "فادي عزيز" بترقص مع واحد غريب ، انتي نسيتي انتي مرات مين ولا هتستعبطي

تلاشت ابتسامتها بعد كلماته تلك ، فتأففت بغيظ وتركته وهمّت بالانصــراف من أمامه فأمسك بذراعها قائلاً :

- أنا مش بكلمك سايباني ورايحة فين

وقفت أمامه في نفاذ صبر وتعلم أنه ينوي أن يُملي عليها بعض التعليمات التي لا شك أنها تعرف ماهيتها فقال لها :

- لو عرفت إن اللي حصل ده اتكرر تاني هيبقى آخــر يــوم في عمــرك ، انتي فاهمة ولا لأ

تركته بعدما أبعدت يده عن ذراعها بالقوة وألقت بظهرها على السرير وعندما رآها كذلك جلس بجوارها ، ما بين سخط على ليلته التي ضاعت بسببها ومــا

بين بعض نظرات الإعجاب التي تفحص بها جسدها كله ، كانت هذه مرة من المرات القليلة التي يحن عليها فيها ويعطيها بعض حقوقها كإمراة متزوجة ولكن لم تكن تشعر لها بحلاوة لأنها بدون احساس بدون مشاعر فقط كما تفعل الحيوانات .

أنجز "فادي" مهمته بنجاح وأخرج سيجارة وأشعلها وأخذ ينفث دخانها غير مبالياً بكتلة المشاعر الملقاة بجانبه ، كان يفكر بطريقة حيوانية فقط يحتاجها كبديل كما حدث في هذه الليلة ، عندما لا يجد مبتغاه في الخارج يبحث عنه في داخل المنزل على عكس كل البشر .

قررت بعدها "علا" ألا تخرج من البيت لتلك السهرات مرة أخرى ولكن علاقاتها الإليكترونية ما زالت مستمرة بل زادت وتطورت أكثر مما كانت عليه .

لا تنسى تلك الليلة التي كانت تجلس على سريرها تقلب في صفحات الفيس بوك شعرت بملل ، تركت الهاتف على السرير ونهضت تبحث عن شيئاً تأكله فانتبهت على صوت رسالة على برنامج "الواتس أب " .

وجدت يدها تلقائياً تفتح الهاتف وتفتح البرنامج لترى رسالة من رقم مجهول نصها :

- " ازيك ، أنا شفت كتير بس مشفتش جمال زي كده وصعبان عليا الجمال ده ما يلاقيش اللي يقدره "

لم تدري هوية الشخص ، فكان الحل هو البحث عن هويته في تطبيقات الأندرويد التي تكشف عن هوية المتصل فلم تصل لشيء ، كاد الجنون أن يقتلها ، من ذلك الجرئ الذي يعرف رقم هاتفها ويرسل لها مثل تلك الرسالة الجريئة والتي تدل على أن صاحبها يعرف عنها الكثير جداً ، كان من الممكن أن تضع الرقم في القائمة المحظورة ولكن حالة الفراغ التي تعيشها جعلتها

تقرر أن تخوض تلك الغامرة ، وجدت نفسها تفتح الشات بينها وبـين هـذا الرقم وتكتب :

- "انت مين ؟!!!"

لم تنتظر قليلاً حتى جاءها الرد سريعاً :

- " أنا حد جايلك وفاتح ليكي أبواب السعادة "

ابتسمت ثم كتبت :

- " انت مين ؟؟؟ وعايز مني إيه ؟!! "

انتظرت حتى ظهرت العلامتين الزرقاوين دليل على أن الطرف الآخر قد قـرأ الرسالة ولكنه لم يرد ولم يظهر أعلى الشاشة أنه يكتب ، وكأنه أراد أن يلعب على أوتار الصبر لديها فكتبت له :

- "لو مقولتش انت مين ، واتكلمت بصراحة أنا هعملك بلوك "

قرأ رسالتها فزادت ضربات قلبها حين رأت أنه يكتب الآن وبعـد قليـل لـم تصلها إلا رسالة تحتوي على بعض الإيموشنات الضاحكة فكتبت له :

- " انت مستفز "

رد بسرعة :

- " وانتي قمر ، ومفيش زيك "

كأي فتاة في سنها أعجبتها جداً الكلمة فابتسمت ولم تدري ماذا تكتب له ؟ ، فنهضت ووقفت أمام المرآه وكأنها تتأكد من الكلمة ، تتأكد من أنها ما زالت جميلة فاتنة ، وقفت أمام المرآه وأخذت تنظر لتفاصيل جسدها بإغراء كادت أن تنساه ، لقد حققت الرسالة ما ينشده صاحبها وما يقصده ، أرادهـا أن ترى أنها ما زالت صغيرة في ريعان شبابها .

ذهبت مرة أخرى إلى سريرها وأمسكت بهاتفها وفتحت الواتس أب فوجدته ما زال متصلاً فاندهشت لمَ لم يبعث شيئاً آخر ، وجدت نفسها تسبه وتلعنه لا تدري لماذا ؟ جلست تفكر ماذا تفعل ؟ وجدت نفسها تكتب "انـت مـين ؟"

وقبل أن تضغط على زر إرسال مسحت ما كتبته ، وجدت نفسها تكتب "عايز مني إيه **" وقبل أن تضغط أيضاً إرسال مسحت ما كتبه فوجدت تحت اسمه كلمة "يكتب ...." فعلمت أنه يكتب لها شيئاً فانتظرت وانتظرت وهو ما زال "يكتب ....." ترى ماذا يكتب ؟ شعرت بالملل بعـد الدقيقـة الأولى والثانيـة والثالة وهو ما زال يكتب وأخيراً وجدت رسالة نصها :**

- " محتارة طبعاً تكتبيلي إيه ، كتبتي أكتر من جملـة ومسـحتيها ..... صح "

وجدت نفسها تكتب :

- "لا مش صح ... انت عايز مني إيه "
- " يبقى أنا صح ..... المهم أنا عايزك تديني فرصة أعرفك على نفـسي أكتر وصدقيني مش هتندمي "

لم تدرِ ماذا تكتب له؟ ، هل تخبره أنها موافقة ، أم ترفض تلك الصداقة المريبة المجهولة ولكنه لم يدعها تفكر كثيراً ، وصلتها منه رسالة أخرى نصها :

- " اسمي أدهم ، صحابي القريبين مني جداً بيقولولي يا أدهومة وانتي كمان شكلك قريب هتقوليلي كده "

ابتسمت ابتسامة غريبة وكتبت له :

- " يا سلام ...."

" انت مغرور أوي على فكرة "

رد بسرعة :

- " لا .. دي ثقة بالنفس "

" ممكن أكمل كلامي "

صمتت قليلاً قبل أن تكتب :

- " أوك .... كمل "

كتب لها بسرعة :

- " كنت متأكد "

" أنا متابع الصفحة بتاعتك على الفـيس جـدا وعـاجبني المحتـوى بتاعها جداً بس فيه ملحوظة صغيرة

بتلقائية كتبت :

- "إيه ؟ "
- " بالرغم من إنها معظمها بوستات رومانسية بس انتي محرومة جداً منها ، بالرغم من بوستات الضحك والهزار الكتيرة اللي بتنزليهـا إلى إنك انتي من جواكي حزينة حزينة أوي !! .... طبعاً هتسألـيني عرفت منين ؟

لم ترد غير برسالة مضمونها :

- " ....."

فهم هو ما تقصده بهذه النقاط فبعث لها :

- " إحساسي قاللي ، وأنا احساسي مبيخبش أبداً "

وبعدها ظهر لها أنه غير متصل الآن، فانتظرت وانتظرت حتى غلبها النـوم فنامت ، لم تدرِ كم من الوقت مرَّ عليها وهي نائمة ولكنها عندما اسـتيقظت وجدت نفسها تفتح هاتفها لترى هل بعث رسالة أخرى أم لا ؟ ولكن خـاب ظنها فإسمه كان آخر ظهور له على البرنامج (خاصية من خواص الواتس أب) عند آخر رسالة بعثها لها .

زاد حُنقها عليه وغيظها منه ، فَكَّرت أن تتصل به ولكن عزة نفسها منعتهـا عن ذلك .

مر يوم أو يومين ولا جديد ، كانت كل دقيقة تفتح هاتفها ربما يكون قد بعث بشيء آخر ولكن لا جديد ، لم يفتح هاتفه مرة أخرى ، ولم يبعث بأي رسالة أخرى ، كانت تستغرب نفسها وتتسائل ، كيف استطاع هذا الشاب أن يستولي

على معظم تفكيرها ؟ بمجرد أن بعث لها برسالة أو برسالتين غامضتين فعل بها كل هذا .

في اليوم الثالث وهي تقلب في صفحات الفيس البوك وجدت طلب إضافة من حساب اسمه غريب " نسيب دراكولا" ، فتحت تلك الصفحة لترى محتواهـا فلاحظت شيئاً غريباً ، معظم بوستات الصفحة تتحدث عن أنه "روميو القرن الحادي والعشرون " وأنه ساحر معظم نساء العالم ، كل منشوراته تتحدث عن ثقته بنفسه ولكن ما جذبها أكثر هو المنشور الأخير على الصفحة ، كـان نصه "ذلك الحب الحقيقي الصادق الصـافي الطـاهر الـذي يلامـس الـروح ويتغلل فيها بِلُطف وَرِقة أو فجأة بدون مقـدمات وإسـتاذان .. إنـه فعـلاً .. الحب المستحيل الذي أصبح ليس لـه وجـود إلا في كتابـات وخيـال الشـعراء وأحلام المراهقات أما الواقع فإنه إنقرض ... ومنذ قرون "

كانت "علا" تكره أصلا الحديث باللغة العربية ولا تفهمه ولكن وجدت نفسها تقرأ المنشور وتعيد قرائته أكثر من مرة ، شعرت بأنه مُوَجَه إليها وزاد مـن حيرته أول تعليق على المنشور لأحد أصدقاء صاحب المنشور يقول له " حـب جديد ولا إيه يا أدهومة **" وكان رد صاحب الصفحة "** ملكش دعوة **"**

فهمت "علا" أن صاحب الصفحة هو ذلك الشخص الذي يحادثها على الواتس فلم تتردد لحظة في قبول الإضافة وبعدها بثواني وجدت رسالة نصها :

- " شكراً على الإضافة "
- " العفو على إيه "
- "وحشتيني على فكرة "

لم تصدق ما قرأته ، كيف له أن يقول لها ذلك لم تدرِ ماذا تقول له؟فسكتت فوجدت رسالة على الواتس من نفس الشخص نصها :

- "طب خلينا هنا أحسن "
- "انتا عايز مني إيه"

- "انت مش انتا ، انت مفيهاش ألف يا متعلمين يا بتوع المدراس "

ابتسمت فوجدت رسالة أخرى نصها :

- "بتضحكي صح ، أنا عارف إني دمي خفيف"
- "غلس على فكرة ، ومضحكتش "
- " طب عيني في عينك كده "
- "هنعملها ازاي دي يا فالح "

أرسل لها بعض الرموز التعبيرية التي تحتوي شكل العين فأرسلت إليه بمثلها وبعدها بعض الرموز الضاحكة فأرسل :

- " أيوه يا شيخة اضحكي بلاش كئابة "
- " تشكر يا ذوق ، قصدك إني أنا كئيبة يعني "

كان الرد الطبيعي هو أن يعتذر عن تلك الكلمة ولكنها بعث لها قائلاً :

- " هو لحد المرة اللي فاتت كنتي كئيبة جداً بس النهارده بدأنا نفك أهو ، ودي حاجة حلوة "
- " يا سلام ، بس بوستاتك حلوة على فكرة "
- " بصراحة ... مفيش أحلى منك "

أعجبته الكلمة ، فسكتت فسألها :

- "مالك ؟ ساكتة ليه ؟"
- " مش ملاحظ إنك أوفّر حبة "

ظهر أمامها أنه قد قرأ الرسالة ولكنه لم يرد بعثت له " ؟؟؟؟" قرأها ولم يرد وبعد قليل وجدت هاتفها يرن ، كان هو بعد تردد أجابت قائلة :

- ألو
- صوتك حلو برضه

احمَّرت وجنتاها وسكتت فقال :

- فيه إيه تاني ؟

- كسفتني
- الصلاة ع النبي
- عايز إيه ، وياريت من غير لف ودوران ، انت فجأة اقتحمـت حيـاتي وأنا مش فاهمة حاجة
- والله ولا أنا فاهم ، بس عارفة لما حد يشوف حد ويدخل قلبه من أول مرة ، يحس إن دي اللي ياما بيدور عليها

كانت مع كل كلمة تشعر بقلبها يدق بشدة ، تعلو ضرباته ، فقالت له :

- أنا ؟؟!!!

سكت قليلاً وبعدها قال بإلقاء شعري جعلها تطير بدون جناحين :

- قادني الشـــوقُ إليكِ .. يا أملي الجمـيلْ .. أعلم أن عشقي إليكِ كفجرٍ يعشقُ شمسَ الأصـيلْ حُـبٌ مستحـيلْ .. وقلبٌ علـيلْ ... وما عـدتُ أرضى بغيركِ اليـومَ بديـلْ .. فأنتِ من إمتلكَ شغافَ القلـبِ .. وأنـتِ للروحِ عديـلْ .. حـبٌ مستحيلْ.

للمرة الثانية تجد حلاوة في كلمات باللغة العربية الفصحى وتفهمها وتحبها وهي التي كانت لا تطيقها ، سكتت لا تدرِ ماذا تقول ؟ فقالت :

- وبعدييين ؟
- وبعدين إيه ؟
- ممكن تبطل كلامك ده ؟
- حاضر

كان بداخلها شعور متناقض تجاه هذا الشخص ، كان من الممكن أن تسايره حتى يقع في شباكها وتتركه كما فعلت مع غيره ولكن هذه المرة يبدو أنها هي التي وقعت في شباكه ، لا تدرِ هل من حق قلبها أن يدق مرة أخرى لشخص ما ، وما آخر ذلك الشعور الغريب ، وما أساسه أصلاً ، شخص كلَّمها منذ يومين

أخبرها أنه معجبٌ بها ، لماذا تتلهف لكلماته بهذه الطريقة ؟ أسئلة كثيرة ليس لها إجابات محددة .

أغلقت الخط معه بعد نصف ساعة من الحديث ، تحدثا في كل شيء ، فوجئت من أنه يعرف أنها متزوجة ، فوجئت بأنه يعرف من زوجها وسلطة والده وجبروته ومع ذلك مُصِر أنه يُكَّمِل معها ، فوجئت من أنه يراقبها من فترة وأنه لا يعجبه ما تفعله لتهرب من واقعها المرير .

بعد بضعة أيام أصبح "أدهم" أقرب إليها من نفسها يتحدثان تقريباً معظم اليوم ، يخبرها بأدق تفاصيل يومه ، وهي أيضاً تشاركه جميع تنفساتها جميع شهقاتها وزفراتها ، تقضي معه معظم يومها إما على الهاتف يتحدثان أو على أحد تطبيقات التواصل الاجتماعي .

في مرة من المرات وجدت هاتفها يرن وكان هو فأجابت :

- ألو
- بحبك
- كده مرة واحدة
- امال على مرتين ، وبعدين إيه البواخة دي ، في حد لما يتقاله بحبك يرد بكده
- امال يرد ازاي
- يقول وأنا كمان ، أنا أكتر ، الرد بتاع الناس الطبيعي
- بس احنا وضعنا مش طبيعي

تأفف "أدهم" ثم قال :

- رجعنا للكلام اللي مفيش منه أي فايدة ، يا "علا" أنا بحبك ومش هقدر أعيش مع غيرك ، ورافض كل حياتي لو انتي مش فيها
- بس أنا مش ليك يا "أدهم" مش ليك ، ولازم تعرف كده كويس ولازم تتعامل معايا على الأساس ده

- كده انتي بتموتني حبنا
- الحب ده لازم يموت ، مكانش أصلا مفـروض إنـه يتولـد ، مكـانش مفروض يبقى موجود ، لأنه محكوم عليه بالموت من يوم ما اتولد بس أنا عبيطة ، كان لازم أخد بالي من ظروفي قبل ما أسمح لقلبي يتدبس في حاجة زي دي ، لازم نفوق يا "أدهم"
- نفوق من إيه ، أنا عايزك وممكن أحارب الناس كلها عشان خـاطرك وده مش كلام وبس ، أنا مستعد أعمل أي حاجة عشان خاطرك

كانت دائماً تذكره بظروفها السيئة ، بزوجها الذي لن تسـتطيع أن تنفصـل عنها ولكنه في كل مرة يخبرها بأنه راضٍ عن كل ظروفها وأنه سيقف بجوارها حتى تتحرر منه .

****

حاولت أن تتحدث مع "فادي" بلين وتطلب منه أن يطلقها ولكنه لـم يقبـل أكثر من مرة وكان دائماً يقول لها :

- اوعي تفتكري إني دايب في غرام سيادتك ومقعدك جمبي عشان أتملا في جمالك ، قولتلك من الأول أنا اتجوزتك عشان أرضي بابا بس
- وأنا زهقت مش قادرة أكمل ، طلقني أبوس ايدك ، اعتقني لوجه الله

ضحك "فادي" ضحكة عالية ثم أومأ برأسه بالرفض قائلاً :

- لأ ..

وعاود ضحكاته الساخرة وتركها وانصرف ، تاركاً لها جبلاً من الهموم يُثقل ظهرها ، كانت تشعر بأنه يتفنن في جرح مشاعرها ، تظن أن يفكر قبـل يـا يحدثها وينتقي الكلمات الجارحة التي تذبح و تقتل .

أرادت أن تنتقم منه ، ولكن ماذا تفعل ؟ وجدت يدها تمسك بالهاتف وتطلب رقمه فأجاب وكأنه ينتظر فقالت له :

- انت قاعد على الزرار ولا إيه ، إيه السرعة دي ؟

قال لها بسرعة :

- هتصدقيني لو قولتلك إني حسيت إنك هتكلميني ، فمسكت التيلفون واستنيت ، وبعدين مخابش ظني وأديكي اتكلمتي ، ربنا ما يحرمني من صوتك أبداً يارب

بدون تفكير قالت له :

- ربنا يخليك ليا

لم يصدق ما سمعته أذنيه ، هل حقاً أخيراً بادلتـه بعـض المشـاعر ، أخـيراً شعرت به وبما يدور بداخله ، قال لها :

- إيه ده ... قولي تاني كده ، أنا مش مصدق وداني
- ليه يعني ، بلاش أوفرة قولتلك
- والله ما أوفرة بس أنا بجد جوايا كتير ، كتيير أوي
- ربنا يخليك ليا
- تاني ، لا كده كتير ، كتيير أوي

ضحك الاثنان ضحكاً كثيراً ، لأول مرة منذ فترة لم تضحك "علا" بمثل هـذه الطريقة ، كانت تشعر بأن "أدهم" هو هدية الله التي أرسلها لهـا في الوقـت الذي كانت أمس الحاجة له ، شعرت بقلبها يخفق من جديد ، ينادي باسمه ، استطاع أن يحتل قلبها وعقلها ، استطاع أن يسيطر عـلى جميـع حواسـها ومشاعرها ، سلَّمت زمام قلبها له ، جعلته يعلو ويطير بها إلى أعلى ما كانـت تتصور ، كانت في كل كلمة يقولها تشعر بأن قلبها يرفرف ، تشعر بأنها تود لو أن تحتضنه بذراعيها وتبكي على صدره ، تشكي له النار التي تحرق قلبها كل يوم ، تريده أن يقف بجانبها لتتخلص من ذلك الكابوس الذي تعيش فيه . استيقظت في ذلك اليوم على رسالة منه نصها :

- "وحشتيني أوي ، بصي بقى أنا عايز أشوفك ومش هتقولي بعدين زي كل مرة هستناك النهارده الساعة ٥ في كافتريا (.....) عارفاها طبعـا ... خلص الكلام ... بحبك أوي على فكرة ".

قرأت الرسالة فوجدت نفسها تقفز من أرجاء الحجرة من شدة الفرحـة ، لا تعلم هل لأنها ستراه ، أو لأنه قال لها أنـه يحبهـا ، أو للموضـوع بِرمتـه ، أمسكت هاتفها وبدأت تكتب :

- "موووافقة ... ب ح ب ك "

انتظرت أن يرد ولكنه قرأ رسالتها ولم يرد انتظرت وانتظرت وانتظرت حتى وصلت الرسالة ولكنها هذه المرة كانت رسالة صوتية ، ضغطت عليها فجـاء صوته يغني أغنية قديمة لعمرو دياب :

- "بعترف قدام عنيك
من النهارده أنا كلي ليك
سيبني أحبك يا حبيبي
وأنسى روحي بين ايديك
يا حبيب قلب الوحيد
هات ايديك نبعد بعيد
كل ما عيونك تاخدني
يتولد احساس جديد
هو ده اللي حلمت بيه
ضحكته نظرة عنيه
يا حبيبي وانت جمبني
تفتكر أنا هعمل إيه "

انتهت الرسالة الصوتية وأخذت معها قلبها وعقلها إلى رسالة أخرى ، فهـي ميزة أخرى تعرفها في "أدهم" صوته الملائكي الذي يخطف القلب ، كل يـوم

كانت ترى فيه شيئاً جديداً مختلفاً عن كل من قابلته في حياتها ، كل يوم يزيد في قلبها أكثر وأكثر ، كانت عندما تحادثه أو يحادثها تنـسى نفسها ، تنـسى حالتها السيئة ، تشعر وكأنها بنت في السابعة عشر وقد أحبها مـن اختـاره قلبها وهي اليوم ستخرج معه لأول مرة ، ستخرج معه من دون علم أهلها .

كانت الساعة الحادية عشر صباحاً ، حين نظرت في ساعتها ، نهضت ودخلت حمامها وأخذت دشاً بارداً حتى تَفِق ، ثم خرجت واتصلت بـالكوافير الـذي كادت أن تنسى طريقه وحجزت لنفسها ، وبالفعل ارتدت ملابسها وحين همَّت بالخروج وجدته أمامها يسألها :

- متشيكة ولابسة كده ورايحة على فين

انخلع قلبها عند رؤيته ولكن تمالكت وقالت :

- رايحة الكوافير ، بقالي كتير معملتش شعري ، أهو فرصة أغـير جـو وأشوف صحابي

بدا عليه أنه غير مصدق لما قالته ولكن قال :

- ماشي

وأوسع لها الطريق حتى تخرج .

*****

٣١

لقاء في الخفاء

خرجت "علا" من بوابة المنزل وهي تشعر أنها سجين قد خرج مـن سـجنه بعدما انتهت مدته ، انطلقت تعدو في الفراغ وكأنها طيراً قد ملَّ منه صاحبه وفتح له قفصه ، ذهبت إلى الكوافير وتزينت وكأنها عروس ستزف إلى زوجها بعد قليل ، خرجت منه قبل الميعاد بنصف ساعة ووصلت إلى المكان في الميعاد بالضبط فوجدته فارغاً تماماً من زبائنه فاستحسنت ذلك دخلت من البـاب فوجدت نادلاً يقدم لها شيئاً أشبه بكتاب وانصرف بسرعة ، فتحته فوجـدت فيه كلمة "اتجه إلى اليسار " "اتبع السهم" وجدت على الأرض سجادة وعليها سهم فاتجهت كما هو مشار حتى وجدت باباً زجاجياً مغلق ولكنـه زجـاج معتم لا يظهر ما خلفه ، فتحته فوجدت حجرة مظلمة إلا من ضوء شـمعة وبمجرد أن خطت بقدمها في الحجرة سمعت صوت موسيقى هادئة وإضاءة في جانب الحجرة على عازفي يحملون "الكمان" ويعزفون لحن أغنيـة قلبـي

ومفتاحه لفريد الأطرش واضاءة في الجانب الآخر للحجرة ليظهر "أدهم" وهو يغني :

- قلبي ومفتاحه دول ملك ايديك
ومساه وصباحه يسألني عليك
قلبي ومفتاحه ومفتاحه دول ملك ايدييييك

واقترب منها وأمسك يديها وجذبها إليه ورقصا سوياً وهو ما زال يغني على لحن الكمان بعدما دخل عازف الناي ليُضفي على اللحن جمالا وروعة :

- كان حبك شمعي فى يوم عيدي
وطفاه الدمع وتنهيدي
من يوم ما ايديك .... لمست ايدي
وكانك قلت .... يا نار قيدي
ومادام مشغول يا حبيبي
مش كنت تقول يا حبيبي
ده القلب جراحه.... من رمش عنيك
ومساه وصباحه .... بيسالني عليك
قلبي ومفتاحه مفتاحه دول ملك ايديك

أغمضت عينيها ، خوفاً من أن تنتهي تلك اللحظات الجميلة وألقت برأسها على صدره لتشعر بدفء قلبه وحرارته وحنانه .

ابتعد عنها قليلاً وهو ما زال ممسكاً بكلتا يديها ورفع رأســها حتــى ينظــر لعينها فقال لها :

- أوعدك من النهارده ، هعيش ليكي ، ليكي انتــي وبــس ، وهقضـــي الباقي من حياتي عشان أسعدك وأنسيكي كل حاجة وحشة شــفتيها من قبلي

بدون ما تدري وجدت دمعتين قد اتخذتا طريقهما على خدها فمسحهما بيده قائلاً :

- دمعك ده غالي عليا أوي ، صدقيني مش هقـدر أسـتحمل أشـوفهم ، العينين دي ما تخلقتش عشان تبكي

ثم أشار بيده إلى العازفين ليكملوا عزفهم وواصل هو غناؤه :

- ياللي ما يصعبش عليك غالي
وفي بحر هواك الموج عالي
والكلمة الحلوة اللى فى بالي
تحرم لو غيرك قالهالي
قلبي الحيران يا حبيبي
وعينيا كمان يا حبيبي
هجروني وراحوا ..... هايمين حواليك
ومساه وصباحه ..... بيسألني عليك
قلبي ومفتاحه مفتاحه دول ملك إيديك

ثم جلسا على منضدة كانت في وسط الحجرة مقابلةً ، كـان يقـرأ في عينيهـا مشاعرها المختلفة ، يقرأ خوفها وحبها وترددها فسألها :

- ساكتة ليه
- فرحانة ، قلقانة ، خايفة ، مشاعر كتير جوايا متلخبطة ، مش عارفـة أفهمها .... مش قادرة أفهمها
- فرحانة ... ده طبيعي ، قلقانة وخايفة ليه ومن إيه

فركت أصابعها في بعضها تردداً ثم قالت :

- خايفة أعلق نفسي بحاجة مش عارفة ممكن تحصـل ولا لأ ، عـارف على قد ما حبيتك على قد الخوف اللي جوايا من ناحيتك
- خايفة مني ؟!

- خايفة عليك ، خايفة متقدرش تكمل ، خايفة منقـدرش نكمـل مـع بعض ، حبنا مهدد بالموت في أي لحظة ، خايفة تسـيبني وأنـا مـش حمل فراق تاني ، مش هقدر ، أنا كنت عايشة شبه ميتة وانـت الـلي رجعتني للدنيا تاني ، انت اللي خليتني أصدق إن الدنيا لسـه بـاقيلي فيها حاجات حلوة كتير من حقي إني أعيشها وأشـوفها ، انـت الـلي مليت عليا حياتي كلها ، من يوم ما عرفتك والـدنيا احلـوت ف عنيـا بس ...

ثم خبأت وجهها في كفيها فقال لها مستنكراً :

- بس إيه ؟ ... أنا وانتي يا "علا" شفنا بعض بعد ما كان كـل واحـد فينا في ناحية ، كل واحد فينا لقـى الـلي محتاجـه في التـاني ، ربنـا بيخلينا نقابل ...

قاطعته قائلة :

- نقابل الناس الصح في الوقت الغلط ، ليه أنا وانت منتقابلش من زمان
- مش يمكن دي حكمة ربنا ، عشان تعبتي كتير ، فربنا حـب يكافئـك ويعوضك عن كل اللي شفتيه ... بقولـك إيـه هـو أنـا عامـل الجـو الرومانسي ده ومكلف نفسي التكاليف دي كلهـا وجايبلـك بيتهـوفن بزمارته دي عشان تنكدي علينا

ابتسمت برغم دموعها التي أغرقت وجنتيها فقال لها :

- يخربيتك ، حتى وانتي بتعيطي قمر ، أنا أول مرة أشوف حد حلـو في كل حالاته كده ، ربنا يخليكي ليا وميحرمنيش منك أبداً

مسحت دموعها ثم قالت معتذرة :

- أنا آسفة والله ما كان قصدي أنكد عليك ، ربنا يخليك ليا ، الـلي انـت عامله ده كتير كتير عليا أوي

- مفيش حاجة تكتر عليكي ، أنا لو أطول كنت جيبت نجمة من السـما وحطيتها في إيدك

وبدأ يغني بعدما أمسك كلتا يديها بيده :

- كنت عايش طول سنيني
بحلم إنك في يوم تجيني
من زمان مش م النهارده
قلبي شافك قبل عيني
تسوى ايه كلمة حبيبي
لو مكنتش أقولها ليك
كنت بحرم نفسي منها
لحد ما عنيا تلاقيك

ورفع يديها إلى شفتيه وقبَّلهما في حب .

لا تدري "علا" كم من الوقت مرَّ عليها وهي معه ، كان تود لو أن تسـتطيع إيقاف عقارب الساعة وكل ساعات العالم عند تلك اللحظة ولكن الوقت مـر وهي لا بد أن تعود إلى منزلها .

في طريقها للعودة أيقظت نفسها من غفلتها ، لأنها تعلم أنها ستواجه حربـاً كبيراً مع زوجها وكانت تستعد ذلك ، دخلت حجرتها وبالفعل وجدته ينتظرها وبكل هدوء دخلت بدّلت ثيابها ولاحظت أن بداخله استفسارات كثيرة لا يعلم بأيهما يبدأ .

انتظرها حتى بدّلت ثيابها وجلست على السرير فقال لها بهدوء :

- الكوافير بياخد ساعة أو ساعتين ... تلاتة بالكتير ، لكن ست ساعات ، كنتي فين ؟

نظرت إليه باستغراب وقالت :

- يهمك كنت فين ؟؟؟

- متغيريش الموضوع ... كنتي فين ؟
- مع إني المفروض مقولش ، بس هقولك ، قابلت واحـدة صـاحبتي في الكوافير وخرجنا قعدنا مع بعض شويا ، ولا ده ممنوع كمان

نظر إليها بطرف عينه وأشعل سيجارته وخرج .

ارتاحت "علا" كثيراً لكذبتها ، وأقنعت نفسها أنه اقتنع بها وصدقها .

*****

تكررت لقاءات "أدهم " ب "علا" في أكثر من مكان حتى ذلك اليـوم الـذي كانت تجلس فيه معه وتعلو صوتات ضحكاتهم حتى رأت ما جعل ضحكتها تقف في حنجرتها ، رأته ينظر إليها من بعيد معاتباً ، فسألها "أدهم" :

- مالك يا "علا" فيه إيه ؟

نهضت "علا" قائلة :

- ياللاه بينا نمشي من هنا

وانصرفت حتى قبل أن تُبدي له سبباً ، فأخرج مبلغاً من المال ووضعه عـلى المنضدة وانطلق خلفها .

كان ذلك الشخص يتابعهما بعينه ، ويقتله الشك عن ماهية الشخص الـذي يجلس مع عشقه الأول ونبض فؤاده ، كان يود أن يجرها خلفه ويسألها من الذي تخرج معه ، كان هذا الشخص هو "تامر" أول من اعترف لهـا بحبـه وصدته ، يا له من شخص غريب ، بعد كل ما حدث ما زال يحبها ويغار عليها ، بعدما صدته أكثر من مرة ، بعدما تزوجت صديقه ، بعد كل ما رآهُ منها ، بعد كل تلك الأحداث ما زال يتابعها ، ما زال بداخله الكثير من الكلام الذي يود أن يُقال .

وجد نفسه ليلاً يرسل لها برسالة غريبة على الواتس أب نصها :

- " مش عارف من حقي أتكلم معاكي ولا لأ ، مش عـارف مـن حقـي أسألك مين اللي كان معاكي ولا لأ ، مـش عـارف مـن حقـي أخـاف عليكي ولا لأ ، مش عارف من حقي أغيييير عليكي ولا لأ "

قرأت رسالته وعرفت من مُرسلها فرقمه ما زال محفوظاً عندها ، ولم تدري بما ترد عليه ، كانت تندم ندماً شديداً على أن فرّطت في شخص مثله يحبها كل ذلك الحب ، كانت تفكر لو أنها عادت للوراء ماذا كانت تفعل ؟ يا ليتها تعود للوراء ، كانت ستفضل الشخص الذي يحبها عن الذي تحبه ، فمـن يحبهـا سيخاف على غضبها وسيحرص على إرضائها ، فها هو من تحبه قد سـقاها من مرار الحنظل .

وجدت نفسها تكتب له :

- " ازيك يا "تامر" ، عامل إيه ، ليه بتقـول مـش مـن حقـك ، احنـا صحاب وإخوات ، ولا انت نسيت "
- " لا منسيتش ، ولا عمري هنسى يا "علا" عمري ما هنسى "

تنهدت "علا" لم تدري ماذا تقول له فسكتت فكتب لها :

- "هو مين اللي كنتي خارجة معاه "
- " هيهمك تعرف هو مين ؟ "
- " لو مكانش يهمني مكنتش كلمتك ، مكنتش سألتك "
- "يا سلام "
- "مييين الواد ده ، وكنتي قاعدين مع بعـض قعـدة حلـوة ، ضـحك وهزار "
- ممكن نغير الموضوع ده يا "تامر" ده لو صحيح أنا غالية عليـك زي ما بتقول "

تنهد "تامر" بحزن ثم كتب لها :

- "حاضر اللي تشوفيه يا "علا" ، انتي عاملة إيه بقى "

- "هكدب عليك لو قولتلك كويسة ، أنا متدمرة مبقتش قادر أستحمل "
- " لحد امتا هتفضلي كده ، بس أرجع وأقول انتي الـلي اخترتـي مـن الأول "
- " بليز يا "تامر" أنا مش ناقصة تبكيت ، لو هنكمل كلامنا بالأسلوب ده ، يبقى بلاش نتكلم أحسن "
- " لا لا لا ، خلاص I'm sorry "
- "لا متتأسفش ، تعرف الفترة الـلي فاتـت دي ، كنـت محتاجـة أوي أكلمك بس مكنتش عارفة أقولك إيه ، كت خايفة من رد فعلك ، كنـت خايفة ميكونش اللي جواك زي ما هو ، كنت مفتقداك كصاحب ، كأخ ، كأي حاجة ، المهم إنك تبقى موجود في حياتي وخلاص "
- "وأنا وعدتك قبل كده إني مش هسيبك وفعلا مش هسيبك ، بس أنـا عايز أعرف مين الواد ده "
- "تاني ... تاني يا "تامر" ، مش قولنا بلاش كلام في الموضوع "
- "بس أنا من حقي أعرف عنك كل حاجة ، القعدة بتـاعتكم مكـانتش قعدة كده وخلاص "
- " يووووووووووووه ، ده واحد اتعرفت عليه من الفيس بوك "
- "هو انتي أي حد تعرفيه عادي كده تخرجي معاه ، وتصـاحبيه ، يـا بنتي فوقي لنفسك "
- " "تامر" بليز ممكن نقفل دلوقتي عشان أنا مصدعة ومش حمل أي مناهدة "
- " حاضر ، اللي تشوفيه يا "علا" باي دلوقتي "

ثم تركت هاتفها فأعلن عن قدوم رسالة أخرى فتحتها فكانت من "أدهـم" مضمونها كلمة واحدة :

- "طمنيني عليكي "

لم ترد عليها ، فوجدت رقمه يرن ، فرفضت المكالمة وأغلقت الهـاتف وألقـت بظهرها على السرير

أرادات أن تنام ، ولكن هيهات لقلبٍ أن ينام وهو محاط بكـل هـذا القلـق ، وجدت نفسها محصورة بين ثلاثة رجال اثنان يعشقونها عشقاً ولكن المسافة بينها وبينهما بعيدة جداً ، والثالث يربطها به عقد قران لأجـلٍ مفتـوح ولا تظهر لآخره بداية .

كانت مشاعرها تائهة مُلخبطة مشوهة ، لم تدرِ حقيقة مشاعرها تجاه كـل واحد منهم ، لم تعرف من تحب ومن تكره ، ومـن يسـتحق حبهـا ومـن لا يستحقه .

بينما هي غارقة في موجة من التفكير إذ بباب الحجرة يفـتح ويـدخل منـه "فادي" على غير موعده فتصنعت النوم ، وبعدما غير ثيابه قال لها :

- انتي نايمة

لم تجبه بالرغم من أنها سمعته ، فجلس بجوارها وهزها بيده قائلاً :

- انتي .... قومي عايزك

بتأفف مصطنع نهضت وقالت :

- خير اللهم اجعله خير ، جاي بدري عن ميعـادك النهـارده ، تتحسـد يعني ، إيه السهرة باظت برضه !!!

نظر إليها بغيظ ولم يرد فهمَّت بالنوم مرة أخرى فقال لها :

- أنا مش بقولك قومي ، انتي إيه مبتسمعيش

نهضت مرة أخرى قائلة :

- هو ده نظام جديد يعني ، لازم أخذ الإذن كمان قبل ما أنام
- اتخمدي

وقال أيضاً أكثر من كلمة أخرى لم تسمعها ولم تكن تريد أن تسمعها فهـي تعلم أن تلك الكلمات ليس في صالحها مطلقاً .

أخرج هاتفه وطلب صديقه المفضل "علاء" فأجابه الأخير بسرعة :

- إيه يا شبح ، سوري والله الليلة باظت النهارده بس والله هعوضهالك بكرة
- أنا نازل دلوقتي هعدي عليك انزلي .... أيوه دلوقتي ... إلبس هـدومك عبال ما أجيلك

وقام من فوره وغادر المكان ، وهي كذلك نهضت لأن النوم قـد أعلـن عليهـا العصيان ولم يأتِها كما رغبت ، لم تجد أمامها إلا هاتفها فتحته لتجد رسالتين على برنامج الواتس أب أولها كانت من "تامر" حيث كتب فيها :

- " أنا عارف إنك مش هتعرفي تنامي النهارده ، أنا سهران وهسـتناكي تكلميني ، فيه كلام كتير نفسي أقوله ليكي ، بلييز كلميني "

والثاني من "أدهم " الذي اكتفى بكلميتن هما :

- "ربنا يطمني عليكي"

تجاهلت الثانية وكتبت للأولى :

- " أنا معاك أهو "

كان كمن ينتظر آذان المغرب بعد يوم شاق من الصيام كتب بسرعة:

- " دايما معايا يارب "

شعرت بفرحته وكأن كلماته وحروفها ترقص فرحاً وطرباً فقالت له :

- "لسه زي ما انت يا "تامر" ... أنا لوحدي على فكرة ممكن تكلمنـي صوت "

كأنها أعطته ما يحلم به ، فلم تنتظر ثواني حتى وجدت رقمه على الشاشـة يتصل بها فأجابت بسرعة :

- يااااه ، إيه السرعة دي يا بني
- يا بنتي التيلفون بيزغرط من الفرحة فما بالك بصـاحب التيلفـون ، مش مصدق يا "علا" إني رجعت أكلمك تاني وأسمع صوتك

فكرت قليلاً قبل أن تسأله :

- لسه بتحبني يا "تامر"

بدون أن يفكر قال لها :

- ولا عمرك خرجتي من قلبي يا "علا" معرفتش أعـرف حـد غـيرك ، أصلاً قلبي رافض يكون فيه أو جواه حد غيرك وكأنك البنت الوحيدة اللي عايشة على وش الأرض

ضحكت ضحكة عالية سمعها هو وأطرب لها ثم قال :

- ياااااه ، وحشتني الضحكة دي ، مين كان يصدق يا ناس ، بعد كـل اللي فات أرجع أكلمك
- عارف .... أنا كنت محتاجة حد أتكلم معاه ، حد أحسه مني بيفهمني وأفهمه ، يخاف عليا وأخاف عليه ، عشان كده في موضوع مهم كنـت عايز أقولك عليه ، بس بلييز تسمعني للآخر .

وافق طبعاً ، فقصت عليه كل شيء من بداية زواجها وحتى اليوم الذي رآها فيه ، لم يدر ماذا يقول لها ؟ هل يؤنبها ؟ ولكنه رأى أنها ضحية أخرى من ضحايا "فادي" ومن الأفضل أن يقف بجوارها في مثل هذه الظروف ، كـان يعلم أنها بحاجة إليه تحت أي مسمى ، ظهر ذلك من كلامها وجد نفسه يقول لها :

- بحبك يا "علا"

ابتسمت ولأول مرة ، تشعر بكلماته تغازل شرايين قلبها قالت له :

- المرة دي مش هكسفك ، ومش هقولك زي كل مرة ، أنا ..... بحبـك ، لأول مرة أندم على كل حاجة عملتها معاك ، أنا آسفة ، ممكن أطلـب منك طلب
- طبعاً طبعاً ، مليون طلب

- ربنا يخليك ... أنا عايزاك جمبي ، متسـبنيش ، دلـوقتي أكـتر وقـت محتجالك تبقى جمبي فيه
- أوعدك بس بشرط
- إيه
- تسمعي كلامي ، في كل اللي أقولك عليه
- موافقة ... أنا من إيدك دي لإيدك دي
- أول حاجة تقطعي علاقتك بالواد اللي اسمه "أدهـم" ومتعرفيهـوش تاني

بعد تفكير قالت :

- موافقة يا "تامر" موافقة

أغلقت المكالمة ولأول مرة تشعر بالسعادة ، بعثت رسالة لـ "أدهم" نصها :

- "عايزة أشوفك بكرة ضروري"

وأغلقت الهاتف وجلست تُعِد ما تقوله غداً له ، وبالفعل تقابلا في نفس المكان وجلسا مقابلةً فكان أول من بدأ الحديث قائلاً :

- قلقتيني عليكي امبارح يا بنتي مالك

لم ترد فلاحظ تعابير وجهها الغير مُطمئِنة فسألها :

- مالك يا حبيبتي انتي تعبانة

استجمعت قواها وقالت :

- "أدهم" احنا محتاجين نبعد عن بعض شويا

سكينة قد تلقاها في صدره من أقرب الناس إليه فسألها :

- إيه اللي بتقوليه ده ، انتي عارفة انتي إيه بالنسبة ليا ، أنا ممكن أموت نفسي لو بعدت عنك ، وإيه اللي حصل لده كله
- ينفع مقولش أسباب
- لا طبعاً مينفعش ، انتي لو بتمشي حد شغال عندك هتقوليله السبب

- "أدهم" لو سمحت ...
- لو سمحتي انتي أنا عايز أفهم ، انتي ازاي كده
- هو ايه اللي كده ، أنا بطلب منك طلب ولو أنا غالية عندك لازم تنفذه
- طلب إيه انتي ، كإنك بتقوليلي مَوِّت نفسك من غير ما تعرف السبب ، بقولك ، انتي فيه حد ف حياتك ؟
- مش هرد
- وأنا مش محتاج ردك ، أنا فهمت خـلاص ، أنـا مـش عـايز أعـرف أسبابك ، أنا آسف إني ضيعت وقتك ، أنا مش عايز أشوف وشك تاني

همَّ بالانصراف فأوقفته قائلة :

- أنا آسفة ... بس

أشار إليها بالسكوت وانصرف .

فرح "تامر" جداً لهذه الخطوة التي فعلتها "علا" وحيَّاها عليهـا ، وبـدأت حكاية طالما تمناها "تامر" ، تحقق حلمه الذي كان يحلم به ، أصبحت "علا" خاتماً في خنصره ، تحت تصرفه ، يكلمها متى شاء ، يخرج معها متى شاء ، قد عاشا قصةً من قصص الحب الأصيلة التي لا نسمع عنها إلا في الأفلام ونقرأ عنها في الكتب ، قد نسيت معه كل شيء ، نسيت أن زوجها صديقاً لحبيبها ، نسيت أن حبيبها قد كان سيصبح سبباً في حبس زوجها وأن بينهما تاراً بائتاً ، وهي بهذه العلاقة تُزِيد هذا التار ، ولكنها نظرت لهذا الموضـوع بأنانيـة ، وجدت أن سعادتها أهم ، فقررت أن تستمر في هذه العلاقة التي لا تعلم لهـا آخر .

وجدت نفسها كل يوم تقترب منه أكثر حتى تطور الأمر إلى أن دعته إلى منزلها وأدخلته من الباب الخلفي وجلسا معظم وقت الصباح سـوياً ، اقتربـا مـن بعضهما أكثر ، تارة بقبُلة وتارة بحضن ، إلى أن تطور الأمر إلى علاقة كاملة

كتلك التي تحدث بين أي زوجين ، كان الإثنان سعيدان بذلك ووجدا فيه المتعة الكبيرة فقررا أن يكررا الأمر أكثر من مرة .

تلاشت فكرة الشعور بالذنب التي كانت تعتريها عند ممارسة تلك العلاقة ، لم تعد تشعر بأي تأنيب من ضميرها ، كانت تعلل ذلك بأن زوجها كل يوم يفعل لك مع مختلف السيدات المومسات اللاواتي يعرفهن ، أما هي فهي أفضل منه ، هي تفعل ذلك مع رجل واحد ، رجل كانت ترى أنه أفضل منه أيضاً لأنـــه لا يفعل ذلك إلا معها فقط .

******

٣٢

راحة لم يشعر بها من قبل

كان "فادي" يجلس مع "علاء" مكانهما المعتاد حين أخبره الأخير هاتفياً أنه يريده في شيء هام وقد تقابل الإثنان في ميعادهما بالمظبوط وجلسا وبعـدما طلبا شيئاً يشربانه قال "فادي" :

- مالك ياد فيه إيه ؟

ارتشف "علاء" شربة من كأسه ثم قال :

- مش عارف أبدأ منين ، بس أنا شفت حاجة احتمـال تـدايقك ، مـش عارف أقولك عليها ولا لأ
- قول واخلص
- الواد "تامر"
- متجبليش سيرته تاني ، من أول ما شِهِد عليا في القسم وأنـا نفـسي أشوفه ، عارف لو شفته أنا ممكن أقتله ، بس ماله الزفت ده
- أبداً شفته امبارح ماشي .... بصراحة شفته ماشي مع "عـلا" مراتـك وكانوا بيضحكوا وكأنهم اتنين مخطوبين

تطاير الشرار من عينيه ثم قال :

- انت متأكد
- اتأكدت طبعاً ، ولولا اني اتأكدت مكنتش قولتلك ، بـس بـص مـش عايزك تتهور ، عايزين نفكر بهدووووء

نهض "فادي" غاضباً فأوقفه "علاء" :

- لا يا ريس ، الموضوع ده ميتاخدش كده ، اوعى تروح تواجهها أكيـد هتنكر وهتاخد بالها بعد كده يعني مش هتعرف تثبت عليها حاجة
- وهنثبت ازاي يا برنس العلوم ودكتور المفهومية
- سيبني أراقبهوملك ، وإن شاء الله هوصل لحل

استحسن "فادي" الفكرة ، وذهب إلى منزله ودخـل حجرتـه قبـل ميعـاده فوجدها تتكلم في الهاتف وعندما رأته ارتبكت وتصنعت أنهـا تتحـدث مـع إحدى صديقاتها وأنهت المكالمة بسرعة .

طلب منها أن تُجَهِز له الحمام ، كان الطلب غريباً نوعاً ما ، فهو لم يطلب منها ذلك من قبل فتركت هاتفها مُطيعةً بطريقة مثيرة للشـك ، فأمسـك هاتفهـا فوجده مغلقاً بكلمة مرور مما جعله يفقد أعصابه ولكن تمالك عندما شـعر بها قادمة عليه .

شعر بالريبة عندما وجدته يمسك هاتفها فارتبكت ، أرادت أن تسأله ولكـن استحسنت السكوت ، وتنفست الصعداء عندما وجدته طبيعي ونهض ودخل حمامه وخرج منه بشكل طبيعي جداً ونام بجوارها وتصنع النوم فأمسكت هي بهاتفها وأكملت حديثها مع "تامر" .

استيقظ "فادي" في الصباح مبكراً ، وذهب إلى عمله دون أن يحدثها ولا كلمة واحدة ، مما أثار الشك في قلبها ولكن ما بيدها شيء .

بعدما خرج زوجها جاءتها مكالمة من "تامر" فأجابت بسرعة :

- أيوه

- "فادي" خرج
- آه
- طب أنا نص ساعة بالكتير وأكون عندك
- لا ..... بلاش النهارده ، أصلي تعبانة شويا
- طب ما عشان انتي تعبانة لازم أكون جمبك أنا جايلك

أنهى المكالمة قبل حتى أن ترد ، وجلست هي في حيرة وقلبها مقبوض لا تدري لذلك سبباً .

وصل هو مكتبه وطلب قهوته كالعادة وجلس يتفحص بعض الوريقات أمامه في رتابة وملل ، وأمسك ريموت التلفاز وأخذ يقلب في قنواته يبحث عن أي شيء يسليه ويجعل وقته يمر بسرعة .

رن هاتفه ، كان المتصل "علاء" فأجاب بسرعة :

- أيوه يا يسطا فينك
- أنا مستني قدام بيته هو ، مستنيه يخرج
- أوك ، بلغني كل تحركاته وأول ما يقابلها قولي
- تمام يسطا

أنهى المكالمة بسرعة وهو يقول في غيظ :

- بنت الجذمة تخوني أنا ، ماشي ... وحياة بابا ما هعديها على خير

بحث مرة أخرى عن ريموت التلفاز فلم يجده ، ولم يتذكر أين وضعه فاضطر آسفاً أن يشاهد ما تعرضه القناة أمامه ، فكانت قناة دينية ، كان يجلس أمامه رجل يبدو عليه الوقار ذو لحية كبيرة بيضاء ووجه أبيض ناصع وبدأ كلامه الذي لا يعلم "فادي" لما تابعه ، وجد الرجل يقول :

- اعلم يا عبد الله أنك كما تدين تدان ، وإن الزنا يُخلِّص الله ذنبه في الدنيا قبل الآخرة ، قال تعالى " **(وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)** شوف ربنا سبحانه وتعالى قال إيه ، قال ولا تقربوا

الزنا مقالش ولا تزنوا ، اوعى تفتكر إن ربنا سايبك أو مش شـــايفك ، لا شايفك ومِديك المهلة يمكن تتوب ، وكما قيل في الامثال دقـــة بدقـــة ولو زدت لزاد السقا ولهذا المثل قصة جميلة

واعتدل الشيخ في جلسته و"فادي" يتابع كلماته بطريقة غريبة فأكمل الشيخ :

- يحكى أن أن رجلاً تاجراً أرسل أبنه للتجارة في بلد آخر ، وذات يـــوم وابنه في السفر ، نظر التاجر من شرفة المنزل إلى بـــاب بيتـــه ، فوجـــد السقا الذي يجلب الماء يُقَبِّل ابنته، فسكت التاجر حتى عاد الولد مـــن السفر .. فسأل الأب : ماذا فعلت في تجارتك ؟

فقال الولد : بعت واشتريت و فعلت و فعلت..

فقال الأب : ليس عن هذا أسألك ،هل فعلت شيئاً آخر ؟

فأنكر الولد بداية الأمر ، فلما ألح عليه الأب ، قال الولد : لم أفعل شيئاً يا والدي سوى أنني قَبَّلت امرأة أعجبتني في السوق!!.

فعندها قال الأب :"دقة بدقة ولو زدت لزاد السقا ".أي لو أنك قبلـــت المرأة أكثر من قبلة لزاد السقا قي تقبيله لبنت التاجر!!!

وهذه القصة تصديق لبيتين قالهما الإمام الشافعي رحمه الله:

عفوا تعفُ نساؤكم بالمحرمِ

وتجنبوا ما لا يليقُ بمسلمِ

إن الزنى دينٌ فإن أقرضتَهُ

كان الوفاء من أهل بيتك فاعلمِ

وأشار الشيخ بإصبعه فشعر "فادي" أن هذه الإشارة له ثم قال الشيخ :

- إنا الزنا قرض يعني دين ، لو عملته لازم حد من أهل بيتك اللي هيرده عنك ممكن تكون أمك ممكن تكون أختك بنتـــك ، يعنـــي انـــت تـــدفع فلوس وتزني وف بيتك الزنا من غير فلوس

وكأن الشيخ يقصد "فادي" ويوجه له الحوار ويشير إليه بيده حتـى ضـاق ذرعاً بذلك ، فغضب وأمسك بمطفأة السجائر التي أمامه وضرب بها التلفاز علَّه يسكت وبالفعل أسكته وانطفأت الشاشة ، وفجأة وجد هاتفه يرن كـان المتصل "علاء" أجابه بسـرعة فقال علاء :

- بقولك إيه يسطا ، أعصابك حديد
- قول واخلص أنا مش ناقصك
- بصراحة لما نزل الواد "تامر" ركب عربيته ومشي فأنا مشيت وراه

قاطعه بغضب :

- ما تخلص يا روح أمك ، انت هتحكيلي قصة حياتك
- حاضر .. حاضر .... المهم لقيته راح بيتكم ، وعلا فتحتله مـن البـاب اللي ورا

أنهى المكالمة دون كلمة توديع وتذكر كلمات الشيخ فانطلق إلى المنزل بـسرعة البرق ، الطريق الذي يستغرق نصف ساعة بالسيارة قطعه في عشرة دقائق ، حمل المسدس الذي كان في سيارته ، دخل المنزل مـسرعاً وصعد إلى الطابق العلوي وفتح الباب بقوة فوجد ما جعل دماؤه تغلي في عروقه ، رأى ما جعله بركاناً خاملاً يثور بداخله ، رأي زوجته مع صديقه في وضعية الزوج وزوجته ، لم يتمالك أعصابه وجد نفسه يضغط بيديه على زناد المسدس ويقتل الاثنان بطلقتين لم تكونا لتخطئا هدفهما ، واتصل بوالده الذي حضـر مسرعاً ليرى تلك المصيبة التي بها ابنه الوحيد ، اتصل بالمحامي الذي حضر قبله بخمـس دقائق وطمأن الجميع قائلاً :

- متقلقوش يا جماعة ، دي اسمها جريمة شرف وإن شاء الله "فـادي" مش هياخد فيها ولو دقيقة ، متقلقوش

كان "فادي" يجلس في جانب الحجرة واضعاً رأسه بين يديه ، لم ينطق بكلمة واحدة بعدما اتصل بوالده .

اتصل "عزيز" بالشرطة التي حضرت بسرعة لمعاينة الموقف ، وتـم إحضـار الطب الشرعي حيث نقل الجثتين إلى المشرحة بعدما اعترف "فادي" بأنه من قتلهم حيث كان يدافع عن عرضه.

أخذت الشرطة "فادي" مُكَبَّلَ اليدين بعدما طمأنه المحامي أن المسألة مسألة وقت ليس إلا عندما تنتهي الاجراءات يومين أو ثلاثة في أضعف الايمان .

تمت الاجراءات بسرعة هذه المرة ، لسهولتها وخرج "فادي" من النيابة ولكن لم يذهب لبيته ظل يسير في الشوارع لا يعلم وجهته ، ظل يسير ويسير ويسير سيراً على قدمه ، وأغلق هاتفه بل وألقاه لا يدري أين ؟ اقترب منتصف الليل وهو على حاله قد نال منه التعب مبلغه ، لم يجد إلا منصة أمام مسجد فجلس عليها وجد فيها راحة لم يشعر بها من قبل فألقى بجسده عليها ونام .

******

٣٣

بداية جديدة

لم يدرِ كم من الوقت مرَّ عليه وهو نائماً على تلك الوضعية ، ولكنه اســتيقظ على صوت وكأنه أول مرة يسمعه في حياته صوت عذب يقول " الله أكــبر الله أكبر " كان أذان الفجر ، وأنى له قبل ذلك أن يسمع آذان الفجر ، وحتــى إن سمعه من كان سيقول له أن ذلك اسمه آذان وينادي للنــاس للصــلاة وجــد الصوت ينادي بنفس الصوت العذب "أشهد ألا إله إلا الله ، واشهد أن محمداً رسول الله " نظر إلى الأعلى وأذنيه ترقص طرباً لسماع تلك الكلمات الجميلة ، أنهى الصوت مهمته و"فادي" مغمض العينين ، فوجد كفاً تهزه برفق ويقول صاحبها :

- مش هتدخل تصلي يا ابني

أومأ "فادي" بالموافقة ونهض بعدما وضع يده في يــد الشــيخ الــذي حدثــه ليسنده ودخل معه المسجد ، ولأول مرة في حياته تطأ قدمه مســجداً ، شــعر بإحساس غريب ، راحة لأول مرة يشعر بها ، أمان لم يشــعر بــه في منزلــه وتحت حراسة والده ، وجد نفسه يشاهد الشيخ وهو يتوضأ وقطرات الميــاه

تنزل من بين يديه ، عندما أنهى الشيخ وضوءه نظر إليه فوجده عـلى حالـه فسأله :

- إيه ... مش هتتوضأ ؟

نظر "فادي" أسفل قدميه خجلاً ثم قال :

- مش بعرف أتوضأ

ابتسم له الشيخ وأخذه من يده وأجلسه وعلّمه كيف يتوضأ وبعـدما توضـأ جلسا سوياً ينتظران إقامة الصلاة

وأُقيمت الصلاة واصطف المصلون ولأول مرة في حياته يقف "فادي" بجوار أحد بمثل هذه الوضعية ، حافي القدمين ، ذليلاً منكسراً ، لا فرق بينه وبين من جواره ، قد يكون الشخص الذي بجواره عاملاً أو موظفاً بسيطاً ممن كـان يتأفف "فادي" من مجرد الحديث معهم ، هو الآن بينهم مثله مثلهم ، سيفعل ما يفعلون ، سيرفع يديه للسماء ويناجي ربه كما يفعلون ، ربه الذي طيلـة حياته لم يذكر اسمه ، لم يكن يدري ماذا سيقول ؟ أو ماذا سـيقرأ في هـذه الصلاة ؟ ، كان مسلماً ، فقط مكتوباً في بطاقته مسلماً ، يتذكر بعض الرتوش عن دينه منها أن هناك فرضاً اسمه الصلاة ، ولكن لا يدري ما هي الصلاة ، أو كيف تُؤدَى؟

لحظات وسمع الشيخ يُكَبِّر والكل يفعل مثله ويرفعـون أيـديهم إلى آذانهـم قائلين "الله أكبر" فعل مثلما فعلوا ، بعدهما سمع الإمام يقرأ الفاتحة بصوت عذب وجد لذلك الصوت حلاوة لم يجدها منذ زمن ، وجد صوت القرآن يسري في دمه وقلبه قبل أن يدخل أذنه ، شعور غريب جميل لم يشعر به من قبل ، شعوره بأنه يمثل الآن بين يدي الله ، يحدثه ويكلمه ، كان يتدبر في كل كلمة من كلمات سورة الفاتحة التي يتذكر أنه كان يحفظها عندما كان صـغيراً ، أنهى الإمام الفاتحة فردد الجميع "آمين" بشكل طبيعي كما تعودوا ما عـدا واحداً رددها وكأن حروفها تخرج من أعماق قلبه .

بدأ الإمام يقرأ بعدها (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) **مع كل كلمة كان "فادي" يبكي بكاءاً شديداً وكـأن هذه الآيات قد جاءت كالملح على جرح غائر حديث ، أنهى الإمام ركعته وركع ثم اعتدل ثم سجد والكل يفعل كما يفعل ثم اعتدل من السجود ماعدا "فادي" الذي سجد ولم يعتدل ، وجد راحته في السجود ، سجد الإمام مرة أخرى وقام والكل خلفه إلا "فادي" قرأ الفاتحة وما تيسر بعدها وركع ثم اعتدل ثم سجد ثم اعتدل ثم سجد ثم جلس وقرأ التحيات وسلم ، ولكـن "فـادي" مـا زال ساجداً ، إلتف المصلون من حوله يحسبونه قد فارق الحياة وعندما أجلسونه وجدوا تحته بركة من الدموع قد سَحَّها ندماً على كل ما فاته ، أشـار إلـيهم الإمام بالإنصراف وجلس هو بجانبه ، فنفذ الجميع الأمر بلا نقاش ، اقـترب منه الشيخ قائلاً :**

- هَوِّن على نفسك يا ابني ، كل مشكلة وليها حل ، ومـدام جيـت هنـا يبقى انت جيت المكان الصح

نظر إليه بأسى وانخرط في البكاء فاقترب منه الشيخ وربت على كتفه وقال له :

- ابكي يا بني ابكي ، الدموع بتطهـر البنـي آدم ، كـل دمعـة بتنـزل بصدق من قلبك قبل ما تنزل من عينك ، ربنا بيغفر بيها ذنب
- أنا لأ ... أنا مستحيل ربنا يغفر لي ، أنا اللي النار متخلقتش إلا ليا
- متقولش كده يا بني ، ربنا بيقـول في كتابـه العزيـز بعـد بسـم الله الرحمن الرحيم (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ) صدق الله العظيم ، مهما كان ذنبك عظيم ، رحمة ربنا أعظم منـه

يا ابني ، وباب التوبة مفتوح لكل الناس ، كلنا بنغلط يا ابني ، مفيش بينا نبي أو معصوم ، الأهم نعترف بلغطنا ونتوب لربنا .

مع كل كلمة كان "فادي" يبكي أكثر ويتأثر أكثر فقال له الشيخ :

- الشمس قربت تطلع يا ابني ، قوم روح البيت ريح شويا وأنا مستنيك على صلاة الضهر عشان نحكي ، نحكي كتير أوي
- لا ... لا يا شيخ ، أنا مش عاوز أَرَوَّح أبوس إيدك مش عاوز أَرَوَّح

حاول "فادي" تقبيل يد الشيخ الذي سحب يده بسرعة قائلاً :

- استغفر الله يا ولدي ، طب عندي حل حلو ، أوضتي اللي هنـاك دي ، إيه رأيك تريح فيها شويا ، والله نضيفة وعم إبـراهيم بينضـفها كـل يوم

أومأ "فادي" بالموافقة ، فأخذ الشيخ بيده ، حتى نهـض ودخـل الحجـرة ، حجرة مُرتبة إلى حد ما ، تحتوي كنبة خشبية عليهـا مَرتبـة أسـفنجية ، في وضعه العادي لا يمكن لـ "فادي" أن ينام على مثلها ولكنـه وافـق دون أن يُبدي أي اعتراض .

جلس على الكنبة وأسند ظهره للحائط ، فاقترب الشيخ منه حاملاً مصحفاً ثم قال :

- لما تلاقي نفسك مدايق اقرأ في ده ، وكل ما هتقرأ هتحس براحة ، بس بشرط ، اقرا بِتَدِبُر ، فكر في كل كلمة ، كل أمر اعتبره ليك ، كل نهـي اعتبره ليك ، كل وعد اعتبره ليك .

خرج الشيخ من الحجرة وترك "فادي" مع مصحفه ، فتحـه عـلى صـفحة منتصف المصحف فقرأ بعدما قال بسم الله الرحمن الرحيم (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا * وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا

أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا

ظل يقرأ ويقرأ كظمآن كان تائهاً ووجد للتو بئر ماء عذب بل بئر عسل مُصَفَّى ، فظل يرشف ويرشف ، كان مع كل آية يزداد حباً لأن يُكمل ويقرأ أكثر ، بدأ يقرأ من البداية ، قرأ الفاتحة وبدأ في البقرة فأنهاها ، وجد نفسه يريد أن يُكمل ، بدأ في آل عمران ثم النساء وكذلك المائدة لم يمل ، كان يجد في التلاوة حلاوة ، كان مع كل آية يشعر بأنه يرتقي ويعلو إلى السماء درجة ، وكأنه يصعد سُلماً .

مَرَّ الوقت بسرعة ، لم يدري إلا وباب الحجرة يطرق من الخارج ، ويدخل الشيخ فوجده ما زال ممسكاً بالمصحف فاندهش لذلك وقال :

- بسم الله ما شاء الله ، شكلك منمتش
- معرفش مسكت المصحف وقعدت اقرأ فيه محستش بالوقت
- طب إيه ، مش هتقوم تتوضأ عشان صلاة الظهر ، عشان هنتغدى سوا النهارده

نهض الاثنان ، ثم توضأ "فادي" وصليا الظهر مع جماعة المسلمين ثم جلسا يتحدثان .

طلب الشيخ منه أن يَقُصَ عليه حكايته كاملة ، ففعل ذلك ، قص عليه كل شيء من يوم مولده مروراً بتربيته ، وحتى قصة "فرحة" قَصَّها عليها وما فعله بها وبعد أنهى قصته قال :

- أنا عارف إني وحش وحش أوي ، وحضرتك لو طردتني من الجامع مش هزعل ، أنا نحس ، ومستحقش أعيش في مكان طاهر زي ده

ابتسم الشيخ وقال :

- هو انت فاكر الجامع ده بيتي يا ابني ، ده بيت ربنا لا أنا ولا أي حـد يقدر يطردك منه ، إذا كان ربنا نفسه فرحان بيك أنا هزعل منك

رد باستغراب :

- ربنا فرحان بيا أنا ... بعد كل اللي حكيتهولك ده
- سيدنا محمد بيقول ، ما تصلي عليه يا جدع

سكت "فادي" لا يدري ما يقول فأكمل الشيخ :

- قول اللهم صلي على سيدنا محمد

ردد "فادي" ما قاله الشيخ ثم أكمل الشيخ :

- سيدنا محمد بيقول : اللهُ أشدُّ فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليـه مـن أحدكم كان على راحلَته بأرضٍ فَلَاة، فانفلتـت منـه وعليهـا طعامـه وشرابه، فأيسَ منها، فأتى شجرةً فاضطجَعَ في ظلِّها قـد أيـس مـن راحِلَته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمةً عنده، فأخذ بخِطامها، ثـمَّ قال مِن شدَّة الفرح: اللهمَّ أنت عبدي وأنا ربُّك، أخطأ من شِدَّة الفَرح هشرحلك معناه إيه ، تخيل كده لو انت في صحرا وراكب دابة وعليها الأكل والشرب وكل حاجة وفجأة ضاعت منك مش لاقيهـا ، فروحـت شفت ضل شجرة وقعدت جمبها واستلسمت للمـوت وفجـأة لقيـت الدابة بتاعتك قدامك ، فرحتك هتبقى قد إيه ساعتها ؟
- كبيرة طبعاً ، أنا ممكن أموت من الفرح
- أهو ربنا بيفرح بالعبد التائب أكتر من فرحة العبد ده ، إيـه رأيـك في رحمة ربنا
- رحمة ربنا واسعة بس ، مش على حد زيي ، أنا زنيت وقتلت وشربـت الخمر ولعبت القمار ، أنا تقريبا مفيش حاجة وحشة معملتهاش ، أنا عملت كتيير يا شيخ ، كتيير أوي

- طب إيه رأيك أحكيلك حكاية تانية
- يا ريت يا شيخ ، أنا بحب كلامك جداً
- يحكى أن رجلاً قتل ٩٩ نفس ، عارف يعني إيه ٩٩ نفس يا "فادي" وبعدين قال أنه هيتوب ، فسأل عن أعبد أهل الأرض ، فالنـاس دلِّتـه على راجل راهب ، مَكَدِبش خبر ، راحله وسأله قاله يا شيخ أنا قتلـت ٩٩ نفس وعايز أتوب ، فراح الراهب بصله كده وقاله ٩٩ وعايز تتوب ، انت ملكش توبة ، فالراجل ممسكش أعصابه والـلي فيـه داء مـش بيبطله راح قتله وكمل ١٠٠ نفس

ضحك "فادي" وكذلك الشيخ وبعدها أكمل :

- المهم بس الراجل كانت جواه حاجة بتقوله إن لسه باب التوبة مفتوح ، راح سأل على أعلم أهل الارض ، دلُّوه على أعلم واحد في الأرض وراح حكاله كل اللي الحكاية وسأله ينفع أتوب ، فـرد عليـه العـالم بكـل هدوء وقاله ومين يقدر يقفل الباب اللي فتحه ربنا لعباده ، بس طلـب منه إنه يغير المكان اللي كان عايش فيه ، لأن المكـان الـلي يقتـل فيـه ١٠٠ نفس ومحدش يعاقبه يبقى مكان سوء ومينفعش يعيش فيـه ، وراح قالّه على مكان يهاجرله ويعيش فيه ، الراجل راح بسرعة عشان يغير المكان اللي عايش فيه وهو في الطريق راح مات ، طبعاً لما جـات الملايكة تاخد روحه ، ملايكة الرحمة وملايكة العذاب اتخانقوا عليه ، طبعا ملايكة العذاب بتقول إن قتـل ١٠٠ نفـس ومعملـش خـير في حياته لازم يروح النار ، وملايكة الرحمة بتقول بس ده تايب وفي نيته إنه يعيش كويس ومؤمن ، فربنا بعتلهم ملك عشـان يفصـل بيـنهم قالهم قيسوا المسافة بين البلدين ، لـو لقتـوه أقـرب لأرض الصـلاح تاخده ملايكة الرحمة ولو لقتوه أقرب لأرض الفساد تاخـده ملايكـة العذاب ، وبالفعل قاسوا المسـافة بـين البلـدين لقوهـا أقـرب لأرض

الصلاح بشبر ، فشوف رحمة ربنا اللي قرّبه لأرض الرحمة وبَعَّده عن أرض العذاب ، ربنا غفور رحيم ، أينعم هو شديد العقـاب بـس مـع اللي بيعند ، لكن اللي بيرجعله مش هيلاقي أحن منه عليه

ابتسم "فادي" وقال :

- تفتكر ربنا هيقبلني يا شيخ
- وليه ميقبلكش ، لو صادق في النية يبقى هيقبلك وهيساعدك وكل مـا تقربله هيقربلك أكتر سيدنا محمد .....
- عليه الصلاة والسلام
- عليه الصلاة والسلام قال (يقول الله عز وجل: من ذكرنـي في نفسـه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في مـلأ خـير منـه، ومـن تقرب إلي شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منـه باعاً، ومن أتاني يمشـي أتيته هرولة) ، متقلقش يا ابني ربنا عمـره ما يرد عبده التائب ، بس أهم حاجة عشان ربنا يقبـل توبتـك ، لازم الناس اللي انت ظلمتهـا تسـامحك ، لأن الغلـط في حـق ربنـا ربنـا هيسامحك عليه ، أما الغلط في حق الناس ربنا مش هيسامحك عليـه غير لما الناس نفسها تسامحك عليه
- يعني إيه ؟
- يعني لازم تروح للبنت دي وتحاول ترجعلها حقها ، تحاول تراضيها وتخليها تسامحك
- بس ....
- دي مفيهاش بس يا ابني ، مدام قولت هتتوب وعـايز ربنـا يقبلـك ، يبقى لازم ترجع الحقوق لصحابها
- أنا مقدرش أوريهم وشي تاني بعد اللي عملته فيهم ، اللي عملته فـيهم مش شويا

- طب بص فكر في الموضوع ، وأنا يا سيدي هروح معاك

*****

٣٤

أصبح ذكرى

في الجانب الآخر كان "عزيز" يجوب الأقسام والمستشفيات بحثاً عن "فادي" ثلاثة أيام بلياليها يبحث ويتصل ويدفع لهذه ولذاك بحثاً عنه .

وفي اليوم الرابع وجدوا هاتفه مع شخص كان ينتوي بَيْعَهُ وعند استجوابه من قبل الشرطة قال أنه قد وجد هذا الهاتف ملقى في مكان ما ، انطلقت أجهزة البحث تبحث في المكان الذي وجد به الهاتف وبعد قليل من البحث وجده والده يخرج من باب المسجد بصحبة الشيخ فهرع إليه معاتباً :

- "فادي" ابني ، كده برضه تقلقني عليك ، كنت فين

رد "فادي" بوهن :

- أنا كويس يا بابا متقلقش
- مقلقش ازاي بقالك تلات أيام بره البيت وعايزني مقلقش ازاي يعني ، كنت فين الفترة اللي فاتت دي يا ابني

أشار "فادي" إلى المسجد بفخر ثم قال :

- كنت عنده يا بابا ، عند اللي عمرك حتى ما فكرت تعرفني اسمه ، عند اللي عمرك ما انت نفسك عرفته ، ربنا يا بابا

لم يدرِ "عزيز" ما يقوله ، فقط ربت على كتف ابنه وقال له :

- طب ياللاه بينا يا ابني عشان نِزَوَّح
- لا يا بابا بعد إذنك أنا مش هَزَوَّح معاك ، أنا هفضل هنا ، أنا اليـومين اللي قعدتهم هنا حسيت قد إيه الدنيا فيها حاجات حلوة كتيرة ، بـس مش حلوة بمنظورك انت اللي ياما علمتهـولي ، اكتشـفت يـا بابـا إن حلاوة الدنيا مش في الفلوس ولا العربيات ولا القصور ولا الشركات

نظر "عزيز" إلى الشيخ ناهراً :

- انتوا عملتوا في الواد إيه ، عملتوله غسيل مخ

رد عليه الشيخ بهدوء :

- احنا عملنا اللي كان مفروض يتعمل من زمان ، شيلنا الغشـاوة مـن على عنيه ، ورِيناه حقيقة الدنيا الفانية

زاد غضب "عزيز" وعلا صوته قائلاً :

- أنا مش هسكت ، أنا هوديكم في داهية ، أنا هَبَلَّغ عنكم ، انتوا إرهابيين هتضيعوا الواد

غضب "فادي" لهذه الاتهامات الموجهة لشيخه فقال غاضباً :

- بابا لو سمحت .....

قاطعه الشيخ مهدئاً :

- بالراحة يا ابني ... وبالوالدين احساناً

قال "عزيز" موجهاً الحديث لابنه :

- انت هتيجي معايا ، ودلوقتي حالاً
- آسف يا بابا ، مش هقدر أسيب المكان اللي اتولدت فيه من جديد

ثم اقترب من والده وقبَّل يد والده قائلاً :

- بليز يا بابا ، لو تهمك سعادتي سيبني هنا أنا هنا كويس
- كويس .... كويس ازاي ... بالهدوم الـلي انـت لابسـها دي ، بـدقنك الطويلة دي ، بقى انت "فادي" اللي الشباب بتحلف بشياكته
- صدقني يا بابا ، "فادي" الـلي انـت شـايفه ده أحسـن بكتـير مـن "فادي" التافه اللي انت عملته ، "فادي" اللي مكانش همـه في الـدنيا غير انه يسهر ويشرب ، "فادي" اللي عمره ما راعى لحاجة حرمة

كان "عزيز" ينوي أن يتحدث ولكن "فادي" أوقفه بإشارة من يده قائلاً :

- بليز يا بابا ، سيبني مرة أختار حاجة في حياتي

تأفف "عزيز" قائلاً :

- براحتك ... براحتك يا "فادي" بس بيتي مفتوحلـك في أي وقـت لـو حبيت ترجع
- حاضر يا بابا

همَّ بالانصراف ولكنه تذكر شيئاً فعاد لقوله :

- وفيه شرط كمان ، أنا هبعتلك كل يوم أكلك وشربـك وهـدومك ، وده شرط مفيهوش نقاش

أومأ "فادي" بالموافقة فانصرف "عزيز" وظل "فادي" وبجواره الشيخ يربت على كتفه فقال له "فادي" :

- أنا نويت يا شيخ خلاص أروح للبنت ، وحضـرتك هتيجي معايا
- وأنا معاك يا "فادي" حتى دلوقتي ، خير البر عاجله

فرح "فادي" بذلك كثيراً ، وانطلق لتوه بصحبة الشيخ يبحثان عـن منـزل "فرحة" حتى وجدوه أخيراً طرقا الباب ، فتحت الأم لهما ، لم يكن صعباً على الأم أن تتذكر من كان سبباً في وفاة أعز أبنائها

تحدث الشيخ قائلاً :

- السلام عليكم يا حجة ، لو معندكش مانع احنا جايين نشرب عنـدكم شوية شاي

بدون أن تتحدث أفسحت لهم الطريق حتى جلسوا وجلست أمامهم تنتظر أن يبدأ أحدهم بالحديث فبدأ "فادي" :

- أنا مهما قولت أو اعتذرت عارف إنه قليل ، أنا لـو نمـت عـلى الأرض وخليت "فرحة" تدوس على وشي بجذمتها مـش كفايـة ، أنـا جـاي أصلح اللي اتكسر ، وأعوضها عن كل اللي فات ، أنا خـلاص اتغـيرت بقيت حد تاني ، صدقيني وجاي النهارده في نيتي كل خير
- جاي وف نيتك كل خير ، ناوي تدفع كام المرة دي

نظر الشيخ و"فادي" لبعضهما من فرط الدهشة فقالت الأم لتنقذهم منا :

- أصلها عادتكم مش هتشتروها ، أي حاجـة تمنهـا فلـوس عنـدكم ، المشاعر بفلوس ، الحب بفلوس ، الكره بفلوس ، حتى البنـي آدمـين بفلوس ، شوف انت يا بيه يا ابن البهوات تِقَدَّر بنتي بكام
- يا تنط أنا تحت أمرك في أي حاجة ، بس أنا عايز أشوف "فرحة"

سكين أخرى غرزها "فادي" في صدرها فقالت بعدما مسحت دموعها :

- مش هينفع تشوفها يا ولدي ، ومتتعبش نفسك مش كل اللي اتكسـر ينفع يتصلح

وهنا تدخل الشيخ قائلاً :

- يا حجة اللي قدامك ده واحد تاني غير "فادي" اللي انتوا تعرفوه ، ده حد تاني بادي بداية نضيفة ، بداية جديدة وعشان بدايتـه دي ربنـا يقبلها منه لازم انتي و"فرحة" تسامحوه وهو ممكن يعوضـها عـن كل حاجة وحشة شافتها
- يا بيه إذا كان عليا أنا مسامحاك ، بس "فرحة" معـرفش إذا كانـت هتسامح ولا لأ

رد "فادي" متلهفاً :

- طب قعدينا معاها وأنا هقنعها
- مش هينفع يا ولدي
- مش هينفع ليه ، ٥ دقايق بس
- مش هينفع عشان "فرحة" مش موجودة ، "فرحة" سـافرت لعـالم تاني ، عالم مفيهوش ظلم ، مفيهوش فرق بين غني وفقير ، "فرحة" بعد ما القاضي حكملك بالبراءة قررت إنهـا مـش هتعـيش تـاني في الدنيا دي ، "فرحة" ماتت يا بيه ، ماتت ، ماتت

وانخرطت الأم في البكاء ومعها "فادي" الذي وجد نفسه يُقَبِّل يدها ويترجاها أن تسامحه فقالت له بعدما انتهت :

- روح شوف حالك يا ابني ، وادعي ربنا ، ادعيه يقبلك ويرحم بنتي

غادر "فادي" المنزل بحالة أسوأ بكثير مما كان عليه ، أغلقت أبواب الدنيا في وجهه ، الأمل الوحيد الذي تبقى له ذاب ، الخيط الذي كـان سـيربطه بربـه انقطع .

وصلا إلى المسجد فانطلق "فادي" إلى الميضة وتوضأ وبدأ يصلي ، كان يبكي في صلاته كما لا يبكي من قبل ، جلس الشيخ بجواره يسمع مناجاته لربه ويبكي معه ، ويؤمن على دعاؤه بالرحمة لـ"فرحة" ودعاؤه بأن يتوسط له الله عندها حتى تسامحه .

استمر "فادي" في اعتكافه بالمسجد ، لمدة شهر ، حفظ فيه القرآن الكـريم ، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، بدأ في حفظ الأحاديث ، أطلق لحيتـه ، كـان يقوم الليل كاملاً كل ليلة .

نصحه الشيخ بالسفر إلى مكة لأداء فريضة الحج حينما جـاء موسـمه فلـم يتأخر لحظة ورجع وقد عمر قلبه بنور الإيمان ، كان كل من يراه يهنيه على ما هو فيه ما عدا شخص واحد أو شخصين هما والداه الذان كانا ما بين الحين

والآخر يقابلانه ويحاولون إقناعه أن يعدل عن تلك التصرفات التي لا تليـق بمثله من وجهة نظرهم طبعاً ، لكنَّ رده كان واحداً ولم يتغير .

في ذلك اليوم كان صائماً ، بعد صلاة العصر وجد الشيخ يجلس بجواره قائلاً :

- معايا ليك بشارة حلوة أوي
- قول يا شيخ
- رتل الشيخ بصوت عذب (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * الَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)

عندما وصل الشيخ إلى هذه الآية وجد آثارها على وجه "فادي" وجده متأثراً بها ثم قال له بعدما تنهد :

- والله يا شيخ أنا حافظ القرآن عن ظهر قلب ، حاسس إنـي أول مـرة أسمع الآية دي ، ازاي مخدتش بالي منها ، أنا مش عارف أقولك إيه يا شيخ ، أنا حاسس إن ربنا باعتك ليا من السما ، أنا مش عـارف انـت بتعمل معايا كده ليه ، أنا لو ابنك مكنتش هتعمـل معايـا ربـع الـلي عملته ده

ابتسم الشيخ وقال له :

- ومين قالك انك مش ابني ، يمكن ربنا باعتني ليك يـا ولـدي عشـان أدلك على الطريق الصح ، أنا معملتش حاجة يا ولدي ، انت اللي ربنـا بيحبك ، ربنا عارف إن الذنب من ذنبك في كل اللي كنـت فيـه ، ذنـب أبوك اللي فهِّمك الدنيا غلط

قاطع كلمات الشيخ ، كلمات غاضبة كانت لـ "عزيز" حيق قال :

- كده صح ، وأنا أقول الواد متغير ليه معايا ، أنا قلبي حاسس إن كلـه من وراك انت يا بوز الأخص

ابتسم الشيخ ولم يقل إلا :

- ربنا يسامحك يا بيه
- هيسامحني طبعاً ، انما انتوا مش هيسامحكم أبداً لما تفرقوا بين الأب وولده ، لما تخلوه ميسمعش كـلام غـير كلامكـم ، عـاملين نفسـكم مشايخ وبتوع ربنا

هنا تدخل "فادي" قائلاً :

- أرجوك كفاية يا بابا ، الشيخ ميستاهلش منك ولا كلمة من كـل الـلي قولته ده ، هو معملش حاجة
- معملش حاجة بعد كله ، بص لنفسك وانت تعرف هو عمل إيه ، بقى انت "فادي" انت ، إيه الجلابية اللي لابسها دي ، وإيه الدقن دي ؟ على آخر الزمن ابني أنا بقى درويش ، وشويا شويا هياخدك يلف بيـك في الموالد ، بص هو قرار ومفيش رجعة فيه ، انت هتروح معايا دلـوقتي حالاً

رد "فادي" بغضب :

- يووووه يا بابا هنتكلم تاني في الموضوع ده ، مش كنا اتفقنا
- لا متفقناش إنك تضيع حياتك ومستقبلك

وهنا قطع الجميع صوت سرينة سيارة الشرطة وهي تعوي خـارج المسـجد وينزل منها بعد الضباط والعساكر ويدخلون المسجد بعـدما خلعـوا عـنهم أحذيتهم ويتجهون نحو الشيخ ويمسكون به ، فَيَهِمَّ "فادي" للمدافعة عنـه فيمسك به والده فتكلم والده بخبث :

- فيه حاجة يا حضرة الظابط

رد الضابط :

- لا مفيش ، بس إجراء روتينـي ، محتـاجين الشـيخ في كـام كلمـة في القسم

رد "فادي" قائلاً :

- طب هو هيرجع تاني
- والله دي حاجة بإيده هو ، لو جه دوغري معانا واعترف ، هنسـيبه ، إنما لو لاوع يبقى هو اللي جنى على نفسه

تحرك العساكر ومعهم الشيخ في وسط المزيد من التساؤلات التي تحتـاج إلى أجوبة ولكن أجوبتها لا يُعرف لها طريق .

استغل الموقف "عزيز" وقال لابنه :

- شايف يا ولدي السكة اللي انت ماشي فيها دي أخرتها إيه ، تعـالى يـا ابني بيتك أولى بيك ، وبعدين ربنا مقالش كده ، مقالش إنـك تسـيب حالك ومالك ، وتترهبن في الجامع

نظر "فادي" للجهة الأخرى ، هرباً من أبيه واقتناعاً بحديثه فأكمل "عزيز" :

- يا ولدي ، عاوز تعبد ربنا اعبده ، مقولناش حاجة ، بس ربنا عرفـوه بالعقل ، صلي زي ما انت عايز ، بس برضه اشـتغل ، صـوم زي مـا انت عايز ، بس عيش حياتك

اقتنع "فادي" بكلام والده ، وذهب معه إلى المنزل لأول منرة منذ ثلاثة شهور ، استقبلته والدته بوابل من القبلات والأحضان .

تم تجهيز غرفة أخرى لـ "فادي" حتى لا يتذكر ما حدث في غرفته .
ثم بدأ "فادي" ينزل عمله مع والده الذي حاول بكل الطرق أن يقنعه حتى يحلق ذقنه ولكنه رفض وظل متمسكاً بها لأنه سُنَّة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، كانت هيئته وتصرفاته تدل على ما تعلمه في الفترة السابقة ، كانت الموظفين تتسائل ولكن في صمت ، لم يكن أحد يجرؤ أن يفتح فمه بأي شيء ، حتى بعدما استبدل معظم الموظفات التي لهن تعامل مباشر معه بموظفين رجال من باب غض البصر .
كان يحافظ على صلواته في ميعادها ويحافظ على مراجعته للقرآن الكريم يومياً ، وكان ما بين حين وآخر يذهب للمسجد يسأل عن الشيخ ولكنه لا أثر له من بعد ما قبضت عليه الشرطة ، ولكنه سمع بعض طراطيش الكلام من أنه محبوس في قضية سياسية ، ولكن كيف وقد قضى معه ثلاثة شهور لم يجده ولو مرة واحدة يتحدث في أمور سياسية .
مر شهر آخر عليه في منزل والده لم يتغير حاله كما كان يتوقع والده ، كان كل جمعة يصلي في المسجد ويسأل على الشيخ ولكن دون فائدة .
كان "عزيز" يتحدث في حجرته مع زوجته التي قالت له :

- وبعدين في الواد ده يا "عزيز" ، أنا مش عاجبني حاله كده ، بدقنه دي ، أنا صحابي بقوا بيعاروني بيه
- طب أنا هعمل إيه يا "نسرين" أكتر من اللي عملته ، الراجل اللي كان لاحس دماغه حبستهوله وخفيته عن وشه
- أنا ابني هيضيع مني مليش دعوة اتصرف

كانا يتحدثان بطمأنية ولم يكن في حسبانهم أن هناك من يسمع حديثهم ففتح الباب عليهم وفي عينيه تساؤلاً واحداً فقال والده :

- خير يا "فادي" يا حبيبي
- خير ... هو فيه خير بعد اللي سمعته ده

نظر "عزيز" إلى زوجته وكذلك فعلت هي فأكمل "فادي" :

- انت ازاي كده ، ازاي حد برئ زي ده تعملوا فيه كده ، طب هـو إيـه ذنبه ، بقى دي مكافئته بعد اللي عمله معايا

نهض "عزيز" من على سريره قائلاً :

- عمل إيه يعني ، ده دمر حياتك وحولك لآلة ... درويش

وأمسك به من ذراعه وجره نحو المرآه قائلاً :

- بص ... شوف نفسك في المراية بقيت ازاي

نزع يده من يد والده بعنف وتحرك إلى غرفته وجمع ما طالته يده من ثياب في حقيبة وغادر في وسط طلبات وتوسلات من والديه لأن يعود ولكن بلا فائدة وصل إلى المسجد ودخله بسهولة لأن مفتاحه ما زال معه وتوضـأ وصـلى في محراب المسجد وظل يدعو الله ويطلب من المغفرة على ذنب لم تقترفه يـداه ، ظل يدعو ويبتهل لله أن يُرجع له شيخه ومعلمه .

وأصبح مرة أخرى يبيت في المسجد لا يخرج منه وعنـدما أخـبروه أن والـده يطلبه خارج المسجد رفض مقابلته أكثر من مرة ، جاءت إليه والدته وأيضـاً رفض مقابلتها .

تدهورت حالته الصحية ، ما بين صيامه وقيامه وحزنه على شـيخه الـذي لا يعلم عنه أي شيء ، الذي ما زال يشعر بالذنب فيما حدث له ، أينعم لم يكن له يد فيما حدث ولكن هو نفس الشخص الذي تحت مسمى حبه والحـرص عليه جعله شيطان يمشي بين البشر والآن نفس الشخص أيضاً تحت مسمى حبه والحرص عليه حرمه من الشخص الوحيد الـذي انتشـله مـن ضـياعه ووضعه على الطريق الصحيح ، وليس حرماناً فقط إنما قد يكون الشـيخ في مأزق بسببه .

لأول مرة خرج من السجد بعد ذلك وجد نفسه يذهب إلى منزله فقابله أبيــه بالترحيب والسعة ولكن وجه "فادي" لم يكن يدل على أنه ينتوي خير فسأل والده بحدة :

- انت عملت إيه في الشيخ يا بابا
- انت ؟!! بتقولي انت يا "فادي" ، لسه برضه في ضلالك مفوقتش
- ومش هفوق غير لما أعرف هو فين وأشوفه وأكلمه ويخرج من اللي هو فيه
- يعني لو خرج ورجع بيته وشفته هترجع تعيش معانا تاني هنا
- ساعتها هبقى أفكر
- لا إوعدني إنك لو شفته مش هترجع تعيش في الجامع تاني
- معنديش وعود غير لما أشوفه وأطمن عليه

تحرَّك والده قليلاً وأخرج هاتفه وأجرى مكالمة تعمَّد إخفاء تفاصــيلها عــن "فادي" وبعدما أنهى مكالمته قال لــ"فادي" :

- تعالى معايا يا "فادي"

ركب مع والده سيارته إلى مكان لم يسأل عنه ، كل ما كان يدور بخلده أنــه أخيراً سيقابل شيخه ، دخلا على ضابط شرطة فرحب بهما وأمر العسكري أن يأخذ "فادي" إلى مبتغاه

في زنزانة مفردة فتحها له العسكري وأغلقها بعدما دخل من بوابتها الضيقة فوجده مُلقى على حصيرة خشنة وتبدو عليه آثار التعب والمرض ، جرى عليه وأجلسه وهو يقبل يده قائلاً :

- حقك عليا يا شيخ ، حقك عليا ، أنا آسف ، أنا السبب

نظر إليه الشيخ بفرحة ثم قال له :

- "فادي" كنت متأكد إني هشوفك النهارده ، عشان هو قالي كده

بدهشة سأل "فادي" :

- هو ميين ؟!
- حبيبك ، حبيبك يا "فادي" جـالي امبـارح وقـالي أوصـلك السـلام ، فعرفت إني هشوفك قريب ، فمدام شفتك ....

ثم سعل الشيخ بطريقة غريبة وأكمل :

- يبقى خلاص ، أنا كنت خايف معرفش أوصلك رسـالته ليـك ، بـس الحمد لله ، كده أنا هموت وأنا مرتاح

ثم نطق الشهادتين وخرجت روحه الصافية ، فبكى "فادي" كما لم يبكي من قبل ثم نادى على الحارس الذي دخل مسـرعاً ورأى "فادي" على تلك الحالة جرى ليحضر الضابط الذي حضر بسرعة للمعاينة ، وبعدها بلغ القيادات . طلب "فادي" منه أن يُخرج الشيخ ليدفنه بعدما يبلغ أهله وبالفعـل تمـت مراسم الدفن والعزاء ، وجد "فادي" أبيه يطلب منه الرجوع إلى البيت فابتسم ابتسامة صفراء ثم قال :

- انت السبب ، منك لله ، عمري ما هسامحك على اللي عملته فيا

ظلَّ "فادي" معتكفاً في المسجد ما بين شيخه الذي أصبح ذكرى ، وحزنه عليه لمدة شهرين آخرين .

*****

٣٥

نهاية سعيدة

ذات ليلة كانت ليلة جمعة ، كان "فادي" كعادته يسهر لقيام الليل وعند وقت السحر غفت عينيه ورأى في المنام نوراً أبيضاً هابطاً من السماء وعندما اقترب منه وجده الشيخ "عبد الرحيم" ذهب إليه مسرعاً فحياه الشيخ :

- السلام عليك يا "فادي"
- وعليكم السلام
- أنا جيتك النهارده بعد مـا ربنـا خلـص حسـابي ، ودخلـت الجنـة وجايبلك مفاجأة من هناك

أشار الشيخ بيده إلى ناحية اليمين ليرى "فادي" شبح سـيدة ترتـدي ثيابـاً بيضاء جميلة ، كانت "فرحة" فاقترب منها "فادي" فرحاً فقالت له :

- ازيك يا "فادي" ، عم الشيخ "عبد الرحيم" حكالي على كل الـلي انـت عملته ، وطلب مني أسامحك ، وأنا مسامحاك يا "فادي" ومسـتنياك النهارده عشان تفطر معانا

ثم اختفى الاثنان واستيقظ "فادي" من نومه فرحاً لتلك الرؤية فقام وتوضأ وأكل شيئاً بنية الصيام وصلى الفجر وظل بعد الفجر يتلو شيئاً من القرآن ،

وجـد نفســه يتلــو (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * الَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)

وظل يردد تلك الآيات طيلة النهار ، في صلاته وسكونه حتى جاء المغرب وأذن المؤذن وأقيمت الصلاة ، وللصدفة كان إمام المسجد الجديد غائباً في ذلك اليوم فقدمه المؤذن حتى يؤم الناس .

تقدم "فادي" قائلاً :

- استوا واستقيموا وصلوا صلاة مودع

ثم رفع يديه وكبَّر ثم قرأ الفاتحة وبعدها بدأيقرأ الآيات السابقة حتى وصل إلى قوله تعالى (إِلاَّ مَن تَابَ) فلم يستطيع أن يكمل ، فركع ثم اعتدل ثم سجد ثم اعتدل ثم سجد ثم قام فقرأ الفاتحة وبدأ يقرأ نفس الآيــات إلى أن وصــل أيضاً إلى نفس الكلمة (إِلاَّ مَن تَابَ) ولم يتذكر ما بعدها أتمَّ صــلاته باكيــاً حتى سلم ، كان صوته مبحوحاً لدرجة أن من خلفه لم يسمعوا تكبيراته .

بعدما انصرف المصلون اتكأ على أحد أعمدة المسجد ، جاءه خادم أبيه ومعه الطعام كعادته حدثه ولكن "فادي" لم يرد عليه ، فانطلق يُبلغ والده .

ظل "فادي" شاهراً بصره للسماء ويبتسم ثم رفع سبابته الوسطى إلى السماء ونطق الشهادتين وفارقت روحه جسده ، الروح المحظوظة التي مارست أبشع أنواع السيئات ، كانت نهايتها هذه النهاية الطيبة .

جاء والده مسرعاً يحدثه ولكن لا فائدة من الحديث مع ميت لن يسمعك في أي حال من الأحوال .

نظر "عزيز" إلى السماء ولأول مرة يبكي بحرقة ثم وقف في منتصف المسجد وصرخ بأعلى صوته :

- انت بتعمل معايا كده ليه ، انت مش عادل ، ابني هعيش غصب عنك برضاك هعيش ، ابني مش هيموت انت فاهم ، مش هيموت

ثم خرج من المسجد لا يدري أين يذهب ، ركب سيارته فاصطدم بسيارة أخرى وتم نقله إلى المستشفى وأصيب بشلل تام ، في النطق والحركة .

ولم تكن تلك الصدمة بأكبر من صدمته في شركاؤه الذي استغلوا مرضه وسرقوا كل أمواله وأسهمه في الشركات التي كان يديرها ، حتى "نسرين" زوجته لم تعد تطيقه أو تتحمله على ذلك الوضع فألقت به في أحد دور رعاية كبار السن بمصاريف رمزية .

انتهت القصة

في عالمنا الكثير والكثير المشابه لشخصياتها ، بيننا الشخص الذي يؤمن أن المال هو كل شيء ، فكرت كثيراً قبل أن أجعل نهاية "فادي" سيئة جراء مع ارتكبه من معاصي وجرائم ولكن حين فكرت قليلاً في الأمر وجدت أن "فادي" كان ضحية من ضحايا أفكار والده لذلك جعلت نهاية والده هي الأسوأ ولكن تذكر (النهايات نادراً ما تكون سعيدة)

تمت بحمد الله

هاني أبو طالب